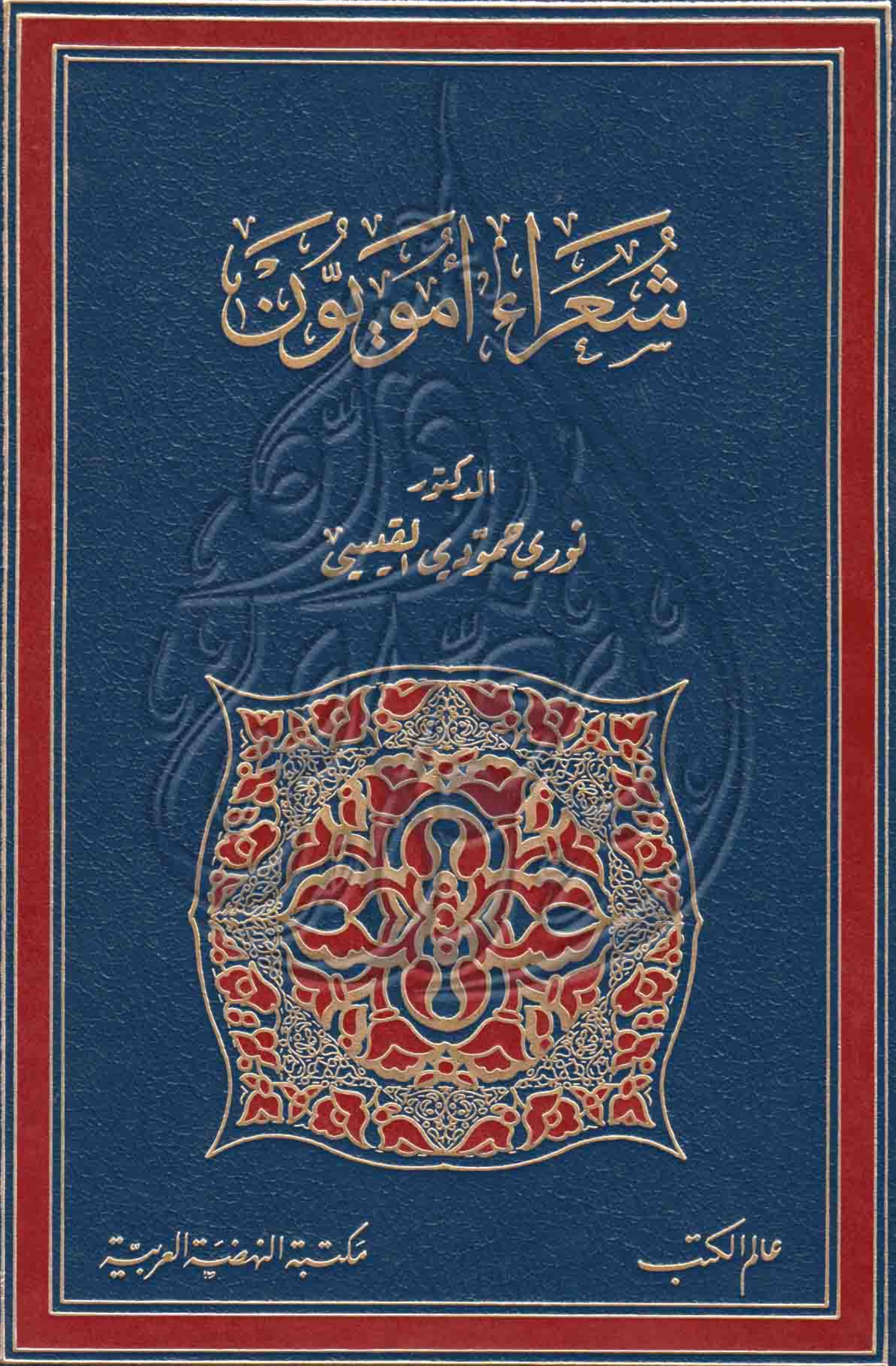


شعراء أمويون
الدكتور
نوري حمودي القيسي
مكتبة النهضة العربية
عالم الكتب

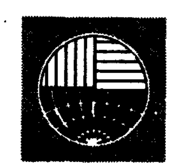
شعراء أمويون

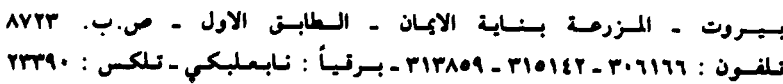
الدكتور
نوري حمودي القيسي
استاذ في كلية الآداب - جامعة بغداد
رئيس معهد البحوث والدراسات العربية

عالم الكتب
مكتبة النهضة العربية

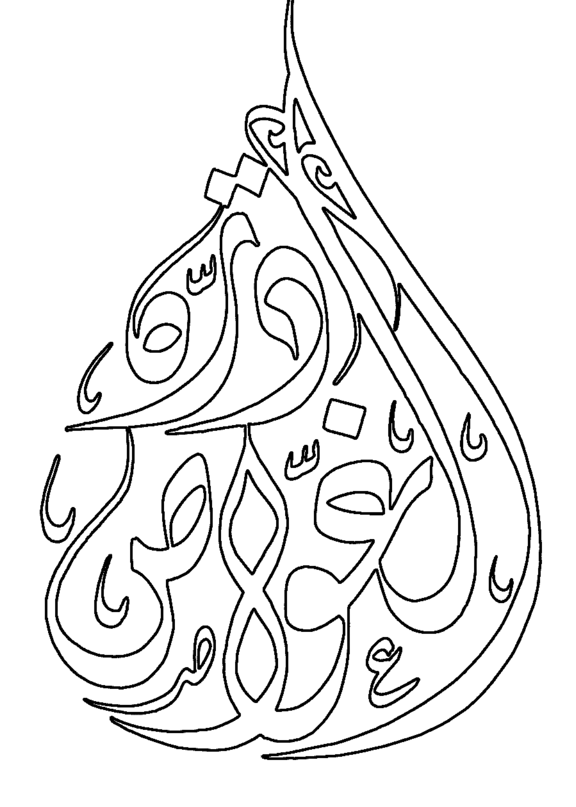








بيـروت - المـزرعـة بـنـايـة الايمـان - الـطـابـق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تـلفـون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - بـرقـيـاً : نـابـعـلـبـكـي - تـلـكـس : ٢٣٣٩٠



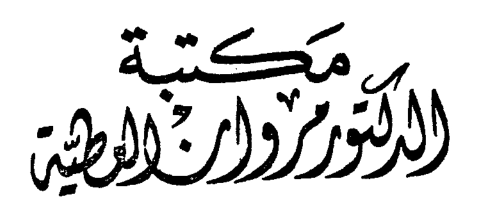
الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

مكتبة الدكتور مروان العطية







المقدمة

ويُكتب لمجموعة أخرى من شعراء العصر الأموي أن تعود إلى الحياة لتأخذ أفكارها دورها الرائد، وتدخل تجربتها إلى جانب تجارب الشعراء الآخرين الذين ظلَّت أصواتهم تتعالى أكثر من ألف سنة، وتقف قصائدهم وهي لا تقل روعة ولا إبداعاً عن كثير من القصائد التي أخذت حجمها في الدراسة ومجالها في التحليل وصورتها في تطلعات العصر.

يكتب لسبعة شعراء آخرين توحدت في أغراض بعضهم خصائص، وتميَّزت في حياة بعضهم الآخر اتجاهات. وعرفت في تقاليدهم الشعرية أبواباً وألواناً وجدنا ظلالها شاحبة وأصداءَها غير واضحة، فشاعر مثل المقنع الكندي يقدم لنا قصيدة فريدة في المديح يقدم لها بعشرة أبيات يتحدَّث فيها عن الخط والكتابة وأنواع الأقلام وطريقة استعمالها وقد وجد الجاحظ فيها وجاهة وأدخلها في باب حديثه عن الخط، وقد وقفنا عند هذه الظاهرة الفريدة، وشاعر آخر مثل أبي صخر الهذلي الذي ضاعت حياته بين عصرين وتوزَّعت شهرته في مرحلتين فهو محسوب على العصر الإسلامي ولكن لا يدرس في إطار شعرائه، ويحسب على العصر الأموي ولكنه لا يدخل في دائرة أي اتجاه شعري من شعراء العصر، ولكن الرواة والباحثين يعجبون بقصيدته التي يجدون فيها رائعة من روائع الشعر العربي، وصورة من صور تدفق العاطفة التي ظلَّت حيَّة في أبياته، ومع هذا فالشاعر بعيد عن الدراسة غريب على العصرين، لا يستغرق من الباحثين إلا سطوراً قليلة مع أن شعره وشعر شعراء هذيل ـ مجموع ومشروح ومهيء للدراسة والتحليل وإذا كانت بعض الدراسات الجامعية قد تحدَّثت عن شعر هذيل أو وقفت عند بعض شعراء هذيل فإن الدراسة الكاملة لتحليل شعر هؤلاء،

الشعراء ووضعهم في المواضع المستحقة وتحديد مراتبهم أو طبقاتهم في الترتيب الفني ما تزال بعيدة عن الدَّرس، معزولة عن التوجه. لأن المقدرة الأدبية اقتصرت على الشعراء التقليديين الذين لم يحسب شعراء هذيل منهم وكأنهم ظلُّوا يعيشون بمعزل عن تاريخ الأدب كما عاشوا غربتهم في ديارهم وتراكيبهم وألفاظهم ولغتهم.

إن صوت أبي صخر لم يقف عند هذا الحد، وإن قصته لم تنته عند هذه الحدود فهو شاعر له موقف مع ابن الزبير تحمل من أجله العنت والاضطهاد ولكنه ظلَّ موقفاً جريئاً يوحي بسلامة العقيدة وعمق المبدأ وقدرة الدفاع عن الرأي.

وأبو جلدة اليشكري شاعر آخر من شعراء العصر حدَّده موقفه التاريخ في أحداث العصر ولكنه ظلَّ متردداً في موقفه، فكانت نهايته التي تكشف عن قلقه الفكري، وتردده في اتخاذ المواقف، وهو صورة واضحة لحركة عبد الرحمن بن الأشعث الذي وقف إلى جانبها على الرغم من موقفها غير السليم وتوقيتها غير المنطقي فانتهت كما انتهى الشاعر إلى الإخفاق والفشل.

ومثل هؤلاء الشعراء الذين كانت أصداءُ حياتهم لوحة شعرية تضاف إلى لوحات الشعر العربي، تأتي دراسة حياة «الأغلب العجلي» و«الأشهب بن رميلة» و«والأبيرد الرياحي» و«عبدالله بن الحجاج» وهم مجاميع أخرى من الشعراء الذين تناثرت قصائدهم وتوزَّعت حياتهم وتبدَّدت أخبارهم فسحقتهم موجة الاهتمام التقليدي بالمشاهير، وألقت عليهم أنماط الدراسة أستاراً من النسيان فضاعت إبداعاتهم في ظلِّ العزلة وعزلت تجربتهم في حدود المجانبة والابتعاد.

إن إحياءَ هذه المجاميع من الشعراء وتقديم الدراسة التي تتحدَّد في إطارها توجهاتهم الفنية ومواقفهم الفكرية وروائع حياتهم الإنسانية تضيف إلى الأدب العربي رافداً جديداً، وتغني أعلامه بصور فريدة، وتقدم لدارسيه نماذج ظلَّت غير منظورة آماداً طويلة..

وإذا كان الجزء الرابع يضيف هذه الباقة من الشعراء الجُدد الذين لم تكتب عنهم دراسة فإنني وبعون الله وقدرته أواصل المسيرة لإنجاز الجزء الخامس الذي سيضف إلى هؤلاء مجموعة أخرى تعطي العصر زهوه وتحقق له

تجربته التي عبَّر عن بعض جوانبها الشعراء وبقيت صفحاته الأخرى مطوية تنتظر الكشف وتفتقر إلى الموضوعية لتستعيد كثيراً من أوجهه ألقها المشرحة والله أسأل التوفيق إنه الهادي والنصير.

الدكتور نوري حمودي القيسي
رئيس معهد البحوث والدراسات العربية

بغداد ٢٧ رمضان ١٤٠٣
٧ تموز ١٩٨٣





حياته وشعره

من الشعراء الذين تردَّدت قصائدهم في المحافل، وامتدَّت شهرتهم إلى كل مكان، وبقيت أبياتهم موضع استشهاد طيلة قرون أبو صخر الهذلي عبدالله بن سلم السهمي أحد بني مُرمَض، وتجمع المصادر على أنَّ هذا النسب القصير ـ على غير المعتاد في ذكر الأنساب ـ هو ما عثر عليه بالنسبة لهذا الشاعر الذي ظلَّت أنفاسُه وأشواقه تعبر الزمن بلا حواجز، وتدخل القلوب بلا استئذان، وتصل إلى كل نفس أمضّها الشوق، ولوعها الهوى وأضر بها الجفاء والصدود. ومن الغريب أن أبا الفرج في ترجمته يقول بعد أن يذكر هذا النسب: «وهذا أكثر ما وجدته من نسبه في نسخة السكري وهي أتم النسخ مما يأثره عن الرياشي عن الأصمعي وعن الأثرم وعن أبي عبيدة، وعن ابن حبيب عن ابن الأعرابي»[١].

وهو كما تؤكد الأخبار المرويّة عن حياته شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كان موالياً لبني مروان، متعصباً لهم، وله في عبد الملك بن مروان مدائح وفي أخيه عبد العزيز، وعبد العزيز بن خالد بن أُسيد.

وقد جرَّ عليه حبُّه لبني أمية السجن، وخبره مع ابن الزبير معروف عندما ظهر بالحجاز وغلب عيلها بعد موت يزيد بن معاوية، فقد دخل عليه أبو صخر الهذلي في هذيل، وقد جاءَه ليقبضوا غطاءَهم، وكان عارفاً بهواه في بني أمية، فمنعَه عطاءَه فقال: علام تمنعني حقاً لي، وأنا امرؤ مسلم،

(١) أبو الفرج. الأغاني ٢٣/٢٦٨.

ما أحدثت في الإسلام حدثاً، ولا أخرجت من طاعة يداً، قال: عليك بني أمية فاطلب عندهم عطاءَك قال: إذاً أجدهم سباطاً أكفُّهم، سمحةً أنفسهم، بذلاء لأموالهم، وهَّابين لمجتديهم، كريمة أعراقهم شريفة أصولهم، زاكيةً فروعهم، قريباً من رسول الله ﷺ نسبهم وسببهم، ليسوا إذا نسبوا بأذناب ولا وشائط (دخلاء). ولاأتباع، ولا هم في قريش كفَقْعةِ القاع، لهم السؤدد في الجاهلية، والملك في الإسلام، لا كمن لا يُعدّ في عِيرها ولا نفيرها. ولا حكَمَ أباؤه في نقيرها ولا قِطْميرها، ليس من أحلافها المطيّبين، ولا من ساداتها المطعمين، ولا من جُودائها الوهَّابين، ولا من هاشميها المنتخبين، ولا عبدَ شمسها المسودين، وكيف تقابل الرؤوس بالأذناب. وأين النصل من الجفن؟ والسنان من الزّج؟ والذُّنابى من القدامى. وكيف يُفضّل الشحيح على الجواد، والسُّوقة على الملك والمجيع بخلاً على المُطعم فضلا..

فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصه.. ثم أمر به إلى سجن [عارم] فحُبس به مدَّة ثم استوهبته هذيل ومن له بين قريش خئولة في هذيل. فأطلقه بعد سنة، وأقسم ألاَّ يعطيه عطاء مع المسلمين أبداً. فلما كان عام الجماعة، وولي عبدالملك وحجَّ لقيه أبو صخر، فلما رآه عبدالملك قرّبه وأدناه وقال له: إنه لم يخفَ عليَّ خبرك، ولا ضاع لك عندي هواك ولا موالاتك.. ثم استأذنه أبو صخر في الإنشاد فأذن له، فمثل بين يديه قائماً وأنشأ يقول فقال قصيدته:

عفت ذات عرق عُصلُها فرِئامُها فذهناؤها وحشٌ وأجلى سوامُها

إن هذه البداية الواضحة التي تجمع تراجم أبي صخر على ذكرها تكشف عن الصورة الكبيرة التي عاشت في نفس هذا الشاعر وهو يمنح ولاءَه وحبه لهذه الدولة العربية ولخلفائها الذين أسهموا في بناء أسسها وتقويم مسيرتها فوضعوا ركائز حكم شامخ، وثبتوا أركان دولة، وشيَّدوا بنيان حضارة كانت بداية لمسيرة عربية متميِّزة، ومجال انطلاق لفكر عربي أصيل وتوجُّه إسلامي خالص.

من الدوافع الرئيسية التي حملتني على إعادة دراسة عبدالله بن صخر الهذلي هو غموض حياته على الرغم من اعتباره شاعراً له موقف، دافعٍ عنه، وتحمَّل من أجل ذلك ما يتحمله كل رجل يؤمن بعقيدة، ويضحّي من أجلها، ويتحمَّل المسؤولية التي تؤدِّيها هذه التضحية وإنَّ الكثيـرين من دارسي الأدب يحشرونـه مـع الشعراء الإسـلاميين وعنـد دراسـة الشعـر الإسلامي لا يُعرض له ولا يستشهد بشعره ولا تحلل مضامينه الشعرية ولا يجمع إلى طائفة من الشعراء لها خصائصها المتميزة، وعند دراسة الشعر الأموي لا يؤخذ موقفه بنظر الاعتبار ولا تدرس حياته ضمن الإطار العام لاتجاهات الشعر الأموي على الرغم من تغنِّي الدارسين بقصيدته الرائعة.

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

واستشهادهم بأبياتها الخوالد..

لقد تركتني أغبط الوحش أن أرى اليفين فهـالا يَرُوعُهمـا الزجـرُ
وصلتك حتى قُلت لا يعرف القِلى وزُرتُك حتى قُلتِ ليس له صبر
تكاد يدي تندى إذا ما مسستها وتَنْبُتُ في أطرافِها الوَرَقُ الخضر
فمـا هو إلا أن أراهـا بخلوةٍ فأبهت لا عُرف لدَيّ ولا نُكر
عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر..

أقول على الرغم من شهرة الأبيات وشهرة شاعـرها، ورقَّـة ألفاظ القصيدة وحسن تراكيبها، وبراعة الصور التي اختارها، وتأجج عـواطف الشوق التي تتدافع في ثنايا أبياتها، وجمالية الحسّ الشعري المتدفِّق في كل وجه من وجوه التلهف الذي غمر معظم أبيات القصيدة، فإن الشاعر لا يدخل في إطار أيَّة مجموعة من الشعراء، ولا يقف إلى جوار أيَّة ظاهرة فنيَّة درسها شعر العصر الأموي أو حاولوا إعطاءَها المظهر الفني.. وأقول على الرغم من اعتباره حلقة من حلقات شعراء هذيل الذين تميَّزوا بطابع شعري معروف والتزموا بتراكيب فنيَّة وبناء شعري متميِّز، واستخدموا أساليب بلاغية ولغوية لها طابعها الخاص، فإن هذا الشاعر ظلَّ بعيداً عن الدرس، معزولاً

عن الحقبة الأدبية الزاهية التي قدَّمها شعراء العصر وقد شقَّ طريقه في دروبها ببراعة، وأحسن الوقوف عند كثير من ظواهرها باقتدار، وأنجز بعض المهمات الشعرية التي تركت على وجه تراكيبها سمات الذوق النقي، والطهر العفيف، والسلاسة الفنية الصادقة.

هذا الشاعر المتميِّز بكل هذه الأبعاد ظلَّ قابعاً في زاوية الزمن المهجورة وهو مهيءٌ لكل دراسة فقد ضم شعره في ديوان الهذليين وصدر هذه المعالم ونشر في شرح أشعار الهذليين صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري في الجزء الثاني منه وكتبت عن شعراء هذيل رسالة ماجستر.

إن اهتمام رواة الشعر بشعر هذيل كان بداية من بدايات جمع الشعر ومن المصادفات الغريبة أن يبقى شعر هذه القبيلة دون بقية أشعار القبائل التي بذل السكري في سبيلها المشاق الصعبة، وإذا كان الحديث عن أبي صخر يجرنا إلى الحديث عن هذيل فإن القدامى قد فصلوا القول في أصولها، ووقفوا عند بطونها وأفخاذها، وعرفوا مواضع سكناها، وأحاطوا بكل أمر من أمورها بما يغني الباحثين ويُقلِّل الجهد في متابعة كل شاردة من شوارد هذه القبيلة بعد أن استقرَّت في شمال الحجاز (منطقة السراة) واتَّخذت من بعض المناطق المرتفعة مساكن تنزل فيها، وأماكن تجد فيها رزقها، فاصطبغ شعرها بكل مظهر من مظاهر هذه الحياة، وما يزال أهل مكة يجدون في بعض أبنائها الذين يشترون العسل ويبيعونه قرب (أجياد) صورة أولئك الرجال الذين تميَّزوا بشعورهم الطويلة وأجسامهم النحيفة، ونظراتهم الحارة وقدرتهم على الجري والحركة؛ ويبدو أنَّ مكة ظلَّت موئل زيارتهم ومحط رحالهم، ومركز ميرتهم ومؤونهم، منها يمترون وفي رحابها ينعمون بالهدوء والراحة وفي أسواقها يجدون أسباب الحياة وعوامل الحركة، ورقَّة الطبع الذي ظلَّ وجهاً من وجوه شعرائهم، ولوناً متميِّزاً من ألوان طابعهم الشعري الرقيق إنها حالة المواجهة الصادقة التي تعيش في وجدان العراقيين حسّاً جديداً، ونمطاً عالياً، ووعياً عميقاً بالمستقبل الذي ينتظر العراق الجديد، وستكون كل الأسورة الذهبية، والقلائد والخواتم رموزاً كثيرة ليطرز الوسام الرئيسي الذي سيكبرُ في صفحة التاريخ ليشغل المكان الرفيع.

وهذيل كغيرها من القبائل عُرفت بالشجاعة، وحرصت على الكرم ودافعت عن عزها وسؤددها بكل ما يمكن أن يقدمه الإنسان وهو يحافظ على قيمه ويحمي شخصيته.

وحديث شعراء هذيل عن المرأة، وتخصيصهم مساحات كبيرة من قصائدهم لوصفها والوقوف عند كثير من خصائصها يؤكد مسألتين مهمتين الأولى قدرة هؤلاء الشعراء على إدراك الجانب الجمالي الذي تثيره هذه المرأة في نفوسهم، وتحسسهم بما يستطيع أن يعبِّر عنه الشاعر وهو يواجه هذا اللون الجمالي الخاص ودقتهم في التقاط الجوانب الحادة في اختيار المواقف وحسن الآداء التعبيري، واحتواء الطَّاقة الحسيَّة الدافقة، واختيار المفردات الجملية القادرة على إيصال هذه الطاقة وهو جانب يتأتَّى من الصفاء الذهني الذي عرفته هذه القبيلة واستيعابها للموقع المكاني الذي تلمست فيه المظاهر الطبيعية النقية. والثانية تمتع المرأة بقسط من الحرية وهي مسألة لا تنفصل عن المسألة الأولى، لأن طبيعة الحياة وقسوتها في بعض الأحيان تدفع الرجل إلى الاستعانة بالمرأة في كثير من شؤون الحياة وتفرض عليه أن يستوعب دورها الحياتي والاجتماعي وهذا يحقق للمرأة دورها المتميِّز في الحياة من جهة ويحقق للرجل استمراره في تقويم نظرته إليها باعتبارها مشاركة له في البناء الأسري والاجتماعي من جهة أخرى وهذا الدور له خصائصه في المجتمع البدوي الذي يختلف في كثير من أصوله عن الخصائص التي تتميَّز بها المرأة في المجتمع الحضري.

وربما كانت هذه النظرة سبباً من أسباب تميّز شعراء هذيل عن غيرهم من الشعراء في حديثهم عن المرأة واهتمامهم بها واستقصاء الجوانب الجمالية التي عرفت بها.

وشعراء هذيل في هذا الجانب ـ كما سأذكره ـ لهم دورهم في سمو العاطفة التي تدفعهم إلى أن يكونوا في منازل رفيعة، وحرصهم على حبهم هذا وهو يدفعهم إلى الكتمان مهما كانت الأسباب، وتبدد بعض جوانب التذلُّل الذي يبديه العشاق وجوانب الاعتذار في مبادلة الغرام والكتابة بالرمز

عن أسماء المعشوقات خوفاً عليهن وحرصاً على كرامتهن من السمات البارزة التي وجدناها عند شعراء هذيل على الرغم من اختلاف العصور وقد تجلَّت هذه الحقيقة عند شاعرنا بشكل واضح.

إن فصاحة شعر هذيل وأصالته وبعده عن الدخيل، وتوفره بين أيدي الرواة للفترة الأولى من فترات الرواية والتدوين أتاحت الفرصة لكثير من اللغويين والنحَّاة والكتَّاب من الاستشهاد بشعرهم حتى أصبح شعر شعرائهم من أكثر الأبيات استشهاداً في كتب اللغة فقد استشهد ابن منظور في اللسان لشعراء هذيل بأكثر من ألف وسبعمائة شاهد. وهو عدد يمثل الكثرة الكاثرة من الشواهد التي وجد فيها صلاحاً وفصاحة وتأييداً لما أجمع عليه اللغويون والرواة..

وربما كانت هذه الأسباب وغيرها من الأسباب العامل الأكيد وراء اهتمام العلماء بجمع أشعار هذه القبيلة وهم ينصرفون إلى جمع أشعار القبائل وفي اهتمام الأصمعي وأبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني وابن الأعرابي من الطبقة الثانية من الرواة الدليل الواضح على هذا الاهتمام وتنتهي محاولات الرواة الأوائل بالانصراف الكلي الذي أثبته أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري الذي جمع ما رووه وألَّف منه كتاباً أضافه إلى مجاميع شعره الأخرى التي توجهت إلى شعر القبائل فشرح غريبها وجمع أخبار شعرائها ووقف على ما اتصل بها من أيَّام وأماكن وما ذكر فيها من أخبار ووقائع فكان ديواناً من دواوين الشعر العربي الذي حفظ لنا ذخيرة وفيرة، ومادة غزيرة وعلماً نافعاً من علومهم. وكانت رحلة الأستاذ عبد الستار أحمد فرَّاج مع شرح أشعار الهذليين مرحلة طويلة. تابع فيها سريانها منذ عام ١٨٥٤ وهي ملحمة ومبعثرة فجمع شتاتها وألَّف بين أقسامها وضمَّ إليها ما وجده غير موجود فيها وأخّر قصائد الشعراء الذين لم يعثر على شرح السكري لأشعارهم. وأضاف إليها ما عثر عليه منسوباً للسكري في كتب اللغة وغيرها فكان السفر الخالد لشرح أشعار الهذليين الذي أضاف بتحقيقه مادة جليلة إلى الشعر العربي فأغنى روافده، وأثرى فيضه وسدَّ بعض نواقصه فكان المادة

الأساسية التي اعتمدتها في الدراسة لأنها أدنى مجموعة وأدقُّها خيطاً وأوثقها تحقيقاً. فجزاه الله أحسن الجزاء على عمله الرائد وتغمده برحمته الواسعة ثواباً لعمله الذي ستعرف الأجيال قدره وجهده.

وإذا كانت مشاعر المرثي الحي قد تداخلت في تضاعيف الشاعر المضطر إلى أن يقف الموقف غير المناسب ليقول أبياتاً تعبِّر عن إحساس غير حقيقي. فإن القصيدة بحد ذاتها كانت حالة أخرى من حالات قصائد الرثاء التي افتتحت بالغزل، وهي ظاهرة وجدنا لها نظائر وعرفنا لها مثيلات من القصائد، ولعلَّ قصيدة دريد بن الصمَّة التي رثى فيها أخاه، وافتتحها بالغزل تمثل واحدة من هذه القصائد[1]، وكذلك قصيدة المرقش وغيرهما من القصائد التي آثرت الافتتاح بالغزل وهي ظاهرة تتصل بالشعر العربي وترجع لأسباب تخص التزام الشعراء بتقليد فني درجوا عليه. ووفاءً لبناء حرصوا على أدائه من جهة، وتتوافق مع ينبوع الإحساس الواحد الذي تتدفَّق منه عاطفة الصدود والفرق والرثاء وهي أحاسيس تتفق بكونها فراقاً ويستثيران عاطفة متشابهة ويعبران عن لوعة متقاربة من جهة أخرى، وكلا هذين التعليلين يدخلان في إطار واحد لأنهما يعبـران عن وجدان ذاتي وعاطفي. وحديث الغزل الذي بدأ به الشاعر حديث «جُمل» التي قدم لها بأبيات وصف فيها حسنها وجمالها وتحدث عن الندى الذي بلَّ جبينها آخر الليل. وعن الذوب الذي فاح ريحه فكان كالمسك. وكان الهوى ما عاش والشوق والمنى، وتنتهي هذه المقدمة بإخفاق وإحباط بسبب عهود النساء التي تنتهي سريعة.. وتستغرق المقدمة خمسة عشر بيتاً ليباشر الحديث عن فراق الأخ في البيت السادس عشر وهو الأخ الذي لن يبرح الدهر ذكره، وهنا يحاول أن يذكر وفاءه له فيقيه الردى بنفسه، ويدعو القلائص للبكاء بعد أن أضرَّ بها طول المنصة والزجر، لأن الذي يفرج عن ركبانها الهمَّ

---

(١) قال صاحب العمدة (٢/١٥١) وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء وقال ابن الكلبي ـ وكان علامة ـ لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمّة.

والطوى قد ذهب، وهو كريم المحيا، مـاجدٌ واجد أخو شتوات تقتل الجوع داره لمن دخلها، أو نزل بها. . وهي أوصاف تعودنا على قراءتها في كل قصائد الشعراء في حالة المديح. . ويستمر في أوصافه التي تمنح لكل الرجال، وتقال في حضرة كثير من المرثيين، وينتهي ليقـول: إذ كانت حياتك قد انتهت إلى أن تُمسي رمساً ثاوياً بالرصافة، فإنَّ أيامك الزهر لا تموت وهي أبيات يغلب عليها طابع التقليد، ويتدافع في أبياتها إحساس التعبير عن الحالة غير المعاشة والبـوح بالإحساس غير الحقيقي، والوقوف أمام حالة لا يمكن أن يستوعبها شاعر له مثل هذه الأحاسيس، ولعلَّ هذا الجو وصعوبة التصور، وحب الشاعر للممدوح مما جعل صورة الموت بعيدة عن الذهن قد أعطى القصيدة لوناً من الإحساس البارد، وأخرج القصيدة عن الطور الذي تأمله فيه عبد العزيز، لأن عمق الحب وأصالة المشاعر التي تشرب بها الشاعر لا تبيح له أن يكون في هذا الموقف ليعطي الوهم صورة الحقيقة، ويستبدل بالخيال واقعاً حيّاً وينتقـي من تراكيب ألفاظ الرثاء التي تفجِّرها لوعة الحزن ما لم تكن قادرة على إثارته حالة الوهم أو الخيال أو التصنع وهذا ما أكّده الشاعر في هذه القصيدة لأنه شاعر مطبوع وصادق. عذاب اللَّمى، كبيض النَّقا في رطب الثرى، جلته الصَّبا، طِوال الذوائب، ولا بدَّ لنا ونحن ندخل في أجزاء المعاني التي عرضها الشاعر من الوقوف عند الإيقاع النغمي الذي اختاره الشاعر وهو يصف هذا السرب، وارتضى أن تكون الألف المقصورة وهي تنقطع بحركة، وتنتهي بإشارة هي النغم المُردد والدور المعاد في كل مقطع من مقاطع الأبيات. . فالسرب كأمثال الدمى، منتهى المنى، يضئن الدجى، قصار الخطى، شموس عن الخَنا، خدال الشوى كمور السُّقى، عذق الثرى، عذاب اللُّمى، كبيض النقا، قرد الثرى. . جلته الصبا. .

إن استمرار نفس الشاعر وبهذه الصياغات الموسيقية ذات الإيقاع الفني المرقص، والوزن الشعري الملفت، تثير حالة أخرى من حالات الموافقة بين اختيار اللفظة ورنّة الأسى، وشدَّة الانفعال، وعظم المصاب، ووحدة الحزن وامتداد نشيج العويل الذي تخفيه أنَّات البكاء أو تـطويه

حسرات الفجيعة.. ويصل في أواخر اللوحة الخاصة بهذا الضرب من الغزل إلى إعراض النساء عنه لما شاب، ولم يكن له ذنب في ذهاب الليالي، ودوام الأيام، وهنا يُرضي نفسه بأنه إذا رأى منهن الصدود في هذه الأيام فإنه سبق له أن نال من لذاتهنَّ مآربه، وهي حالة من الشعور باليأس، وإحباط يوحي بالتراجع، وصورة تُدلّل على الإخفاق الذي كان يمتلك خوافق الشاعر. وبعد أربعة عشر بيتاً من هذه المقدمة التي اختلطت فيها صور الصدور والوصال، والصبابة والبعاد، .يمهد إلى حالة الرثاء الذي يفتتحه بذكر الذين رزي بهم من أخ وعم وابن أخ سمح، وصاحب وابن عم. كلهم تتابعوا. وإنَّ المصير الذي ينتظر الجميع هو الموت، وإنهم كانوا جميعاً بحوراً إذا اشتدَّ الشتاء، وفتيان هيجاء، وحاول الشاعر أن يوحي بجوّ الحزن ويعيد إلى الصورة دفقات الشجن، ورنّات الفاجعة من خلال الصور التي يقدمها ونختارها. فنائبات الدهر لا يرجعن هالكاً إلى أهله، ونوائب الدهر كثيرة لا تترك مغتراً لفقره، ولا تصانع أهل الرغائب، ولا تهاب قوم الشجاع ولو زحفوا من دونه بالكتائب، وأن الفتى رهن المنايا.. وفي هذه المعاني تتجلّى تقريرية الإيمان بالموت، وتتضح وجاهة الأسباب التي يبرر بها عناصر الحدث الذي أحكم قبضته عليه، وضيق أبواب الإفلات من دائرته...

وتمسك أبيات الحكمة بتلابيب المعاني التي يريد أن يحشدها ليبقى مشدوداً إلى جو الحزن الذي أوحت به هذه التقريرية وانسابت إليه الأفكار التأبينية التي تعود الإنسان عليها عندما تشتد به حالة اليأس وتكبر في نظره مساحة المأساة ليصل إلى طيف (داود) الذي هاجه بعدما دنت تاليات الكواكب.

وله قطعة في مديح سعيد بن عبد الملك وهو سعيد الخير، ويذكر سعيداً في غزوه أرض الروم سنة مائة وخمس وكانت غزوة الصائفة سنة ست ومائة[1]، وربما تكون صلة الشاعر به في هذه الفترة، لأن أخباره تمتد

---

(١) الطبري ٧/‏٢١، ٢٩.

إلى سنة ١٢٦ عندما يكتب إليه مروان بن محمد يطلب منه أن ينهي الناس ويكفهم[١] وتأتي أخباره متفرقة سنة ١٢٧[٢]، وهو تاريخ لم نجد فيه للشاعر ذكراً ومن المرجَّح أن تكون صلة الشاعر به كانت في المرحلة الأولى، ويذكر سعيداً في أربعة أبيات ويشير فيها إلى أنه قارب العشرين فقادوا إليه الأمر ميموناً[٣].

وتتباعد أخبار الشاعر وهي تأتي متناثرة في مطلع قصيدة، أو ذكر بيت من الشعر يحفل باسم أو يعبر عن حالة، أو يتأسَّى لفقد ولد، أو يرد على أحد يحاول التجاوز عليه. وهي حالة أخرى تخفي المعالم البارزة في حياة هذا الرجل الذي تميَّزت حياته باستقرار الرأي، وعرف شعره طريقه إلى المديح الصادق والتعبير عن الحسّ المتدفق، واختيار الصور الوجدانية التي أحسن التقاطها ووفق إلى الوصول إليها.

إن حياة أسرة الشاعر غير معروفة ولكن قصيدة واحدة في شعره تشير إلى أنها قيلت في رثاء ابن له يقال له داود، ويبدو أن جزع الشاعر عليه كان شديداً، وألمه مُمُضّاً، وحسرته فاجعة[٤] وتصل أبياتها إلى أربعة وستين بيتاً وهو في رثائه يسلك ما سلكه في مقدمة رثائه لعبد العزيز بن عبدالله بن خالد حيث افتتح أبياته بمقدمة غزلية توحي بابتعاده عن اللهو، وعزوفه عن النساء، وهو في البيت الثاني من القصيدة يشير إلى ابن آخر له هو (محمد) ولم نجد له ذكراً في كل الأخبار التي وردت عنه وقد ذكره في موضع اللوم له ولأصحابه لإعجابهم بالكواعب، وقد أشار أبو الفرج في أخباره إلى أنه لم يكن له غير داود الذي جزع عليه حتى خولط.

ويستمر الشاعر في مقدمة مرثيته في محاكمة نفسه وما يمكن أن يقال له وهو يطلب من الآخرين الابتعاد عن النساء، ويعلم بأن الجواب

---

(١) الطبري ٧/٢٣٨.
(٢) الطبري ٧/٣١٤، ٣١٥، ٣٢٧.
(٣) تنظر القطعة رقم (١٩).
(٤) تنظر القصيدة رقم (١).

الذي سيجابه به هو كيف تنهانا وكنت تجبُهنَّ، ويعود إلى نفسه ثانية ليبرر إعجابه وعودته إلى الحديث عنهنَّ وقد سرن أسراباً كأمثال الدمى، يُضئن الدجى، قد امتلأت أجسامُهنَّ، قصار الخطى، بعيدات عن كل ما يشين عفتهنَّ، ينثنين ليناً، والليل هنا له الصورة التي عودنا على ذكرها كل الذين تفزعهم ظلمته، وتغشاهم سعته وتطويهم أستاره ولكل واحد منهم فيه مأربه.. وهنا تتفجَّر في نفسه عاطفة الأبوة وتستثار أحاسيس الغربة والفُرقة وذهول الفجيعة، وترتسم له صور (الصدى) الذي يحلم بلقائه ليخفف عنه.
وهنا تتجلَّى فلسفة الحياة والموت، ويقف الشاعر عند الحقائق التي يعجز عن إدراكها البشر وهي تتمثَّل في غياب الإنسان الذي لا ينسى، وهل هناك عودة لآيب، وصحبة مع من لا يُقدر على فراقه، وإذا أيقن الإنسان بأنَّ الموت حقيقة لا بدَّ منها، وأنه يفرق بين الأعزاء ويباعد بين الأحبة، ويترك الحياة نهباً لطوارىء وأحداث تتحكَّم فيها بمصير الناس بما قدر الله عليهم فإن النزوع إلى كل الوسائل التي تخفف من هول المصيبة، وتبعد الإنسان عن الهواجس القاتلة هي المعوَّل عليها في إزاحة بعض الهموم، وإبعاد أشباح الغربة القاتلة، وفي الدعاء للميت بالسقيا، وما يُعلّل به هذا الطقس الديني من أخبار، ويتصل به من معتقدات، ويداخله من أسباب تقديس الماء صورة من صور الرضا، ووجه من وجوه القناعة التي تُدخل إلى النفس إحساس الراحة وهي تدعو الله أن يسقي قبر الميت بالماء المسُح من كل جانب، لترتوي الأرض، وليظل القبر نديَّاً رطباً تزهو فوق حفافيه خضرة الجنة، وترتوي من مياهه النفوس العطشى. وهي ترتبط بتقديس الماء من جهة، وبندرته من جهة أخرى، ويستمر الشاعر في وصف السيل الذي يغمر الأرض ويملأ الجزيرة ويصل إلى العراق، ويتابع هذا الماء وهو سحاب يتخلَّله البرق، ويُجَلّل المناطق والمواضع والأصوات، وتأخذ بكل طرف من أطرافه، وتتوالى أسماء الأماكن التي يُصيبها، والرياح الشآمية واليمانية والصّبا والسيل ورجيفه الذي يخيف الوحش، هذه اللوحة التي يطيل فيها لينتهي إلى إرواء صدى داود وتصل إلى عشرين بيتاً. وهي لوحة تستحق الدراسة وتمثل حالة فريدة في تجسيد هذه اللوحة لأنها نادرة وعزيزة في

مثل هذه المواقف، وأنَّ الشعراء عودونا على إيجاز هذه الصورة ويكتفون بالبيت أو البيتين اما أن تستمر وتمتد إلى هذه المسافة وتستغرق هذا البعد المعاني وتنتشر لتشمل هذه الباحة الكبيرة وتدخل في دائرتها أقطار شاسعة ومناطق متباعدة، ولا يخفي الشاعر راحته وهو يرى هذا السيل الكبير وقد غمر الأرض وسدَّ كل الوديان التي بقيت تشكو الجدب لتقرَّ العين وتسعد النفس وهي ترى مكان (داود) وقد تدافعت السيول حوله وهي صافية زرق، وارتفعت أصول الشجر وتهدي روايا سيبه وسجاله (لداود) وهي مواهب من مواهب الرحمن ويشير البيت (٥٩) من القصيدة إلى أنه استشهد وهو يشارك في الفتح على أيدي الروم وأنَّ هذه الميتة عدَّها مفخرة لأنه شارك في الجهاد بتضحية ولده وكأنَّه أدَّى حقاً فنال أجر الدنيا وثواب الآخرة. وهي إشارة أخرى لم نجد في حياته ما يكشف عن توجهه هذا وإسهامه في قوافل التحرير التي حاولت أن تحفظ حدود الدولة وتصدّ هجمات الغزاة (تنظر القصيدة الأولى).

ويأخذ الطيف في القطعة الرابعة دوره المرسوم وهو طيف (عُليَّة) التي أرِقَ له وينحى في سياقها منحى القصائد الأخرى وهو يقطع القفار الخالية التي لا يسمع في آخر الليل فيها الصدى، وهو على غير المعتاد من مطالع القصائد تثيره رسوم الديار وتهيبه ظعون الأحبة بعد المقدمة ثم يباشر الحديث عن الحبيبة التي بدت من بين السجوف عشيَّة، فيعرض لأوصافها، ولكنه ينتقل إلى الحديث عن سليمى التي يطيب ريقها نشوىً، والشاعر هنا يستخدم صيغة (ما) النافية و(الباء الزائدة التي تتصل بخبرها) على عادة شعراء هذيل[1]. وهي ظاهرة واضحة في شعرهم.. ويبدو أن هذه المقدمة التي استغرقت أحد عشر بيتاً مهدت لحديث الصدود والهجران وخلف الوعد، وكأنَّ الحديث لا يذهب إلى (عُليّة) أو (سلمَى) ولكنه يذهب إلى

---

(١) تنظر الأبيات [٩ ـ ١١] من القطعة الرابعة والأبيات [٤ ـ ٢٧] من القطعة الثانية عشرة والأبيات [٢٧ ـ ٢٩] من القطعة الثالثة عشرة والأبيات [٢٦ ـ ٢٧] من القطعة الرابعة عشرة.

الحديث عن ظاهرة نكث الوعد والغدر والحقد والضغينة وما يصادفه الإنسان من أخلاق البشر الذين يزهد عنهم حياءً، وحفاظاً على ما يريد الحفاظ عليه لا رهبة منهم على الرغم من نكثهم الميثاق وإخلافهم المواعيد وهي حالة ظلَّ الناس يشكون منها ويحاولون أن يعبروا عنها بكل الأساليب التي قدروا عليها. ويظل نفس الشاعر وهو يعبر عن الحسرة واللوعة واللذَّة الزاهية هي المعاني المكرَّرة، ويبقى ذكر (ليلى) هو النغم المردد في حديثه، وصوت الفراق هو الصوت المرتفع، وهنا لا يجد مفراً من الوقوف عند ذكر الشيب الذي يعلو رأسه ومفارقه ويعدّه الوازع الذي يحول دون ذلك.. ويبقى حديث القلب اللجوج الذي لا يرجع عن غيِّه، الهائم الذي لا ينتهي هو الحديث الذي يترك النفس حائرة بين موت يُرَيحُها، وعيش لا يؤمل فيه نفع. وكعادة الشعراء الذين يسألون الله السلوة عند هجر الأحبة وهنا يجد الشاعر فرصة التعبير عن حالته وهو يختار الحب الذي يميت الإنسان موتاً من غير علَّة ولا مرض، وعنده تحسن عاقبته ويحمد صبره، وتكرّم نهايته[1]..

ويلمّ الخيال الطارق مرَّة أخرى في القطعة السادسة وهو ليس خيال (عُليَّة) وإنما خيال (أم حكيم) التي كان يهواها الشاعر وهي امرأة من قضاعة مجاورة منهم يُقال لها (ليلى بنت سعد) وكانا يتواصلان بُرهة من دهرهما، ثم تزوجت ورحل بها زوجها إلى قومه، والشاعر يحرص في كل قصائده على تحديد المواضع التي يقف عليها، وتكاد تصبح قصائده معجماً للأماكن التي يرتادها أو يريد أن يتحدَّث عنها، ومعجماً للنباتات والأشجار التي كان يستظل بها، أو يأوي إليها أو يجد فيها ملاذاً[2].

ولا بدَّ أن تأخذ أوصافها مساحة من القصيدة وهو يعرض لها تفصيلاً، وإنه تعلّقها بكراً لذيذاً حديثها، فكان لها ودُّه الذي طال به حتى شاب رأسه وهي حلة طويلة وعلاقة ممتدة، ذاق حلاوتها وعرف وجدها وشوقها، وتبدو

---

(١) تنظر القطعة رقم (٥).

(٢) تنظر القطعة رقم (٦).

حرقة الشاعر وهو يودعها فيودع معها السنين الطويلة والحب الكبير الذي ملأ عليه أطراف الحياة فلم يترك لقلبه فسحة لغيرها، ويصل (الصدى) بكل ما تحمله الأسطورة عن أوهام هو النهاية الباقية بعد الموت، وهي التي يكتب لها أن تلتقي، ولم يحل دون لقاء أصدائهما بعد الموت رمس من الأرض، وإن صدى أصواتهما تظل تتناجى وإن كان رَقة مع صوت صدى (ليلى) يهش لها إذا هشَّت ويطرب لها إذا حدثت، ويرتاح لكل كلمة منها إذا نطقت.

إن صوت الشاعر وهو يعبِّر عن عمق إحساسه وحبِّه، ويقدِّم هذه الصور الرائعة التي تجسَّدت عند الشعراء العشاق تضيف إليهم شاعراً آخر، يمر بالتجربة التي مروا بها، ويُعاني لوعة الجفاء التي عانوا منها، ويتحمل مرارة الشوق التي تحمَّلوها، فأغنى عطاءَهم الشعري برافد جديد، وأضاف إلى حركة الشعر العذري الذي عرفه القرن الأول الهجري إضافة لها أبعادها وخصائصها، وهي تجربة عبَّر عنها الشاعر بعواطف غنية، وقدَّم إلى ديوان الشعر العربي نماذج خالدة في هذا الفن الشعري..

وفي القصيدة السابعة تذكر (أم حسَّان) وهي قصيدة يمدح بها أبا خالد عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد وهي قصيدة عامرة تصل إلى اثنين وخمسين بيتاً تستنفد المقدمة الغزلية فيها ثمانية وعشرين بيتاً حتى يباشر الغرض بعد أن يمهد له بما يُسرُّ ويبهج من غزل عذري، وأوصاف مقبولة، ويتَّخذ من الحديث عن الأبل مدخلاً للمديح لأنها وسيلة الرجال إليه، وقد قطعت من أجله البيد والأميال وعليها الفتيان الأقوياء، ومن الطبيعي أن تكون الرحلة طويلة لتكون المشاق أصعب والجهود أكبر ولهذا جاءت أوصاف الشاعر لهذه الإبل وقد برت الأيام والأحداث أوبارها لما قطعته من مسافات، إلا أن ندى عبد العزيز كان لها كفاً يجري، وكان سراجاً وبدراً يستضاء به بالحلم والمال والمعروف. وهي صفات تقال في معظم الممدوحين، وتوشك أن تصبح أوصاف تقليدية، فهو يهب المهارى وشفع الخيل ذات الأولاد والقينات (وهي صورة تذكرنا بمدائح النابغة

للنعمان وتكاد تكون المعاني والتراكيب متشابهة إلى حد كبير). إن أوصاف الشاعر ومديحه ووفق هذه الصيغ وإضفاء البطولة والشجاعة، ووصفه وقومه بأوتاد الأرض إذا شُدَّت بهم ثبتت تؤكد إيمانه وعقيدته وصدقه في كل صفة أضفاها، وإننا لم نجد الشاعر يخص أحداً بمديحه إلا هؤلاء الأشخاص الذين استنفدوا شعره ووجد فيهم ما يرضي نفسه ويحقق ذاته.

وتأتي القصيدة الثامنة في إطار مديح عبد العزيز بن عبدالله بن خالد، وعدد أبياتها أربعون بيتاً يفتتحها بمقدمة غزلية يعرض فيها (لليلى) و(أسماء) ويقول فيها ما يقول من لاعج الشوق وجميل الهوى ثم يقف في بيتين من أبياتها عند الأخلاء الذين كان لهم راع وأمين وواقب، وفي البيت الخامس عشر يصل إلى عبد العزيز الذي له من الخالديين الذرى والذوائب، وأن قصائده لا تصلح إلا لمثله، وأنَّ أيَّة قصيدة لغيره لم يرفع بها الراكب صوتاً، وإنه يقسم على نفسه بألَّا يقول قصيدة إلَّا بمدحه ما نزل الركبان بالخيف من منى.. وما خاض الظلام الكواكب. وأنَّ خندفاً تعلم أنه فتاها عند اشتداد الأيام العصيبة وإنه أغرُّ يُعطي من الجود ماله، ويبقى هذا الصوت مرتفعاً في القصيدة وهو يكيل له المديح، ويعدد الصفات وأنه يربط حياته بحياته ويضع نفسه في نشر فضائله، وهي لوحة أخرى من لوحاته التي يتابع فيها النهج التقليدي في بناء القصيدة، ويلتزم بالقواعد الأساسية التي عرفها هذا البناء في خطواته وتراكيبه وصوره. وإن تميَّزت صور الشاعر ومفرداته بغرابتها من جهة، وبرقة مشاعره من جهة أخرى. كما أن محاولة لتحليل بعض نماذجه تعطي الوجه الحقيقي لخصائص المفردات التي يكثر استخدامها وهي تنصرف إلى (الرمل) و(المطر) و(آثار السيول) و(بطون الأودية) و(الرياح) و(العسل) و(النحل).

وفي قصيدته (رقم ١٠) التي يمدح بها عبد الملك يسلك ذات المسلك من حيث المقدمة التي يعرض لها يمثل ما عرض له في معظم قصائده، ولكنه يحاول ألَّا يكون نموذجاً تقليدياً جاهزاً أو صورة مطابقة، لأنه يدخل في كل مقدمة أبياتاً يعبِّر فيها عن أصالة شاعريته، وما يكابده من

شوق ويحمله من أحزان بسبب الصدود الذي ظلَّ نغماً مردداً في كثير من قصائده. إن صورة العواطف المتدفقة، وصدق الإحساس الذاتي الذي يتدفَّق من ثنايا أبياته يوحي بمعاناة الشاعر الحقيقية التي كانت تضيع أصالتها في خضم اللوحة التقليدية التي يلتزم بها وفاءً للبناء الفني، وإرضاءً للذوق العام الذي يتحكَّم في الاختيار ويحدد معالم الشهرة والاستشهاد. وفي هذه القصيدة يقدم لمقدمته بستة عشر بيتاً وفي البيت السابع عشر يصل إلى أمير المؤمنين الذي أنهى موضوع (ابن الزبير) ويقف عند أطراف من المعركة وما جرى فيها، والعسكر العرمرم والنتائج التي يتوقع أن تصل إليها الأحوال لو استمرَّ الصراع، وهو في قصيدته يقف بكل قوَّته إلى جانب الخليفة الأقوى وهي مسألة طبيعية بعد أن أوضح في مناقشته لابن الزبير رأيه بصراحة، وكشف عن إيمانه بأحقِّيتهم في الخلافة، وهو رأي يُدلل عليه بحججه التي أوضحها.

وفي القصيدة الرابعة عشرة يمدح خالد بن عبد العزيز بن عبدالله ويفتتحها بحديث الهجر والطيف والحبيب المباعد، ليصل إلى وجيف الناجيات المواخد، وهي تقصد الممدوح والصور تقليدية مألوفة في قصائد المديح ولكنها تختلف عن لوحات المديح التي عرفناها في القصائد الجاهلية أو القصائد التي سلكت مسلك القصائد الجاهلية والتي نهجت فيها منهج تشبيه الناقة بالثور الوحشي أو البقرة الوحشية لتنتهي بلوحة الناقة التي تكوّن المرحلة الأخيرة من القصيدة، فالشاعر في مديحه يباشر الحديث عن الناقة ويسقط الوسائل الأخرى التي تعطيها سرعة الانتقال وقوَّة المقاومة وهي قصيدة تمثل نمطاً جديداً يتناسب مع المرحلة الجديدة لتطور القصيدة، ويعطيها وجهها المناسب مع انتقال المجتمع ووجاهة التعبير، فالناقة تقصد خالد بن عبد العزيز وترجو رفده لأنه أكرمُ مأمول يُرجى، ورافد يعطي، وبدر يستضاء بوجهه، وهو يقيم بدار الحمد يغشى نداهُ قطينه بمنزلة لم ينزلها إلا فتى مثله. نمى من فروع العيص في المجد والذرى لا يصل إلى مجده أحد، ولا يبرز عليه ساع، عطاؤه وفير، وصور مديحه قريبة من صور النابغة، فما مَسيل بالماء جاشت بحاره بأغزر من فيض الأسيدي

خالد. وإذا كان الفرات هو الصورة التي وجد فيها النابغة وجهاً للمقارنة، فإن دجلة هو الصورة التي اتّخذها الشاعر وتبقى صور العطاء تتردَّد وتتكرَّر وهي تغدق على الممدوح بأوصاف المديح التي قل أن نراها عند شاعر آخر، وهي حالة جديدة من حالات الشعر العربي التي تطالعنا في نهاية القرن الأول الهجري وهي تزخر بهذه الصور التي تذكرنا بصور المديح التقليدية التي عرفها الشعر العربي قبل الإسلام.

ونهج في القصيدة الثالثة عشرة منهج قصائد المديح الأخرى التي استنفدها في بني أسيد وبعد أربعة عشر بيتاً من الحديث الذي تناول فيه الشيب والشباب وذكر بيضات المجال والهجر المباعد واهتياجه عند الغداة لرسم الدار بمندفع السوائل من أثال وقد راحت به الرائحات تغدو وترمي رُباه بحصى التلال وإن ديار (شموس) و(جارتها) و(أم الجهم) هي التي ذكرته بالليالي اللواتي استبين حمى فؤاده، يتحدَّث بهذه المقدمة التي تأتي تكراراً لما ذكره في بعض قصائد المديح التي عودنا عليها ليتخذ منها جسراً لبني أسيد الذين يفديهم حيث كانوا بما يملك من أهل ومال. وهو لا يستثنى من آل خالد أحداً لما عرف فيهم من كرم وعطاء وأرومة أصيلة وانتساب إلى قريش وعدالة حكم وعراقة أبوّة، ودعائم راسية ثابتة، وفروع عالية. وهي فريدة أخرى من فرائد الإشادة بممدوحه من الأعياص.

وتطالعنا القصيدة الثانية عشرة وهي غريبة في بناء معانيها، وجديدة في سياق تركيبها وفكرتها، فهو يبدؤها بالحديث عن النأي والبعاد، ويقسم بالله الذي اهتز عرشه فوق سبع والشاعر في بعض قصائد الغزل يقسم على حبه، ويغلظ الإيمان في ذلك ليؤكد حبه. وهي ظاهرة في شعره لها دلالتها، لأنها تؤكد إخلاصه وصدقه من جهة وإيمانه بهذا الحب وتضحيته من أجله من جهة أخرى[1] وإن هذا القسم الذي يقدمه يؤكد فيه علاقته (بليلى) وهي علاقة لا تنتهي ما سقى الشرب النخلا، ولا بدَّ أن يجد لهذه العلاقة صورة ينتزعها من محيطه الذي يعيشه، ويختارها صورة لها حجمها

---

(١) تنظر القصائد الخامسة والثامنة والحادية عشرة والثانية عشرة والخامسة عشرة.

في الأحداث التي تمر بها الدولة في عصره. فوجده بليلى كوجد شمطاء أفلتت بنيها ولم يبق من أبنائها غير واحد، حنَّت عليه، وضمَّته إلى كبدها، وحرصت عليه بعد أن جَرَّبت الثكل والفقد حتى شبَّ رمحاً ماجداً، كريماً قوياً، يحترمه الشيوخ ويقدرون مقامه، عرف بشجاعته، وكتب له أن يكون في مواكب (الغزو) مع فتية كرام أقوياء ولما عرفت همته وعزمه على الغزو ورأت أصحابه أذنت له وقالت لعلَّ الله أن يجمع الشمل فسار في جيش (الفتح) غازياً لمدَّة شهرين ولما حان موعد اللقاء مع الخصوم كان أوَّل المتقدمين للقتال فكانت له صولة مشهورة وبطولة نادرة، إذا اختلف بالنبال تميز، وإن شدَّ على الخصوم عرف، وإن ضرب كانت البيض على رؤوس المشركين تتوالى، حتى أتاه كميٌّ مجرّب، تعاوره طعناً فخرّا وجالت عنهما فرساهما فسوّوا عليه قبره ثم راحوا ببزّه وعند عودة المقاتلين لم تره في القوم، ولم ترَ إلا سيفه ودرعه ونبله ونضخ دماء فوق قميصه فولولت وصاحت وضجَّت بالبكاء ليل نهار وجداً عليه وتنتهي الصورة ليقول: وأيسر ما أبدى بليلى هو كوجد هذه الثكلى ولكنه يتميَّز عنها بأنه يُبدي لها خُلُقاً جزلاً.. إنها حالة من الحالات التي لم أرَ نظيراً لها في مثل هذه الأحاديث، وفي مثل هذه الفترة، فقد استغرق الشاعر اثنين وعشرين بيتاً ليصف (وجد الشمطاء) ويقدم لنا صورة حيَّة، ونموذجاً معروفاً استمدَّه من صور المجاهدين الأماجد الذين حملهم الإيمان، ودفعهم حب الجهاد ليقودوا مراكب النصر، ويكتبوا ملاحم البطولة، وينشروا رسالة الإنسانية إلى العالم وينقذوا البشرية من مهاوي الجهل والتخلف والشرك.

وفي القصيدة الخامسة عشرة نفس غزلي صريح يباشره بنوم الخلي ولكنه يبيت الليل لم ينم، بعد أن تكلّف بنوى (ليلى) وكان يحسب نفسه جلداً إلا أن طيفها الطارق يفتحه وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى افتتاح الشاعر بعض قصائده بذكر الطيف الذي يثير في نفسه لواعج الذكرى ودواعي الليالي المنصرمة[1]، ويستمر في أوصافها وما صنعه فيه هجرها. وفي

---

(١) تنظر القصائد الرابعة والسادسة والرابعة عشرة والخامسة عشرة.

الأبيات [١١ ـ ١٦] تطالعنا أبيات تتعالى فيها مقاطع نغمية منتظمة، وأسجاع مرسلة تحدد نهايات متشابهة وقوافي موحّدة. .

عَذْبٌ مُقَبَّلُها خَدْلٌ مُخَلْخَلُها كالدِّعصِ أسْفَلُها مَخْصُورةُ القَدَم
سـودٌ ذوائبُها بيضٌ تـرائبها مَحْضٌ ضرائبها صنعت على الكرم
شُنْبٌ مثاغِرُها يَرضي مُعَاشِرُها لِذٌّ مَنَاشِرها تشفي من السقم
عَيْلٌ مُقيّدُها حَالٍ مُقلّدُهـا بَضٌّ مُجَرَّدُها لفاءَ في عمم
دُرْمٌ مَرَافِقُها سَهْلٌ خلائقها يُروى مُعَانِقُها من بارد النسم
طفلٌ أنامِلُها سمحٌ شمَائلها ذوالعِلم جاهلها ليست من القزم

وتأتي الأبيات [١٧ ـ ١٩] بتقاطيع أخرى وأنغام مسجوعة تعقدها قوافٍ متشابهة.

كأن مُعْتَقةً في الدَّن مُغْلَقَةً صَهْبَاءَ مِصْعَقَةً من رَاني ءٍ رَذِمِ
شيبتْ بمَوهبةٍ من رأس مَرْقبةٍ جرداء مَهْيَبَةٍ في حالقٍ شمَمَ
من رأس عاليةٍ من صوب غاديةٍ في أثرِ ساريةٍ أعقاب محتدمِ

إنها تذكرنا بالموسيقى الداخلية التي أكثر من استخدامها الشاعر، وأحسن في اختيار مقاطعها، ووفق إلى بث النغم الموسيقي، وهو يعبِّر عن إعجابه بجمالها. وهي حالة عروضية متميِّزة ينفرد بها شاعرنا ـ وفي هذه القصائد القليلة ـ وكأنه يريد أن يوفق بين نغم العاطفة المتعالي، وقـدرة التقطيع الشعري والموسيقى الداخلية التي أدخلها نغماً مضافاً، وتقـطيعاً عروضياً متواصلاً بحكم الشـدّ بين طرفي المعـادلة الشعـرية، أو يحكم التنسيق بين الأجزاء التي يمكن أن تشكل القافية الداخلية فيها محاولـة أخرى لتوحيد التركيب الموسيقي بين كل وحدة من وحدات التكوين ولا بدَّ أن تنتهي الأبيات بالقسم الذي عوَّدنا عليه الشاعر في نهايات قصائده الحادة وعندما تحتدم في نفسه سورة الوجد. القسم هنا يتعاظم فيجمع بين الله والتوراة والنور والبيت والأركان والحرم ورب مراكب الحجيج والإنجيـل

والقلم والسطور والمسجد الأقصى وزائره وهو يؤمن بأنه ليس وراء هذا النوع من القسم قسم آخر. يقسم بكل هذا بأنَّ وجده (بليلى) هو ضعف ما وجدت شمطاء بثكل بعد الشيب والهرم.

وفي قصيدة غزلية رقيقة[1] من خمسة وثلاثين بيتاً يعبِّر الشاعر عن أرق عواطفه وأجمل أشواقه بوزن شعري متوافق، وقافية متحرِّكة توحي بأحاسيس وجدانية طاغية، ومشاعر ذاتية وحسيَّة غير محدودة. ويمكن أن تقع هذه القصيدة في عداد القصائد الغزلية المشهورة التي عرفت في عصره، وتداولها أصحاب الأخبار، وتناقلتها كتب الأدب. ولكن الغريب أن يبقى شعر هذا الشاعر محدود الاستشهاد، قليل التداول، اقتصرت مواضع الاستشهاد به على بعض المجاميع وتحدَّدت في بعض المقطوعات وبقيت الكثرة الكاثرة من شعره بعيدة عن التداول..

ويمكن إضافة القصيدة الثامنة عشرة إلى مدائحه وهو مديح مباشر لا يقدم لها بمقدمة وفي أربعة أبيات أخرى يمدح سعيد بن عبد الملك بن مروان مديحاً مباشراً.

ويفتتح قصيدته اللامية (القطعة الثالثة) بالحديث عن الشيب الذي يكره والصّبا الذي زايله فبكاه بكاءَ الثاكل حتى جعله يهاب دخول بيوت الغزلان ويُميّل عنها بسبب شيب العارضين وقد أخذ حديث الشيب من أبيات هذه القطعة مساحة واسعة كرَّره في أكثر من بيت. ولم يكن الشيب وحَده قد أثقل عليه حياته، وإنما تكاثرت عليه همومه وهو ما لم يتضح من سيرته التي وقفنا عليها، فقد استحالت عيْشته اللينة إلى عيشة ضنكة، وبدأ يعاني من ضعف صحته وفتور عظامه وألم مفاصله وغشاوة على بصره وهي علامات الهرم والشيخوخة وتؤكد وصوله إلى سن متقدمة حتى أصبحت حياته عبئاً عليه بعد أن لازمته هذه المتعبات، واعترته حالات المرض الثقيل.

وهنا تأتي (أثيلة) التي جسَّد في سؤالها السؤال الكبير الذي يعطيه

---

(١) القصيدة رقم (١٥).

أسباب الدخول إلى ذات الفكرة التي يريدها وهو يضع الصورة التي أصبح عليها ليعرب لها (في التجسيد) ويكشف لنفسه (في الحقيقة) عن الفلسفة التي تخفي هذا الجسد الناحل في أطمار بالية بعد أن اعتراه البلى، ولكن هذا لا يدفعه إلى اليأس ولا يقتل في أعماقه إرادة القوة، وحيوية الاقتدار فالسيف الذي يرث غمده يبقي قاطعاً، والرجل الذي لا تعجبك صورته يكون عند الكريهة باسل، وكأنه أراد أن يمهد لحديث عن الحكمة التي ختم بها القصيدة، وهي إشارة أخرى من إشارات التقدُّم بالسِّن والتي أملت عليه هذه التجربة ودفعته إلى الحديث عن الحكمة وعن السرائر التي يعلمها الله، والأمانة التي يُحمد حاملها والحفاظ على الجيرة والابتعاد عن التخلُّق بخلق اللئيم، وهي أحاديث لها صوتها في تجربة العصر ولها أهميتها في مرحلة وهو يصل إلى سن متقدمة.

ليس سهلاً على الإنسان أن يكتب شعراً فيه خلود العاطفة، وليس سهلاً عليه أن يختار المواقف الحادَّة في حالات الشوق ليصوغ فرائد باقية، يتهافت على قراءتها العشاق ويتداول أبياتها الرواة والمغنون ويُنشدونها كل ما وجدوا متسعاً من الوقت أو فسحة من الراحة، أو استجابة نفسه، وليس سهلاً على الإنسان أن ينقل هذه الأحاسيس إلى دائرة الآخرين ليضعهم فيها. يتحسسون الحالة المعاشة، ويجسدون اللحظات الحالمة، وينعمون بما تفرضه عليهم أسباب الانتشاء، وقد تكون هذه الحالات بعيدة عن المتعة الحسية، وخارجة عن إطار اللحظات السعيدة التي يدركها الإنسان وهو غير قادر على مواجهتها بما يتناسب معها من اعتبارات ويتفق معها من أهمية، لأن الإحساس العاطفي الذي تسرَّب عبر قنوات الشعر الخالد، وقرىء في فرائد القطع الأدبية الرائعة، ونقل من خلال الأحاديث التي حملها العشاق على امتداد التاريخ تؤكد أن الخلود لا يكمن في التعبير المباشر ولا يُصاغ من خلال اللحظات العابرة ولا يعيش في إطار المُتع الزائلة، وإنما هناك لغة غير هذه اللغة، وتعبير يختلف عن هذا التعبير، وصوت له رنينه وكلمات لها وقعها، وإشارات لها صمتها وبوحها، كل هذه الصور تعطي الإنسان قدرة الإيحاء وترسم له جلال الموقف وتمنحه قوَّة غير

قادر على امتلاكها في الأوقات الاعتيادية. إنها حاسة أخرى من حواس البشر وقوة الهام لا يقوى على دفعها. وقد تكون هذه القوَّة هي الوجد الذي اصطلح على المتصوفة وهي الإلهام الذي عبَّر عنه الشعراء، وهي السكوت الذي تعقد عنده الألسنة وتقف في حضرته كل الكلمات حائرة خائفة.. لأن مبعث الكلمات لا يوافق حالاتها وهي تقال في المواقف الاعتيادية،! وجوهَرها الذي تنطلق فيه يتداخل في تراكيب لم يألفها حتى صاحبها.. من هنا كان حديث الشعراء الذين وُهبوا قدرة التعبير وهم في حالات غير اعتيادية يمثل الحديث الإنساني المبدع، وينقل الصوت الشعري النقي.. إن وجوه الحوار الذي يستطاب في ظل المواقف غيرِ الاعتيادية يعطي النسخ الدافق، ويحكي روعة الوداعة الحالمة التي يراها كلٌّ من الشاعر وفي غمرة النشوة وتراها الشاعرة وهي في ثنايا موجات التعاطف غير المنظور.. وكلاهما كان يرى الأمور بوضوح ويتفاعل مع الأحداث بوجدان خاص، فاللقاء هو الوجه التعبيري عن اللحظات الصامتة، والوقت المطلق في نطاق المحادثة أو المعاش في إطار الزمن المحصور يتهادى على إحياء دفقات الشوق، ويكبر في دائرة الإحساس بامتلاك الزمن على أية صيغة كانت. وهذا الشعور يعطي الزمن بعداً مختلفاً، ويضفي على الكلمات رداءً جديداً، ويسكب عليها من وجدانه المجسوس ما يتركها قادرة على أن تتداخل في كل تركيب لتأخذ الشكل الموحي والصوت النغمي المطلوب، إن هذا الإحساس يمكن أن يقال في كل لون من ألوان القصائد الخالدة التي ردَّدتها الأجيال ووقفت عندها قلوب العشاق لتقرأ في دفقاتها أصوات حسّها، وترى في مواقفها الحيَّة ألوان شاعرها وهي تمرُّ في ذات اللحظة، وتعيش عين الموقف، وتتزاحم في ذاتها صورة النقاء الخالد وهو يتجدَّد بعيداً عن الزمن والمكان، وخارجاً عن إطار الإحساس المادي البحت، لأن صورة الوفاء والبقاء هي التي تعطيها هذه اللحظات قوتها في اختراق المسافات، وتمنحها واجهة التواصل الإنساني لتظل دائمة في كل ضمير يُدرك دوره في حُبّ الحياة وأهميته في إنعاش النفس. إذا كان أبو صخر الهذلي قد ترك قصيدته الرائية وهي تعبر أكثر من ثلاثة عشر قرناً، تشربت

بها حباً قلوب ظامئة، واستعادت بها ذكريات عـذبة ونفـوس متعطِّشـة، وتلمست في طوايا معانيها إحساساً واعياً مواكب بشرية طويلة. فهي أسهمت في التخفيف عن هـذه القلوب، ورفعت عنها أتعـاب الصدود والبعـاد، وأزاحت عنها كرب الهموم والوداع ونكبات الزمن وأحداث الأيام ووقائع الدهر، لأن الصدق في أبياتها واضح، والحديث في تسلسلها صريح ومُعبِّر وهو في كل مطلع من مطالع قصائده يختارُ (رمزاً) يناجي به همومه و (رمزاً) يكشف له عن وجده وفراقه و(ليلى) هنا هي الرمز و (دارها) (بذات البين) هي المناجاة و (الأخرى) بذات الجيش هي الذاهبة والدارسة ولكنهما لم يتغيَّرا وقد مرَّ بهما (عصر) وتوالى عليهما (زمن)، ولكن الدارين.. وهو يحدِّد فيهما كلّ رسم، ويعرف كل قطعة، وترتبط ذكرياته بكل (نؤي) أو (حجارة) أو (رملة) هذان الـداران تنكَّرا له ـ وهو يمهد من خلال هـذه المباشرة المحزنة، والألفاظ الموحية بالبعد، والإحساس بالخيبة ـ ولا بد أن يكون صدوفه عنهما هو الرّد المناسب وأعراضه هو الحل المعقول ولكن هذا الصدوف والأعراض لم يكن طوع إرادته، وإنما هو مكره عليه ومن هنا كانت دموعُه غزيرة وهو يقف عند هذه الدار أو تلك، وهي خير شاهد على حبِّه، لأن البكاء دليل المحبة، ولكنه يستعين بالصبر بعد أن يعجز عن الاستعانة بكل الأسباب ويستعين بمـا يمكن أن يبقى عند الأحبـة وهما يفترقان.. وتبقى لوازم الذكريات هي الوسائل المثيرة، ودواعي الشوق هي البواعث الحقيقية لكل الضياع أو اشتياق فنسيم الصبا يثير همومـه ولكن الذكرى وما تصاحبها من صور وتلازمها من وقائع ومواقف تظل ندية في نفسه حيَّة في قلبه ينتفض له مثل انتفاضة العصفور حين يبلله المطر. وهي صورة لا تقف عند حدود التركيب اللفظي أو الارتعاشة المصاحبة ولكنها تحمل الإحساس المثير وتعطي اللمحة السريعة لحالة الاهتزاز المفاجيء وهو يمتلك العصفور فترتعد أجزاؤه وتهتز خوافقه وتتحرك كل جزيئة من جزئياته فهي صورة متحركة ومتوثبة ومثيرة وهو ما ترك في نفوس المتذوقين وعلى امتداد هذه القرون روح التوثب والشعـور بالحـركة الحيَّـة والهزة الدائمة.. ولا بد أن يجد الشاعر بعد هذا التوفيق في اختيار الصورة وصلاً

لما أراد التعبير عنه أو تأكيداً لما أحسَّه وهو ينتفض فكان قسمه بالله الذي أضحك وأبكى والذي أمات وأحيا والذي أمره لا يُبدل وحكمه لا يتغير لكل هذه الصورة العريضة من القسم والمخيفة والمركبة وهي تتوالى بين ألفاظ متضادة أقسم الشاعر بأن (ليلى) الرمز والإشارة تركته يُغبط الوحش لأنه يرى كل اليقين منهما قد انتحيا جانباً وتآلفاً صحبة وانصرفا يتهامسان بما في قلوبهما من شوق لا يروعهما زجرٌ ولا تراقبهما عيون أو ترصدهما نظرات، تفسد عليهما هذه الغبطة، أو تحول دون اللقاء.. إنها انتقاءٌ آخر يوفق الشاعر له، وكأنه يفتش عن كل حالة يرى فيها الصورة التي يتمناها فتعجزه الحيلة، وتضيق عليه دائرة الحياة فيجد في هذه الألفة موضع غبطة، وفي هذا الصفاء صورة ود. فالشاعر يعيش حالات التضاد، فهو بين وصل وقلي، تشتد به حالة الشوق فيندفع لزيارة من يحب ولكنه يتهم بعدم قدرته على الصبر وهو يشعر بأنه يجمع بين كل هذه الحالات، ويُدرك كل صور الاختلال التي تتحكَّم بالإنسان وهو غير قادر على التحكم بإرادته وربما اختلطت بعض أبيات القصيدة بأبيات الشعراء العشاق الذين بقيت قصائدهم تتقاسمها أسماء الشعراء الذين عرفوا بحبهم وشهروا بعفتهم أمثال مجنون ليلى وربما جاء هذا الخلط بسبب المشاركة في استخدام رمز (ليلى) الذي وجد فيه أبو صخر نغماً حسياً وموسيقياً مناسباً وإذا كانت بعض صور المبالغة قد تداخلت في أبيات القصيدة، وإذا كانت حالات التواجد الصوفي قد تسرَّبت إلى بعض المعاني والتراكيب فإن التفسير المقبول لهذه المبالغة يكمن في صورة الحالة الهائمة التي تعيش في ذات الشاعر وهو يصل إلى حالة الاستغراق في ذات الحبيبة حتى تكاد يدُه تندي إذا مسَّها ويفرط في المبالغة ليصل إلى أن الورق الخضر تنبت في أطرافها، وهي حالة من حالات التصور المغرق في كل ما يرضي رغبته من هذه الصورة وإن الشاعر يتحدَّث بلغة يتحسس قدرتها على المخاطبة. ويعرف مواقع كلماتها في نفسه من جهة وفي نفس المخاطبة من جهة أخرى، وأما هذه القدرة وحدها تملك أسباب الخلود، وتترك للشاعر فرصة الإبداع، وتحيي في أعماقه لذة الانتشاء الدائم التي تتحول في وجوده صمتاً لا يقوى على مقاومته، وسكوتاً

لا يكابر في إخفائه حتى تستحيل الكلمات إلى إشارات وتذهب عنه كل المعاني التي أراد أن يتحدَّث بها والأفكار التي خطط لها حتى يرجع وهو لا يملك إلا الحيرة، وهنا تتعالى في ذاته لوعة الهجر الذي بلغ به المدى ويصل به الدعاء إلى أن يطلب المزيد من الجوى وأن الموعد النهائي لسلوته هو الحشر. وتتمثل ذروة المرارة في قوله.

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها   فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وفي حالة الذروة التي حصرها في استغرابه من متابعة الدهر له ـ يتمنى أن يخرج من الدنيا على أعوادٍ في البحر تظلُّ عائمة وبعيدة عن العيون ويبقى دونه الأعداء واللجج الخضر، ليقضي هم النفس بعيداً عن الرقباء والعذال وهو ما يرضي نفسه، ويُريح حبه ويترك لحديثه الذي يريد أن يبلغه القسمة اللازمة لأنها الكفيلة بإرضاء كل المطامح التي تخفف من حدَّة الشوق الذي استبدَّ به.

إن هذه المحاولة التحليلية لقصائد الشاعر تحدِّد لنا الظواهر المتميِّزة التي وجدتها في شعره، وهي ظواهر لبعضها حالة التميُّز، ولكثير من تراكيبها وبنائها ما يفردها عن الاتجاه الذي عرفته القصيدة في هذا العصر وهي ظواهر تستحق أن تدرس بشكل جَدِّي ليأخذ هذا الشاعر صورته في المجرى العام للأدب العربي، ولتأخذ قصائده حجمها في السياق العام لقصائد الشعر العربي التي عرفت لأنه يدخل في عداد شعراء الغزل من جهة والشعراء الذين دافعوا عن الدولة والتزموا بالموقف الصريح منها، وأنَّ القصائد الكثيرة التي قالها في بعض أهل البيت الأموي تؤكد مبدأه وعقيدته، وتؤكد هواه ودفاعه، وتؤكد إيمانه وإخلاصه ووفاءَه وهي حالة يمكن أن يقف الشاعر من خلالها مع الشعراء الذين وظّفوا شعرهم في مديح الأمويين والدفاع عن حقهم بوجه كل الدعوات التي ارتفعت لانتزاع هذا الحق. معترفاً بكل الفضائل التي تعطيهم أحقيَّة الخلافة ولعلَّ مقابلته لابن الزبير وصراحته وجرأته تحدِّد لنا هُوية الشاعر وعقيدته وتمثل الموقف الصريح الذين آمن به ودافع عنه وضحَّى من أجله..

إن دراسة شعر أبي صخر تحدد لنا جملة من الخصائص التي تعطي هذا الشعر وجهاً متميزاً أو تضعه في إطار الاتجاه التقليدي الذي أصبح نمطاً من أنماط التوجه الفني في عصره ففي قصائده تتردَّد أسماء نساء كثيرات هنَّ (جُمل) و(عُليّة) و(سلمى) و(ليلى) و(أم حسان) و(أسماء) و(شموس) و(أم الجهم) وإن كان اسم ليلى أكثر الأسماء دوراناً في شعره لأن (ليلى) أو (أم حكيم) هي المرأة التي كان يهواها كما تقول الأخبار، والمعروف أن هذه الأسماء لا تمثل أسماءً حقيقية وإنما رموز استخدمها للتعبير عن الحالة التي يريد أن يتحدَّث عنها ووجد في هذه الأسماء المرأة التي تحدث عنها وهي نموذج تقليدي عرفه الشعر العربي وباشره الشعراء وعرض له النقَّاد وعلَّلوه بما وجدوه مناسباً. ولكن الحقيقة التي تبقى وراء هذه الأسماء هي الحسِّ الأصيل والعاطفة الدافقة التي تحكمت في المشاعر الصادقة للشعراء وهم يعبرون عن ذواتهم الإنسانية ويكتبون اللوحات الخالدة ويسجلون روائع الغزل النقي..

والشاعر في غزلياته ترق ألفاظه، وتستبدّ به أشواقه، فيفزع إلى الطيف تارة وإلى الديار تارة أخرى ويجد في القسم بالله والإيمان به وسيلة يؤكد بها حبه ويوثق إخلاصه ووفاءَه لهذا الحب. وهي حالة لم نجد لها نظيراً عند بقية الشعراء كما أنها ترسخ عاطفته وتترك في قلوب قارئيه أثراً محموداً.. وفي أبياته المشهورة والمتداولة ما يعطي هذا الجانب وضوحه..

أما والذي أبكى وأضحك والذي　　　أمات وأحيا والذي أمره الأمر

ويتبلور محور قصائده في اتجاه تقليدي واضح، تتداخل فيه وعورة هذيل، وتتناثر في أبياته صور الطبيعة التي ملكت على كل شعراء هذيل عواطفهم فاستخدموها أفضل استخدام وتكثر أوصاف (الثرى) و(الأرض السهلة) و(الرملة) و(الوابل) و(الندى) و(الريح) و(الرغام) وكل ما يتصل بالأرض والندى من أوصاف في قصائده وأوصافه وهو جانب يؤشر حالة أو تياراً بلاغياً يؤثر استخدام هذه المفردات في هذه الصور وإن الدراسة التحليلية لقصائده تعطي هذه التراكيب مساحة من استعمالاته.

أما المواضع والأماكن فلها حجمها في قصائده وكثرتها في شعره و (الفَرْش) و (ذوقوس) و (البصاق) و (ذو عير) و (مَخمِص) و (شعران) و (نميُس) و (عُنْبَ) و (لَفْت) و (قراس) و (بُرْم) وغيرها من الأماكن تتناثر في شعره ولكل موضع مكانته في نفسه وذكرياته في حياته لأنها تقترن بأيام عزيزة، أو تعيش في ذكرياته الخالدة، ولهذا كانت تأتي مقترنة بما يراه مناسباً معها، حيًّا في إحساسها فالأماكن ليست أسماء مجردة، ولا أماكن تذكر لتسدَّ فراغاً أو تقلِّد نموذجاً، وإنما هي أحداث لها صوتها الدافىء، ولونها الزاهي، وشروقها الحي، فأماكن هُذيل ليست أماكن تميم، ومواضع أسد هي غير مواضع مُزينة. فالوديان لها أيامها وربيعُها وزهوها، وجبالها لها شموخها وقوتها ومياهها لها نبعها ودفقها واجتماع العشير حولها. إنها الصورة الطبيعية التي يتصف بها الشعراء وهم يشعرون بوشائج الاتصال. وأسباب الانتماء تشدهم إلى كل قطعة من الأرض.

أما اهتمام اللغويين وأصحاب البلدانيات بشعره فإن قائمة تخريج شعره تدل على مدى اعتماد هؤلاء ومدى توثيقهم لما جاء به من دلالات ووقف عليه من أماكن وإن إشارات الشرَّاح إلى ما جاء على لغة هذيل يؤكد انفراد هذه اللغة ببعض الخصائص. فأُدِّي: يريد وُدِّي وهي لغة هذيل وكذلك أُدِّها يريد ودّها. وحضرمُوت بضم الميم وعند غيرهم حضرمَوت بفتح الميم.

إن محاولة دراسة شعر أبي صخر تأتي ضمن اهتمامي بدراسة الشعراء الأمويين، وإن وجود النص المحقق الذي قدَّمه وحقَّقه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج قد هيأ لي تقديم هذه الدراسة وأنَّ الفضل في تهيئة النص يرجع إلى الجهد الذي بذل في تقديمه والفضل أولاً وآخراً له. وإن دراسة شعراء هذيل ووضعهم في المواضع التي يستحقونها وفي عصورهم التي عاشوها تضيف خصائص جديدة لتلك العصور وتقدم نماذج فنيَّة رائعة.



شِعْرُ أبي صَخرِ الهُذَلِيّ

ـ ١ ـ

حدَّثنا أبو سعيد قال: قال أبو صخرٍ الهذليُّ، واسمُه عبدُ الله بن سَلَمة السَّهْميُّ، ثم أحدْ بني مُرَمّضٍ ـ كذا بخطِّه في هذا الموضع، وفي موضع آخَرَ بكَسْرِ الميم، والكسر الصواب[(١)].

١ ـ تَعَزَّيْتَ عَنْ ذِكْرِ الصِّبَى وَالحبَائِبِ
وَأَصْبَحْتَ عِزْهَى لِلصِّبَى كَالمُجَانِبِ

«العِزْهَى»، الذي لا يُحِبُّ اللَّهْوَ، يقال: «رجل عِزْهاةٌ»، إذا كان لا يُحِبُّ اللَّهوَ ولا النساءَ، والجميع عَزاءٍ.

٢ ـ وَأَصْبَحْتَ تَلْحَى حِينَ رِعْتَ مُحَمَّداً
وَأَصْحَابَهُ أَنْ يُعْجَبُوا بِالكَوَاعِبِ[(٢)]

---

(١) ما بعد الشرطتين زيادة في المخطوطة وحدها. هذا وفي الأغاني في ترجمته (٢١: ١٤٤، أوربة).
«هو عبدالله بن سَلْم السَّهميّ، أحد بني مُرْمِض. وهذا أكثر ما وجدته من نسبه في نسخة السكري، وهي أتمُّ النسخ مما يَأْثُرُه عن الرياشي، عن الأصمعي، وعن الأثرم عن أبي عبيدة، وعن ابن حبيب عن ابن الأعرابي».
(٢) في الأغاني، روى عن أبي عمرو الشيباني قال:
«كان لأبي صخر ابن يقال له دَاوُد، ثم لم يكن له ولد غيره، فمات فجزع عليه جَزَعاً =

«رعْتَ»، رَجَعْتَ. و«تَلْحَى»، تَلُوم. و«مُحمَّدٌ»، ابنه.

٣ - وَلَـوْ أَنَّهُمْ قَـالُـوا لَقَـدْ كُنْتَ مَـرَّةً
عَرَفْتُ وَلَمْ أُنْكِرْ جَـوَابَ المُجَاوِبِ

يقولون: قد كنتَ تُحِبُّهن، فكيف تَنْهانا؟

٤ - فَـإِنْ يَلْبَسُـوا بُـرْدَ الشَّبَـابِ وَخَـالَـهُ
وَأَغْتَدِ فِي أَطْمَارِ أَشْعَث شَاحِبِ[1]

«الخال»، من البُرودِ. و«أَغْتدى»، أغْدو[2] «في أطمارٍ»، أي في خُلْقانٍ.

٥ - فَسِرْبٍ كأَمْثَالِ الدُّمَي مُنْتَهَى المُنَى
يُضِئْنَ الدُّجَى لفٍّ ثِقَالِ الحَقَـائِبِ

٦ - قِصَارِ الخُطَي شُمٍّ شُمُوسٍ عَن الخَنَا
خِدَالِ الشَّوَى فُتْخِ الأَكُفِّ خَرَاعِبِ

«شُمُوسٌ»، يَنْفِرّن. «خِدالٌ»، غِلاظٌ. «فُتْخُ الأَكُفِّ»، من الرُّخُوصة. «خَرَاعِبُ»، يَنْثَنِينَ لِيناً[3].

٧ - كَمَوْزِ السُّقَى في حَائِرٍ غَدِقِ الثَّرَى
عِذَابِ اللَّمَى يُحْبَيْنَ طَلَّ المَنَاسِبِ[4]

«السُّقَى»، التي تُسْقَى الماء. «حَائِرٌ»، مُجْتَمعُ الماءِ، كثيرُ الماءِ،

= شديداً حتى خولط، فقال يرثيه». وبدأ بالبيت ٢٧، ولم يتابع بقية الأبيات في الباقي بل حذف منها عدَّة أبيات، وفيها اختلاف يسير في اللفظ.

(١) في تعليقات البقية: «نَاحِبِ».

(٢) في الشرح المطبوع: «وأعتدى: أعدو» وهو تصحيف.

(٣) في الشرح المطبوع: «يتثَنَّيْن».

(٤) كذا في البقية والمخطوطة، والذي في اللسان (طلل): «كَمَوْرِ السُّقَى».

و «حاجِرٌ» مثلُه. و «اللَّمَى»، اللَّمَس. و «طَلٌّ»، أَحْسَنُ المناسِبِ.

٨ ـ كَبَيْضِ النَّقَا فِي حَاجِرٍ قَرِدِ الثَّـرَى
جَلَتْهُ الصَّبَامِيـلَ طِوَالِ الـذَّوائِبِ[١]

«قَرِدٌ»، مُجْتَمِعٌ رَطْبٌ.

٩ ـ تَصَـابَيْتُ حَتَّى اللَّيْـلِ مِنْهُنَّ رَغْبَتِي
رَوَانِيَ فِي يَوْمٍ مِنَ اللَّهْوِ هَـاضِبِ

«تَصَابَيْتُ»، أَصَبْتُ صُبابَةً. «هَاضِبٌ»، يقول: كانوا فيه هَضَبُوا في اللَّهْوِ، وما زالوا يَهْضِبون منذُ اليومِ في اللَّهْوِ. قال ابن بُكَيْرٍ: «الرُّنُوُّ»، إدامةُ النظرِ في لِينٍ، و «التَّحْمِيجُ»، إدامةُ النظرِ بِفَتْحِ العَيْنِ.

١٠ ـ مَعِي غَــزِلٌ ذُو نِـيقَــةٍ مُتَنَافِـسٌ
جَمِيـلٌ مُحَيَّـاهُ قَلِيــلُ المَعَـايِبِ[٢]

١١ ـ فَـرُحْنَـا وَلَمْ يَحْتَـزْنَ سِـرَّاً لِغَيْـرِنَـا
سِوَانَا وَلَمْ نَعْبَثْ خِـلاَسَ المُنَاهِبِ

١٢ ـ فَـأَعْرَضْنَ لمَّـا شِبْتُ عَنِّى تَعـزُّمـاً
وَهَلْ لِيَ ذَنْبٌ فِي اللَّيَالِي الذَّواهِبِ

[«تَعزُّماً»]، عَزَمْـن على ذلك[٣]. ويروى: «تَعَرُّماً»، من «العَرامة».

١٣ ـ فَلاَ مَا مَضَي يُثْنَى وَلاَ الشَّيْبُ يُشْتَرَى
فَأَصْفِقَ عِنْدَ السَّوْمِ بَيْعَ المُخَالِبِ[٤]

---

(١) في المخطوطة: «جَلَتْهُ صَبَا مِيلِ».
(٢) في البقية «المعائب» وفي المخطوطة فوق اليا ياء لتنص على أنها غير مهموزة.
(٣) «تعزماً» زيادة مني.
(٤) في هامش المخطوطة شرحت «المخالب»: «المُخادِع».

١٤ ـ فَــإِنْ أَرَ مِنْهُنَّ الغَـدَاةَ صَــرِيمَـةً
فَقَــدْ نِلْتُ مِـنْ لَــذَّاتِهِـنَّ مَــآرِبِي

«مَأْرَبةٌ ومَأْرُبَةٌ»، وهي الحاجة[1].

١٥ ـ وَكَمْ مِنْ أَخٍ أَوْ عَمٍّ صِدْقٍ رُزِئْتُهُ
أَوِ ابْنِ أَخٍ سَمْحٍ كَرِيمِ الضَّرَائِبِ

١٦ ـ وَمِنْ صَاحِبٍ لِي وَابْنِ عَمٍّ تَتَابَعُوا
وَمَنْ ذَا مِنَ الأَحْيَـاءِ لَيْسَ بِـذَاهِبِ

١٧ ـ بُحُـورٍ إِذَا اشْتَـدَّ الشِّتَــاءُ مَـلاَوِثٍ
وَفِتْيَانِ هَيْجَا كَالجِمَالِ المَصَاعِبِ[2]

١٨ ـ مَتَى يَلْتَمِسْ مَوْلاَهُمُ الحِلْمَ عِنْدَهُمْ
يَجِدْ فَضْلَ حِلْمٍ عِنْدَهُمْ غَيْرَ عَازِبِ

١٩ ـ أَنَابُوا فَأَعْرَوْا حَيْثُ كَـانُوا وَعَـطَّلُوا
مَعَ البِيضِ كَالغِزْلاَنِ مَثْنَى النَّجَائِبِ

«أَعْرَوْا»، فارَقُوا وَتَركوا. «مَثْنَى»، أي اثنتانِ اثنتانِ.

٢٠ ـ فَلاَ نَائِبَـاتُ الدَّهْـرِ يَرْجِعْنَ هَـالِكاً
إِلَى أَهْلِهِ وَالــدَّهْــرُ جَمُّ النَّــوَائِبِ

٢١ ـ وَلاَ مُقْتِــراً يَــوْمَــاً تَــرَكْنَ لِفَقْـرِهِ
فَيَخْفَى وَلاَ صَــانَعْنَ أَهْلَ الـرَّغَائِبِ

---

(١) هذا الشرح زيادة في المخطوطة.

(٢) في تعليقات البقية: «مَلاَوِثٌ».

٢٢ ـ وَلَا بَاسِلاً ذَا ثَرْوَةٍ هِبْنَ قَوْمَهُ
وَلَوْ زَحَفُوا مِن دُونِهِ بِالكَتَائِبِ
٢٣ ـ فَيَغْدُو الفَتَى وَالْمَوْتُ تَحْتَ رِدَائِهِ
وَلَا بُدَّ مِنْ قَدْرٍ مِنَ اللهِ وَاجِبِ
٢٤ ـ يَقُولُ غداً أَلْقَى الَّذِي اليَوْمَ فَاتَنِي
وَيَأْمُلُ أَنْ يَلْقَى سُرُورَ العَجَائِبِ
٢٥ ـ وَيَنْسَى الَّذِي يَمْضِي وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ
يُسَدَّى لَهُ نَسْجُ المَنَايَا الطَّوَالِبِ
٢٦ ـ فَلَا تَغْتَبِطْ يَوْماً بِدُنْيا وَإِنْ صَفَتْ
وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ صَرْفَ العَوَاقِبِ[1]
٢٧ ـ وَقَدْ هَاجَنِي طَيْفٌ لِدَاوُودَ بَعْدَمَا
دَنَتْ فَاسْتَقَلَّتْ تَالِيَاتُ الكَوَاكِبِ
٢٨ ـ فَقُلْتُ أَغَمَّتْ مُقْلَتَيَّ عَمَايَةٌ
لَبِثْتُ وَقَدْ فَارَقْتَنِي غَيْرَ عَاتِبِ[2]

«أَغَمَّتْ». غَطَّتْ[3]. و«عَمَايَة»، ظُلْمَة من الدمع. ويروى: «غَمَامَةٌ».

٢٩ ـ وَمَا فِي ذُهُولِ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ سَلْوَةٍ
رَوَاحٌ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي هُوَ غَالِبِي[4]

---

(١) في تعليقات البقية: «وَلَوْ صَفَتْ».
(٢) في المخطوطة: «غمَّت مُقْلَتَاي». وفي تعليقات البقية: «غمامة».
(٣) في الشرح المطبوع: «أغمت، غطت».
(٤) في الأغاني: «وَمَا فِي ذهُولِ اليأس عن غير سَلْوَة».

٣٠ ـ وَعِنْـدَكَ لَـوْ يَحْيَى صَـدَاكَ فَنَلْتَقِي
شِفاءٌ لِمَا غَادَرْتَ يَوْمَ التَّنـاضِبِ(١)
٣١ ـ فَهَلْ لَكَ طِبٌّ نَـافِعِي مِنْ عَلاقَـةٍ
تُهَيِّمُنِـي بَيْـنَ الحَشَـا وَالتَّـرَائِـبِ
٣٢ ـ تَشَكَّيْتُهـا إِذْ صَدَّعَ الـدَّهْـرُ شَعْبَنـا
فَأَمْسَتْ قَدَ أَعْيَتْ فِي الرُّقَى وَالطَبَائِبِ
٣٣ ـ وَلَـوْلَا يَقِينٌ أَنَّمـا الْمَـوْتُ عَـزْمَـة
مِنَ الله حَتَّى يُبْعَثُـوا لِلمَحَـاسِـبِ
٣٤ ـ لَقُلْتُ لَـهُ فِـيمَـا أُلِـمُّ بِـرَمْسِـهِ
هَلَ أَنْتَ غداً غَادٍ مَعِي فَمُصَاحِبِي
٣٥ ـ فَمَـاذَا تَـرَى فِي غَـائِبٍ لَا يُغِبُّنِي
فَـلَسْتُ بِنَـاسِيـهِ وَلَيْسَ بِـآيِـبِ
٣٦ ـ فَـأَسْقَى صَدَى دَاوُودَ دَانٍ غَمَـامُـهُ
هَزِيمٌ يَسُحُّ المَاءَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ(٢)
٣٧ ـ سَرَى وَغَدَتْ فِي البَحْرِ تَضْرِبُ قُبْلَهُ
نُعَـامَى الصَّبَا هَيْجـاً لِرَيَّـا الجَنَائِبِ

«الجَنُوبُ»، وهي مع الصَّبا.(٣).

٣٨ ـ ثَـلاثَـاً فَـأَسْـرَتْ مُـزْنَـةٌ حَضْـرَمِيَّـةٌ
لَهَـا ثَائِبٌ طَـلُّ النَّدَى بَعْـدَ ثَـائِبِ

(١) في البقية: «شقاء لما».
(٢) في تعليقات البقية: «عماوة».
(٣) هذا الشرح ليس في المخطوطة.

٣٩ ـ تَحُوزُ مَنَاتِيجَ الغَمَامِ وَتَمْتَرِي
مَطَافِيلَ لَمْ يُنْدِبْ بِهَا صَرُّ حَالِبِ

«تُحُوزُ» الريحُ. «تمتري»، تَمْسَح. «يُنْدِب»، يُؤَثِّر[1].

٤٠ ـ فَأَلْحَقْنَ مَحْبُوكاً كَأَنَّ نَشَاصَهُ
مَنَاكِبُ مِنْ عَرْوَانَ بِيضُ الأَهَاضِبِ

«المحبوكُ» المُمْتَلِيء من السَّحاب. و«نَشاصُه»، سحابُه، أَلْحَفَتْه الرِّيحُ. «مناكِبُ»، جَوانِبُ. «الأهاضب»، السحابُ فيه الماء والمَطَرُ. «عَرْوَانُ»، جَبَلٌ.

٤١ ـ كَأَنَّ سُيُوفَ الهِنْدِ تُخْفَضُ تَارَةً
وَتُرْفَعُ بَيْنَ العَسْكَرِ المُتَقَارِبِ

٤٣ ـ سَنَا لَوْحِهِ لَمَّا اسْتَقَلَّتْ عُرُوضُهُ
وَأَحْيَا بِبَرْقٍ فِي تِهَامَةَ وَاصِبِ

«عُروضه»، سحابُه. «واصبٌ»، دائمٌ[2].

٤٣ ـ فَجَرَّ عَلَى سِيفِ العِرَاقِ فَفَرْشِهِ
فَأَعْلَامِ ذِي قَوسٍ بِأَدْهَمَ سَاكِبِ

«جَرّ يَجُرُّ»، يَسِير سَيْراً ضعيفاً وهو يُمْطِر. و«السِّيفُ»، ما دَنَا من البحر، فيُريد عِرَاقُ البحْرِ، أي ما دنا من البحرِ من العِراق. و«الفَرْش»، أَجَمَةُ العَرْفَجِ. و«ذُو قَوسٍ»، وادٍ.

٤٤ ـ فَلَمَّا عَلَا سُودَ البِصَاقِ كِفَافُهُ
تُهِيبُ الذُّرَى مِنْهُ بِدُهْمٍ مَقَارِبِ

---

(١) في المخطوطة «تُنْدِبُ، تُؤَثِّر».

(٢) هذا الشرح زيادة من المخطوطة.

«البِصاق»، الحِرارُ، و«البَصْقَة»، الحَرَّةُ. و«كِفافُهُ» سَحابُه. «تُهيب»، تَدْعو، كما يُهِيب الرجلُ بإبلِهِ. و«الذُّرى»، الأعالي. «مَقارِبُ» «قد أَقْرَبَتْ» إذا دَنا نِتاجُها، شبَّه السحابَ بالإبل.

٤٥ ـ فَجَلَّلَ ذَا عَيْرٍ وَوَالَى رِهَامَهُ
وَعَنْ مَخْمِصِ الحُجَّاجِ لَيْسَ بِنَاكِبِ[(١)]

«ذُو عَيْرٍ»، جَبَلٌ. «مَخْمِص» اسمُ طريقٍ. ويروى: «ذا عَنْزٍ».

٤٦ ـ فَلَمَّا عَلَتْ شِعْرَيْنِ مِنْهُ قَوَادِمٌ
وَوَازَن مِنْ أَعْلاَمِهَا بِالمَنَاكِبِ

«شِعْرَانِ»، جبلان. «وازَنَ»،[(٢)] حاذَيْنَ، «داري وِزَانَ دارِكَ»، أي حِذَاءَهَا. و«أعَلامُها»، جِبالُها. ويروى: «من أَعْلاَهُما بالمَنَاكِبِ»، الجبالِ[(٣)].

٤٧ ـ مُضِرٌّ شَآمِيهِ لِيَنْبُعَ فَالحِمَى
وَدُونَ يَمَانِيهِ جِبَالُ المَرَاكِبِ

٤٨ ـ لَهُ ذَمِرَاتٌ فِي نُمَيْسٍ تَحُفُّهُ
وَقُدَّامَهُ تَغْشَى ثَنَايَا المَنَاقِبِ[(٤)]

«ذَمِرَاتٌ» أصواتٌ، واحدتها «ذَمِرَةٌ»، «ذَمَرَ يَذْمُرُ»، ويقال: «اذْمُرْ جُنْدَكَ». و«نُمَيْسٌ»، جَبلٌ. و«الثنايا»، الطُّرق في الجبال، ويروى:

---

(١) في تعليقات البقية: «ذَا عَتْرٍ وَالاسْنَادَ دُونَهُ».
(٢) في المخطوطة «وزانُ».
(٣) في المخطوطة: «بالمناكبِ الجبالُ»، فتحتاج إلى زيادة «المَناكبُ».
(٤) في المخطوطة: «تَحُفُه» وفوق نقطة الفاء نقطتان، وعليها «معاً» أي «تَحُقُّه»، كما في تعليقات البقية أيضاً. وفي المخطوطة أيضاً كتب «المناهب»، وفوق «هب» «وقب»، وهو تصويب.

«تَحُقُّه»، أي أنه حَقٌّ، يقال: «أنا أَحُقُّ ذاك عن فلانٍ».

٤٩ ـ يُمِيلُ قَفَاراً لَمْ يَكُ السَّيْلُ قَبْلَهُ
أَضَرَّ بِهَا فِيهَا جِبَابُ الثَّعَالِبِ[١]

«القَفارُ»، الصُّخور، واحدتها «قَفارةٌ». ويروى: «قَفازاً»، وهو مكان. ويروى: «جِحَاشُ الثعالِب»، أولادُها.

٥٠ ـ فَأَصْبَحَ مَأْمُونُ المَنَاجِي مَخَافِلاً
لأَعْرَاقِ طَمَّاحِ القَوَانِسِ لاحِب

«المَنَاجِي»، ما ارتفعَ من الأرض فلم يَلْحَقْه السَّيْلُ، وهو من «النَّجْوَة» و«المَحْفِل»، الذي يُصِيبه السَّيْلُ ويَمُرُّ به. و«القَوَانِسُ»، الأعالي. يقول: فقد عَلَا هذا السَّيْلُ كُلَّ شيءٍ. «لَاحِبٌ»، يَلْحَبُهُ، يَمرُّ عليه.

٥١ ـ فَلَمَّا تَغَشَّى نَقْرَيَاتٍ سَحِيلُهُ
وَدَافَعَهُ مَنْ شَامَهُ بِالرَّوَاجِبِ

«السَّحِيلُ»، الصَّبُّ، «سَحَلَتِ السماء تَسْحَلُ». «نَقْرَى»، اسمُ حَرَّةٍ. «شَامَهُ»، نظرَ إليه. «الرَّواجِبُ»، الأيدِي.

٥٢ ـ أَلَحَّ رَجِيفاً يُهْرِبُ الوَحْشَ حِسُّهُ
كَلَجَّةِ حَوْمِ المَنْهَلِ المُتَجَاوِبِ[٢]

«رَجِيفٌ»، في صوته، «رَجَفَ يَرْجُفُ». و«المَنْهَل»، حيث وَرَدَتْ، تسمع لها أصواتاً. «حَوْمٌ»، إبلٌ كثيرة.

---

(١) في المخطوطة: «قفازاً» فوق رسم الراء نقطة وتحتها نقطة وعليها «معاً» أي نقرأ «قفَاراً» و«قفَازاً». إلا أن ياقوت ذكر البيت في «فقار» بتقديم الفاء على القاف. وفي البقية «جِبَابُ الثعالب»، وفي ياقوت «حَبَابُ».

(٢) في المخطوطة: «وجيفاً»، وهو تصحيف يصوبه الشرح. وفي البقية، أيضاً: «ألج» بالجيم وفي تعليقات البقية: «أَرَجّ رحيفاً». وفي المخطوطة «يُهرَبُ».

٥٣ ـ رَفَعْتُ لَـهُ صَـوْتِي وَأَيْقَنْتُ أَنَّـهُ
أَزَامِـلُ نَجْمٍ خَـالُـهُ غَيْـرُ كَـاذِبِ

«أزامل»، أصواتُ نَوْء من النَّجْم. و«خالُه»، سَحابُه.

٥٤ ـ وَحُلَّتْ عُـرَاهُ بَيْنَ نَقْـرَى وَمُنْشِـدٍ
وَبُعِّـجَ كُلْفُ الحَنْتَمِ المُتَـرَاكِـبِ

«نَقْرَى»، حَرَّةٌ. و«الحَنْتَمُ»، الجِرارُ، شبَّه السَّحابَ بالجِرارِ. «بُعِّجَ»، شُقِّق. «كُلْفٌ»، سُودٌ.

٥٥ ـ وَقُلْتُ عَسَى أَنْ يُلْبِـدَ اليَوْمَ وَدْقُـهُ
سَفَـاةً بِمُسْتَنِّ الـرِّيَـاحِ الحَـوَاصِبِ

«يُلْبِدُ»، يُمْطِرُ حتى يَتَلَبَّدَ رَمْلُه. و«الحَواصِبُ»، التي تَجِيءُ بالترابِ والحَصى. «سَفَاةٌ»، رَمْلَةٌ وتُراب، وما خرج من البئر فهو «سَفَاةٌ»، وقال:

* وَدَعْهَا إذَا ما غَيَّبَتْها سَفَاتُها *[1]

أي تُرابُها.

٥٦ ـ لِيَـرْوَى صَدَى دَاوُودَ وَاللَّحْـدُدُونَـهُ
وَلَيْسَ صَدَى تَحْتَ العِدَاءِ بِشَارِبِ

«العِدَاء»، الصَّخْر الذي يُوضَع على القَبْرِ.

٥٧ ـ وَلكِنْ يُقِـرُّ العَيْنَ والنَّفْسَ أَنْ تَرَى
بِعُقْـدَتِـهِ فَـضْـلَاتِ زُرْقٍ دَوَاعِبِ

«عُقْدته»، مَكانه، حيث يكون، و«عُقْدَةٌ من شَجر». و«الدَّواعِبُ»

(١) هو عجز بيت يختلف صدره، منسوب لخالد بن زهير ولأبي ذؤيب انظر ما سلف: ٢٢١، ٣٩٨ هـ.

السُّيول المُسْتَنَّاتُ كأنَّها تَلْعَب. و«تَدْعَبُ»، تَسِيل. و«الزُّرْق»، الماء الصافي(1).

٥٨ ـ وَتَهْدي رَوَايَا سَيْبِهِ وَسِجَالِهِ
لِدَاوُودَ وَالرَّحْمَنُ جَمُّ المَوَاهِبِ

٥٩ ـ سَأَلْتُ مَلِيكِي إِذْ بَلاَنِي بِفَقْدِهِ
وَفَاةً بِأَيْدِي الرُّومِ بَيْنَ المَقَانِبِ(2)

٦٠ ـ ثَنَوْنِي وَقَدْ قَدَّمْتُ ثَأْرِي بِطَعْنَةٍ
تَجِيشُ بِقَلَّاسٍ مِنَ الجَوْفِ ثَاعِبِ

«ثَنَوْنِي»، يقول: رَدُّوني بطَعْنَة. «وَقَد قدَّمت ثَأْرِي»، أي قتلت واحداً قبل أن أُقْتَل. «ثاعبٌ»، تَرْمِي به.

٦١ ـ فَعُجِّلْتُ رَيْحَانَ الجِنَانِ وَعُجِّلُوا
زَمَازِيمَ فَوَّارٍ مِنَ النَّارِ شَاهِبِ

٦٢ ـ وَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَلْقَى المَنَايَا وَإِنَّنِي
لَتابعُ مَنْ وَافَى حِمَامَ الجَوَالِبِ(3)

٦٣ ـ وَلَمَّا أُطَاعِنْ في العَدُوِّ تَنَقُّلاً
إِلَى اللهِ أَبْغِي فَضْلَهُ وَأُضَارِبِ

---

(1) في اللسان (دعب) عن الأزهري وذكر البيت: «قال: دَواعِبُ، جَوارٍ، ماءٌ داعبٌ يَستنُّ في سبيله وقال: لا أدري دواعب أم ذواعب فلينظر في شعر أبي صخر، وفي القاموس (دعب) ولم يذكر الشعر: «ماء داعب يستنُّ في سَيْلِه». وقال شارحه: «كذا في النسخ أي جريه، ومياه دواعب، وفي التكلمة: في سبيله، ولعلَّه الصواب».

(2) في تعليقات البقية: «المناقب».

(3) في المخطوطة وتعليات البقية «الحَوَالِب» بالحاء، وانظر رواية صاحب الأغاني.

٦٤ ـ وَأَعْطِفُ وَرَاءَ المُسْلِمِينَ بِشَدَّةٍ
عَلَى دُبُرٍ مُجْلٍ مِنَ العَيْشِ ذَاهِبِ[١]

«مُجْل»، أي ذاهب عَيْشُه. و«دُبُرٌ»، آخِرُ ذاك.

* * *

ـ ٢ ـ

وقال أبو صخر أيضاً:

١ ـ عَرَفْتُ مِنْ هِنْدَ أَطلالاً بِذِي التُّودِ
قَفْراً وَجَارَاتِهَا البيضِ الرَّخاوِيدِ

٢ ـ وَحْشاً سِوَى زَجَلِ الْقُمْرِيِّ كُلَّ ضُحًى
وَالمُطْفِلاتِ وَفُرَّادِ مَوَاحِيدِ[٢]

«التُّودُ»، شجرٌ. ويروى: «البيدِ». و«الرِّخْوَدَّةُ»، الرَّخْصَةُ، «إنها لَرِخْوَدَّةُ العِظامِ»، شابَّةٌ رَخْصَةٌ، و«إنَّه لَرِخْوَدُّ العِظامِ»[٣].

٣ ـ وَغَيْرَ أَشْعَثَ قَدْ بَلَّ الزَّمَانُ بِهِ
مُقَلَّدٍ فِي جَدِيدِ التُّرْبِ مَوْتُودِ

«بَلَّ به» ظَفِرَ به. «بَلْلِتُ بِرَجُلِ صِدْق، وبرجلِ سَوْءٍ»، أي ظَفِرْتُ به.

٤ ـ يَرْمِي بِدِقِّ رَغَامِ التُّرْبِ مُصْطَبِراً
وَالجِلِّ كُلَّ غَدَاةٍ مِنْ حَصَي البيدِ[٤].

---

(١) في المخطوطة: «بشِدَّةٍ» بكسر الشين.

(٢) في تعليقات البقية: «وفُرَّادِ المَواحِيدِ».

(٣) هذه الأخيرة ساقطة من الشرح المطبوع.

(٤) في تعليقات البقية «يُرْمَى».

«بِدِقٍّ»، أي دُفاقِه. و«الرَّغام»، الترابُ الدَّقيقُ، يقال: «أَرْغَم الله أنْفَه»، أي أَلْصَقه بالتُّراب. و«الجِلُّ»، جِلالُ البَعَرِ.

٥ ـ وَصَفٌ أَحْـدَبَ شَقَّتْـهُ وَلِيـدَتُـهَـا
تُبَـادِرُ السَّيْـلَ بِـالمِسْحَـاةِ مَخْـدُودِ

«مَخدودٌ» محفورٌ. «أحْدَب»، يعني النُّؤْيَ.

٦ ـ وَغَـيْـرَ وِتْـرٍ ظُؤَارٍ حَـوْلَ مُـلْتَبِـدٍ
هَابِي الرَّوَاكِدِ مِنْ سَفْعِ الذَّكَا سُودِ[1]

٧ ـ مَحَـا مَعَـالِمَـهُ جَـوْلَانُ مُنْتَخِـلٍ
يَسْتَنُّ رَيْعَـانُـهُ بِـالمُـورِ مَـطْرُودِ[2]

٨ ـ يُـلَاعِبُ الرِّيـحَ بِـالعَصْـرَيْنِ قَسْـطَلُهُ
وَالـوَابِـلُونَ وَتَهْـتَـانُ التَّـجَـاوِيـدِ

«قَسْطَلُه»، غُبارُه. و«التَّجاويدُ»، يقال: «أصابَهم أَجْوَادٌ من المطر» وهو المطرُ دون الوَبْلِ، و«الوَابِلُونَ»، جِماعُ «الوابِلِ».

٩ ـ دَارٌ لِـمُـرْتَـجَّـةِ الأَرْدَافِ عَـبْـهَـرَةٍ
نُورِ الظَّلَامِ لَهَا فَضْلٌ عَلَى الـرِّيدِ

«عَبْهَرَةٌ»، عَظِيمةُ الخَلْقِ. و«الرِّيدُ»، التِّرْبُ.

---

(١) في المخطوطة: «ظوارٍ» ولم ترد مادة «ظور» إلا أن تكون مخففة «ضُؤَارٍ»، و«الظُّؤَارُ»، الأثافي. وفي تعليقات البقية: «سُفْعٍ».

(٢) في تعليقات البقية: «مَحَا مَغَانِيَهُ».

١٠ ـ رَيَّا المَعَاصِمِ مَمْلُوءٍ مُخَلْخَلُهَا
غَيْدَاءَ هَيْكَلَةٍ مِنْ بُدَّنٍ غِيدِ[١]

«غيداءُ»، ناعمةٌ رَخْصَةٌ. «هَيْكَلةٌ»، طويلة.

١١ ـ تَثْنِي النِّطَاقَ بِقَوْزٍ حَفَّهُ دَمَثٌ
حَازَتْ نَقَاهُ رِيَاحُ الصَّيْفِ مَنْضُودِ

«القَوْزِ»، الصغيرُ من الرمل، و«الدِّعْصُ»، مثلُه. «دَمَثٌ»، أرضٌ سهلةٌ «نَقَاهُ»، رَمْلُه.

١٢ ـ فِي خَرْعَبٍ كَعَسِيبِ المَوْزِ مُطَّرِدٍ
يَغْتَالُ شَمْسَ وِشَاحِ الكَشْحِ مَمْسُودِ

«خَرْعَبٌ»، جِسْمٌ أملسُ[٢]. «شَمْسٌ»، من فِضَّة. «يَغْتَالُه»، يَمْلَؤُه حتى يَضِيقَ عنه، كما يَغتالُ الرجلُ الدِّرْعَ. «مَمْسودٌ»، أملسُ مُدْمَجٌ.

١٣ ـ كَأَنَّ كِلَّتَهَا تَدْنُو إذَا قُصِرَتْ
عَلَى مَهَاةِ حِمَى ثَرْيَانَ مَعْهُودِ

«ثَرْيَانُ» نَدٍ، من «الثَّرَى». «مَعْهودٌ»، مَمطورٌ.

١٤ ـ وَصَارَهَا كَوْرُ مَيَّالٍ لَهُ حُبُكٌ
مُعَكَّفٍ مِثْلِ غِرْبِيبِ العَنَاقِيدِ

«صَارَها»، أمَالَها، «يَصُورُها». «كَوْرٌ»، كَثْرةُ الشَّعرِ.

---

(١) في البقية: «مَمْكُورٍ مُخَلْخَلُهَا».
(٢) في المخطوطة: «خَرْعَبَةٌ».

١٥ ـ مِثْلاَنِ إنْ حَذِرَتْ أَوْ عِنْـدَ غِرَّتِهَـا
صَفْـرَاءُ طَيِّبَـةُ الأَعْـطَافِ وَالجِيـدِ

«مِثْلاَن»، يقول إن أَتيتَها وقد تَهيَّأَتْ، أو أتيتَها على غِرَّةٍ لم تَصَنَّعْ وتَهَيَّأْ، فَهِي سَواءُ[1].

١٦ ـ كـأنَّ ذَوْبَ مُجاجِ النَّحْـلِ رِيقَتُهَا
وَمَـا تَضَمَّنُ أَجْـوَافُ الـرَّوَاقِيـدِ[2]

١٧ ـ كَالكَأْسِ مَا رَكَدَتْ لَمْ يَصْحُ شَارِبُهَا
وَقَالَ أنْ نَفِدَتْ يَا كَاسَنَـا زِيدِي[3]

«ركدت»، أقامَتْ. و«الكَأْس»، الخَمْرُ، ها هنا، بعينها.

١٨ ـ لَوْ يَسْتَطِيعُ الَّذِي يَنْضُو مَجَاسِـدَهَا
أَجَنَّهَـا بَعْـدَ تَقْبِيـلٍ وَتَـجْـرِيـدِ

«ينضو»، يَخْلع، «نَضَوْتُ»، خَلَعْتُ، «أنْضُو». «أَجَنَّها»، سَتَرَها.

١٩ ـ أيَّـامَ أُصْفِي لَهَـا وُدِّي وَتَجْحَـدُنِي
وَكَمْ تَرَى مِنْ قَدِيمِ الوُدِّ مَكْنُودِ[4]

٢٠ ـ فَـإنْ يَكُنْ وَعْدُهَـا البَـاقِي كَـأَوَّلِـهِ
فَقَـدْ مَلِلْنَـا خِـلاَبَـاتِ المَـوَاعِيـدِ

* * *

(١) في الشرح المطبوع: «فهو سواء».

(٢) في هامش المخطوطة عند «الرواقيد»: «الدِّنان». وهو شرح.

(٣) وردت «يا كاسنا» مخففة الهمـزة، في البَقية والمخـطوطة. وجـاءت في الشرح مهموزة.

(٤) في هامش المخطوطة عند «مكنود»: «مكفور»، وهو شرح.

وقال أبو صَخْرٍ أيضاً:

١ ـ بَكَرَ الصِّبَى عَنَّا بُكُورَ مُزَايِلِ
عَجِلَ الشَّبَابُ بِهِ فَلَيْسَ بِقَافِلِ[(١)]

٢ ـ بَانَا مَعاً وَتُرِكْتُ فِي مَثْوَاهُمَا
أَبْكِي خِلافَهُمَا بُكَاءَ الثَّاكِلِ[(٢)]

٣ ـ أَخَوَا صَفاءٍ فَأَرَقَا بِبَشَاشَةٍ
وَبِشُورَةٍ مِنْ عَيْشِنَا وَفَوَاضِلِ

«شُورةٌ» و«شَارة»، حُسْنٌ. و«الشَّوَارُ»، مَتاعُ البيت، و«شَوَارُ المرأةِ»، مَتاعُها، و«الشِّيارُ»، الخِيارُ السِّمَان من الإبل، واحدها «شائرٌ»، و«قد تَشَوَّرَتِ المرأةُ، سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ[(٣)].

٤ ـ وَلَذَائِذِ مَعْسُولَةٍ فِي رِيقَةٍ
وَصِبَى لَنَا كَدِجَانِ يَوْمٍ هَاطِلِ

٥ ـ وَعَنَائِبٍ غَذَوِيَّةٍ تَنْدَى ضُحىً
وَغَيَاطِلٍ لِلَّهْوِ بَعْدَ غَيَاطِلِ

«عَنَائِبُ»، يريد الشَّرَابَ. ويروى: «وَجَنَائِبٍ». «غياطِلُ»، أصواتٌ وَنَعِيمٌ، «إنَّهم لَفِي غَيْطَلةٍ من عَيْشٍ»، أي في نَعيمٍ.

---

(١) في البقية والمخطوطة: «بكور مزائل»، وصححها ولها وزن عن نسخته، وفي تعليقات البقيةِ: «منا بكور. يغافل».

(٢) في المخطوطة: «بَاتَا».

(٣) في الشرح المطبوع: «وقد تشورت الإبل».

٦ ـ وَبُيُــوتِ غِـزْلَانٍ نَهَــابُ دُخُــولَهَــا
وَنَمِيـلُ فِي أَفْيَائِهَـا بِـالأَصَـائِـلِ[١]
٧ ـ فَـأَنَـاخَ شَيْبُ العَــارِضَيْنِ مَكَــانَــهُ
لَا مَـرْحَبـاً بِــكَ مِنْ مُقِيمٍ نَـازِلِ
٨ ـ جَــاوَرْتَـنَــا بِقِـلًى لِلَذَّاتِ الـصِّبَـى
وَأَذىً وَأَقْــذَارٍ وَشَــيْـبٍ شَــامِــلِ
٩ ـ وَشُخُـوصِ عَيْشٍ بَعْـدَ عَيْشٍ لَيِّنٍ
وَفُتُـورِ عَظْــمٍ وَاشْتِكَـاءِ مَفَـاصِـلِ
١٠ ـ وَبِسُحْبَــةٍ تَغْشَى السَّـوَادَ وَغِشْــوَةٍ
مَـالِي عَـدِمْتُــكَ مِنْ رَفِيقٍ خَـاذِلِ

«سُحْبَةٌ»، غِشاوةٌ على بَصَرِه.

١١ ـ لِي عِنْـدَ مَشْهَدِ كُـلِّ يَوْمٍ كَـرِيهَةٍ
ذِي مِــرَّةٍ لِنَـدًى وَكَسْبِ نَــوَافِـلِ
١٢ ـ قَــالَتْ أُثَيْلَةُ قَــدْ تَنَقَّصَــكَ البِلَى
وَنُكِسْتَ فِي أَطْمَـارِ أَشْعَثَ نَاحِـلِ
١٣ ـ أَأُثَيْــلَ إِنَّ السَّيْفَ يَـدْثُــرُ غِمْــدُهُ
وَيَـرِثُ وَهْـوَ عَلَى غِـرَارٍ قَـاصِــلِ

«يَدْثُر»، يُخْلِق. «غِرارٌ»، حَدٌّ. «قاصلٌ»، قاطِعٌ، «قَصَلَ يَقْصِلُ».

---

(١) في تعليقات البقية: «في أفنائها».

١٤ ـ وأُثَيْلُ كمْ مِنْ مَضْرَجِيٍّ جِسْمُهُ
فِي النَّاسِ وَهْوَ لَدَى الكَرِيهَةِ بَاسِلُ[١]

١٥ ـ ومُصَوَّرٍ تَمَمٍ هَوَاءٍ نَاخِبِ
........[٢]

كذا في أصل السكرى غيرُ مُتَمَّم.

١٦ ـ يَهْذِي وَتَشْهَرُهُ العُيُونُ وَمُخُّه
رَارٌ وَلَيْسَ بِمَا تُرِيدُ بِنَابِلِ

«رَارٌ»، رَقِيقٌ. «يَهذِي»، يتكلَّم، و«ليس بنابل»، أي ليس بِرَفيقٍ حاذقٍ[٣].

١٧ ـ بَلْ قَدْ أَتَانِي نَاصِحٌ عَنْ كَاشِحٍ
بِعَدَاوَةٍ ظَهَرَتْ وَزَغْرِ أَقَاوِلِ

«زَغْر»، كَثْرَة[٤].

١٨ ـ أَفَحِينَ أَحْكَمَنِي المشِيبُ فَلَا فَتىً
غُمْرٌ وَلَا قَحْمٌ وَأَعْصَلَ بَازِلِي

١٩ ـ ولَبِسْتُ أَطْوَارَ المَعِيشَةِ كُلُّهَا
وَعَرَفْتُ مِنْ حَقٍ وَرَاعَ عَوَاذِلِي

(١) هذا البيت فيه إقواء، وكتب عليه في نسخة «صح»، وفي تعليقات البقية «قَلْبُهُ».
(٢) لم يرد هذا الصدر في البقية، ولا النص بعده على عدم تمامه، ولهذا اختلف عدد الأبيات بين النسخة الخطيَّة والبقية، ولم أعثر على تكملة له.
(٣) في المخطوطة: «برقيق»، وهو تصحيف.
(٤) «زغر» زيادة في الشرح المطبوع.

٢٠ ـ وَذَبَبْتُ عَنْ أَفْنَـاءِ خِنْـدِفَ كُلِّهَـا
بِمُؤَبَّــدَاتٍ لِلرِّجَـالِ عَــدَامِــلِ[١]

«مُؤَبَّدات»، وَحْشِيَّات، يعني الشِّعْرَ. «عَدَامِلُ»، قديمـةٌ. ويروى: «للرِّجام»، أي القِتال بالكلام، يقال: «قد تَرَاجَمُوا بالكلام».

٢١ ـ أَصْبَحْتَ تَنْقُصُنِي وَتَقْـرَعُ مَـرْوَتِي
بَطِراً وَلَمْ يَرْعَبْ شِعَـابَكَ وَابِلِي[٢]

«يرعب»، يَملأ[٣].

٢٢ ـ وَتَنَلْكَ أَظْفَـارِي وَيَبْـرِكَ مِسْحَلِي
بَـرْيَ الشَّيبِ مِنَ السَّـرَاءِ الـذَّابِـلِ

«الشَّسِيبُ»، القَوْس. و«السَّرَاءُ»، شجرٌ تُتَّخذ منه القِسِيُّ. و«ذابلٌ»، يابسٌ. و«المِسْحَلُ»، الذي يَسْحَلُ، مثلُ المِبْرَدِ

٢٣ ـ فَتَكُـونَ لِلْبَـاقِيـنَ بَعْـدَكَ عِبْـرَةً
وأَطَـأُ جَبِينَـكَ وَطْـأَةَ المُتَثَـاقِـلِ

٢٤ ـ بَـلْ قَـدْ عَجِبْتُ لِبَـارِقٍ مُتَـأَلِّقٍ
بَعْـدَ الهُـدُوءِ خَفَـا بِبَـرْقٍ عَـامِـلِ

«خَفَا» ظَهَرَ، أي بَرَق، و«هو يَخْفِي»[٤].

---

(١) في تعليقات البقية: «للرجام».

(٢) «شعابك»، ضبطت في البقية بكسر الشين وفتحها، وضبطت في المخطوطة بفتح الشين فقط، ولم أعرف وجهاً لفتح الشين، ولم ترد في اللسان ولا التاج. وفي تعليقات البقية «أصبحت».

(٣) زيادة في الشرح المطبوع.

(٤) «خَفَى يَخْفِي» مثل رمى يرمي هي بمعنى «خفا يخْفُو» انظر تاج العـروس آخر =

٢٥ ـ يَجْلُو عَن أَوْجُـهِ جِنَّـةٍ وَكُشُـوحِهَـا
أَوْ عَنْ مَهـاً يَـلَّقٍ بِجَـوٍّ بَـاقِـلِ

«بَاقِلٌ»، نَبَتَ فيه البَقْلُ. «مَهَا»، بَقَرٌ. «يَلَقٌ»، بيضٌ، واحدتها «يَلَقَةٌ».

٢٦ ـ بَـلْ سَـوْفَ أُخْبِـرُ مَنْ تَفَهَّمَ مِنْكُمُ
خَبَـراً يُضِيءُ سِـرَاجُـهُ لِلسَّـائِـلِ

٢٧ ـ أَنْ سَوْفَ تُخْتَبَرُ السَّـرَائِرُ فَـاعْلَمُوا
لله قَـبْـلَ مَـخَـافَـةٍ وَزَلَازِلِ

٢٨ ـ وإِذَا امْـرُؤٌ أَسْـدَى إِلَيْـكَ أَمَـانَـةً
فَاطْوِ الأَمَـانَةَ لِلضَّمِيـرِ الدَّاخِـلِ[1]

أي أسَرَّ إليك[2].

٢٩ ـ وَاعْـلَمْ بِـأَنَّ أَمَـانَـةَ حُـمِّـلْتَهَـا
فَحَمَلْتَهَـا لِلنَّـاسِ ذَاتُ مَثَـاقِـلِ

٣٠ ـ وإِذَا النَّجِيُّ وَلَـوْ عَرَفْتَ وُجُـوهَهُمْ
وَلَّوْا سِوَاكَ فَـلَا تَكُنْ فِي الوَاغِـلِ

«النَّجِيُّ»، الرِّجالُ الذين يتناجَوْن. «وَلَّوْا سِـواكَ»، أي صارُوا إلى غيرك.. و«الواغِلُ»، الذي يَدْخُل مع القوم فيشرَبُ معهم ولا يُنْفِقُ[3].

٣١ ـ وَاعْلَمْ بِـأَنَّ لَـوَ أَنَّنِـي أوْ لَيْـتَنِـي
وَوَدِدْتُ لَا تُغْنِي حِبَـالَـةَ حَـابِـلِ

= مستدركات (خفى)، فحق «خفا» في البيت والشرح أن ترسم بالياء «خفى».

(١) في تعليقات البقية «في الضمير الداخل».

(٢) زيادة في المخطوطة.

(٣) «معهم» ساقطة من المخطوطة.

رواها ابنُ بُكَيْرٍ: «وَاعْلَمْ بـأنَّ وَدِدْتُ لَيْتَ لَوَ أَنَّنِي في الأمْـرِ لاَ تُغْنِي..»، قال: وهكذا كان في كتاب أبي عمرو.

٣٢ ـ وَتَـوَقَّ إنْ حَلَّتْ جَنابَـكَ جَارَةٌ
كَفُّ المُشِيـرُ إلَيْكُمَـا بِـأَنَـامِـلِ

٣٣ ـ نُلْهَـا بِخَيْـرِكِ واعْتَـزِلْ خَلَوَاتِهـا
وَاحْذَرْ مُجَاهَرَةَ الكَذُوبِ المَاحِلِ[(١)]

«نُلْها»، أَعْطِهَا، من «نَال يَنول». ويروى: «مُجَاهَدَةَ الكَذُوبِ».

٣٤ ـ إنَّ الـلَّئِيـمَ وإنْ تَـخَـلَّقَ عَـائِـدٌ
لِـمَـلاَذَةٍ مِنْ غِـشِّـهِ وَدَغَـاوِلِ[(٢)]

ويـروى: «ولو تَخَلَّق». «مَـلاَذةٌ»، تَخَلُّقٌ، يقال: «رَجُـلٌ مَلَّذانٌ»، مُخَادِعٌ بلسانِه، و«الدَّغَاوِلُ»، ما لا خَيْرَ فيه، وهو الغِشّ[(٣)].

* * *

ـ ٤ ـ

وَقَالَ أَبُو صَخْرٍ أَيْضاً:

أَرِقْـتُ لِـطَـيْـفٍ مِـنْ عُـلَيَّـةَ عَـامِـدِ
وَنَحْنُ إلَى أَذْرَاءِ خُوصٍ هَوَاجِدِ[(٤)]

---

(١) «نلها» ضبطت في البقية والنسخة الخطيَّة وشرحها والشرح المطبوع بفتح النون، ولا وجه لذلك فهي فعل أمر من «نال ينول» فيضم أولها مثل «قُلْها» «وَصُنْها».
(٢) في تعليقات البقية: «ولو تخلَّق عَائِذ».
(٣) شرح «الدغاول»، ساقط من الشرح المطبوع.
(٤) في تعليقات البقية: «عَلِيَّة».

«عليَّة»، امرأة. «أَذْراؤُها»، ما استَذْرَى به منها[1]، أي استَتَر من الرِّيح.

٢ ـ طَوَيْنَ خُرُوقاً مِنْ بِلَادٍ يَجُبْنَهَا
بِنَا وَطَوَاهَا الخَرْقُ طَيَّ المَعَاضِدِ

«خُرُوقٌ»، من الأرض. «يَجُبْنَها»، يَقْطَعْنَها. و«المَعاضِدُ»، الدَّمالِجُ.

٣ ـ قَطَعْنَ مَلاً قَفْراً سِوَى الرُّمْدِ وَالمَهَا
وَغَيْرَ صَدَىً مِنْ آجِرِ اللَّيْلِ صَاخِدِ[2]

«صاخِدٌ»، صائح «صَخَد يَصْخَدُ»[3].

٤ ـ وَيَوْمَ شُهَارٍ قَدْ ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةً
عَلَى دُبُرٍ مُجْلٍ مِنَ العَيْشِ نَافِدِ

«دُبُر»، آخِرُ ذاك[4]. «مُجْلٍ»، ذاهبٌ.

٥ ـ كَما اهْتَجْتَ لِلرَّسْمَيْنِ مِنْهَا بِذِي الغَضَا
وَأَظْعَانِهَا يَوْمَ الرَّجِيعِ السَّوَانِدِ

«السَّوانِدُ»، التي صَعِدَتْ في الجبل. «قد سَنَدَ في الجَبَل»، أي صَعِدَ.

---

(١) في المخطوطة: «ما استدار به منها».
(٢) في المخطوطة «قطعن مهاً قفراً. هذا و«الرُّمْد» النعام.
(٣) «صاخِدٌ» زيادة في الشرح المطبوع. «وصخد يصخد» ساقطة منها.
(٤) في هامش المخطوطة: «دُبْرٌ، ودُبُرٌ».

٦ ـ بَدَتْ لَكَ مِنْ بَيْنِ السُّجُوفِ عَشِيَّةً
بِسُنَّةِ مَكْحُولٍ مِنَ الأدْمِ فَارِدِ[١]

٧ ـ يَنُوشُ بِصَلتِ الخَدِّ أَفْنَانَ غِيلَةٍ
فَـدَبَّتْ دَوَانِي عِيصِهَا المُتَقَاوِدِ

«يَنُوش»، يَتَناوَلُ. «عِيصٌ»، جماعةُ شَجَر «غِيلَةٌ»، شَجرةُ الأَراكِ «المُتَقَاوِدُ»، المُتَّصِلُ بعضُه ببعضٍ لا يَنْقَطِعُ

٨ ـ وَضَمَّتْ عَلَى رَقْوٍ أَغَنٍّ مِنَ النَّقَا
دَمِيثِ الرُّبَى حُرٍّ فُضُولَ المَجَاسِدِ

«الرَّقْوُ»، الكَثيب، شَبَّه عَجيزتَها به. و«الأغَنُّ»، الذي لا يُسْمع له صوتٌ[٢]. «الحُرُّ»، الذي يُنْبِتُ.

٩ ـ فَمَا رَوْضَةٌ بِالحَزْمِ ظَاهِرَةُ الثَّرَى
وَلَتْهَا نِجَاءُ الدَّلْوِ بَعْدَ الأَبَارِدِ

بَعدَ ما ذَهَبَ البَرْدُ. «وَلَتْها»، أَمْطَرَتْها، من «الوَلِيِّ». «الوَسْمِيُّ» ثم «الوَلِيُّ». «نِجاءٌ»، سَحابٌ.

١٠ ـ يَمُجُّ خُزَامَاهَا النَّدَى وَعَرَارُهَا
بِعَلْيَاءَ لَمْ يُؤْثِرْ بِهَا جَرْسُ وارِدِ

«عَرارٌ»، شَجرٌ. «لم يُؤْثِرْ»، لَم يَمْشِ بها أَحَدٌ.

١١ ـ بِأَطْيَبَ نَشْواً مِنْ سُلَيْمَى وَغِرَّةً
إذَا مَا سَقَى كَأْسُ الكَرَى كُلَّ رَاقِدِ

---

(١) في تعليقات البقية: «من بين الستور».

(٢) لم يرد هذا المعنى في اللسان والتاج.

١٢ ـ فكَانَ ثَوَابُ الوُدِّ مِنْها تَجَهُّماً
وَصُرْماً جَمِيلاً غَيْرَ هَجْرٍ مُبَاعِدِ[1]

١٣ ـ فلاَ تَأْسَ إنْ صَدَّتْ سِوَاكَ وَلاَ تَكُنْ
جَنِيباً لِخَلاَّتٍ كَذُوبِ المَوَاعِدِ

«لا تَأْسَ»، لا تَحْزَن عليها. «إن صَدَّتْ سِواكَ»، أي ذَهَبَتْ إلى غيرِك.

١٤ ـ وَعَدِّ إلَى قَوْمٍ تَجِيشُ صدُورُهُمْ
بِنِشِّيَ لاَ يُخْفُونَ مَحْمِلَ الحَقَائِدِ

واحد «الحقائِد» «حَقِيدَةٌ»، و«كَتِيفَةٌ» و«ضَغِينَةٌ»، و«حَسِيفَةٌ»، و«حَسِيكَةٌ». «عَدِّ القَوْلَ إليهم»، أي اذْهَبْ به إليهم.

١٥ ـ عَدُوٌّ إذَا غَابُوا صَدِيقٌ إذَا لَقُوا
وَكُلُّهُمُ فِيمَا يُرَى غَيْرُ زَاهِدِ[2]

١٦ ـ وَإِنِّي لأُغْضِي مِنْ رِجالٍ عَلَى القَذَى
وَأَزْهَدُ عَمَّنْ لَيْسَ عَنِّي بِزَاهِدِ

١٧ ـ حَيَاءً وَبُقْيَا فِيهم غَيْرَ رَهْبَةٍ
وَلَوْ نَكَثُوا المِيثاقَ بَعْدَ التَّعَاهُدِ

* * *

(١) في تعليقات البقية «غير مُجْز».
(٢) في تعليقات البقية: «إذا لُقُوا... فيما أُرَى».

ـ ٥ ـ

وقال أبو صخر أيضاً:

١ ـ هَلِ القَلْبُ عَنْ بَعْضِ اللَّجَاجَةِ نَازِعُ
وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ لَذَّةِ العَيْشِ رَاجِعُ

٢ ـ لَنا مِثلَ ما كُنَّا إذِ الحَيُّ جِيرَةٌ
سَقَى ذَلِكَ العَيْشَ الغَمَامُ اللَّوَامِعُ

٣ ـ لَيَالِيَ إذْ لَيْلَى تَدَانَى بِهَا النَّوَى
وَلَمَّا تَرُعْنَا بِالفِرَاقِ الرَّوائِعُ

٤ ـ وَإذْ لَمْ يَصِحْ بِالصُّرْمِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
أَسَاحِمُ مِنْهَا مُسْتَقِلٌ وَوَاقِعُ

٥ ـ وَمَا ذِكْرُ أَيَّامِ الصِّبَى اليَوْمَ بَعْدَما
عَلاَ الرَّأْسَ شَيِّبٌ فِي المَفَارِقِ شَائِعُ[1]

«أَسَاحِمُ»، غِرْبانٌ، واحدها «أَسْحَمُ».

٦ ـ وَفِي الشَّيبِ وَالإسلاَمِ عَن طَلَبِ الصِّبَى
لِذِي اللُّبِّ إنْ لَمْ يَنْهَهُ الحِلْمُ وَازِعُ

٧ ـ فَأَدِّ لَهَا مَا اسْتَوْدَعَتْكَ مُوَقِّراً
بِأَحْسَنِ ما كَانَتْ تُؤَدِّي الوَدَائِعُ

٨ ـ إذَا رُمْتُ يَوْماً صُرْمَهَا لَمْ يَزَلْ لَهَا
نَصِيحٌ يُصَادِينِي مِنَ القَلْبِ شَافِعُ

---

(١) في تعليقات البقية: «لامِع»، وكتب. «الصبا» هنا في المخطوطة بالألف، وفي البيت الذي يليه بالياء.

«يُصاديني» و«يُداريني» و«يُدَالِيني» و«يُدَاجِيني»، بمعنى واحدٍ.

٩ ـ أمِينٌ لَهَا ذُو عَوْلَةٍ مُقْتَفٍ بِهَا
مُطَاعٌ لَدَيْنَا بِالمَوَدَّةِ طَائِعُ

«مُقْتَفٍ»، مُتَحَفٌّ بها، يُكْرِمُها «عَوْلَةٌ»، حُزْنٌ.

١٠ ـ لَهَا بِالهَوَى سَمْحُ القَرِينَةِ مُصْحِبٌ
بِبَابِ الهَوَى بَعْدَ التَّمَلُّكِ قَانِعُ

«مُصْحِبٌ» مُنْقادٌ. «قَانِعٌ»، بهواه لَها.

١١ ـ وَقَدْ قُلْتُ لِلْقَلْبِ اللَّجُوجِ أَلَا تَرَى
سُلِبْتَ النُّهَى أَنْ لَيْسَ لِلْهُونِ تَابِعُ

١٢ ـ وَقَدْ طَالَ هَذَا لَا أَرَاكَ مُنَوَّلًا
وَلَا أنْتَ إنْ رَاعَ المُحِبُّونَ رَائِعُ(١)

١٣ ـ تَهِيمُ فَلَا مَوْتٌ يُرِيحُ مِنَ الَّذِي
تُلَاقِي وَلَا عَيْشٌ يُؤَمَّلُ نَافِعُ

١٤ ـ فَقَالَ وَأَسْتَارُ الجَوَانِحِ دُونَهُ
وَأَشْفَقَ لَمَّا طَالَ فِيهَا التَّرَاجُعُ

«أَسْتَارٌ»، ما سَتَر. «دُونه»، دُونَ القَلْبِ. و«الجَوانِحُ»، ضُلوع الصَّدْرِ.

١٥ ـ غُلِبْتُ فَلَا آلُوكَ إلَّا الَّذِي تَرَى
مِنَ الأَمْرِ فَانْظُرْ مَا الَّذِي أَنْتَ صَانِعُ

---

(١) «رائع» فسرت في هامش المخطوطة: «رَاجِعٌ».

«لَا آلُوك»، لا أستطيعُ لك.

١٦ ـ وَسَلْ ذَا الجَلَالِ اليَوْمَ يُعْقِبْكَ سَلْوةً
عَلَى هَجْـرِهـا وَاللَّهُ رَاءٍ وَسَـامِـعُ

١٧ ـ فَلَيْسَ المُعَنَّي بِـالَّـذِي لَا يَهِيجُـهُ
إِلَى الشَّوقِ إلَّا الهَاتِفَاتُ السَّوَاجِـعُ

١٨ ـ وَلَا بِـالَّـذِي إنْ بَـانَ يَـوْمـاً خَلِيلُهُ
يَقُولُ وَيُخْفِي الصَّبْرَ إنِّي لَجَازِعُ[1]

١٩ ـ وَلَا بِالَّذِي يَسْتَكْـرِهُ الوَجْـدَ وَالبُكَا
يُـرَائِي لِكَيْ يُؤْوَى لَهُ وَهْـوَ سَامِـعُ

«يُؤْوَى له»، يُرْحَم، «أويت له، مثلَ عَوَيْتُ له، أيَّةً»، أي رَثَيْتُ له، و «أَوَيْت إليه»، أتيتُه.

٢٠ ـ بَلِ الحُبُّ تَخْتِيرُ الهَـوَى وَمِطَالُـهُ
وَمَـوْتٌ خُفَـاتٌ وَالشُّؤُونُ الـدَّوَامِـعُ

ويروى: «الجَوَى». «مِطَالُه»، مُطاوَلَتْه. «خُفَاتٌ»، أي خَفَتَ مِن غير عِلَّةٍ ولا مَرَضٍ.

٢١ ـ دِجَـانٌ وَتَـهْتَـانٌ وَوَبْـلٌ وَدِيـمَـةٌ
فَـذلِـكَ يُبْـدِي مَـا تُجِنُّ الأَضَـالِـعُ

* * *

---

(١) في تعليقات البقية: «يَوْماً حَبِيبُهُ».

وَقَالَ أبُو صَخْرٍ أَيْضاً: (١)

١ ـ أَلَمَّ خَيالٌ طَارِقٌ مُتَأَوِّبُ
لِأُمِّ حَكِيمٍ بَعْدَمَا نِمْتُ مُوصِبُ

«مُوصِبٌ»، من «الوَصَب»، «قد أَوْصَبَه كذا وكذا»(٢). و «قد وَصِبَ هو».

٢ ـ هُدُوءاً وَأَصْحَابِي بِنَخْلَةَ بَعْدَمَا
بَدَا لي سِمَاكُ النَّجْمِ أَوْ كَادَ يَغْرُبُ

٣ ـ وَقَدْ دَنَتِ الجَوْزَاءُ وَهْيَ كَأَنَّهَا
وَمِرْزَمُهَا بِالغَوْرِ ثَوْرٌ وَرَبْرَبُ

٤ ـ وَأَهْلِي بِوَادٍ مِنْ تِهَامَةَ غَائِرٍ
بِأَسْفَلِ هِضْمَيْهِ أَرَاكٌ وَتَنْضُبُ(٣)

«هِضْمُه»، ما اطْمأنَّ منه(٤).

---

(١) ذكر أبو الفرج في الأغاني ٢١ : ١٤٨ «وقال أبو عمرو: وكان أبو صَخْر الهذليّ يَهْوَى امرأة من قُضَاعَةَ مجاورة فيهم، يقال لها ليلى بنتُ سَعد، وتكنّى أمَّ حكيمٍ. وكانا يتواصلان بُرْهةً من دهرهما، ثم تَزَوَّجت ورحَل بها زوجها إلى قومه، فقال في ذلك أبو صخر»: وذكر أبو الفرج منها أحد عشر بيتاً، وفيها اختلاف يسير في الرواية.

(٢) في المخطوطة: «كذا»، دون تكرار.

(٣) في المخطوطة «هصميه» وكذلك في شرحها، والشرح المطبوع، وتصحيح ولها وزن بالصاد. ولم يرد هذا في اللغة في (هصم) ولكن جاء المعنى المشروح في (هضم). و «غائر» في المخطوطة تحت الغين عين صغيرة أي «عائر» أيضاً.

(٤) انظر التعليق السابق.

٥ ـ فَبَاتَ شَرَابِي فِي المَنَامِ مَعَ المُنَى
غَرِيضُ اللَّمَى يَشْفِي جَوَى الحُزْنِ أَشْنَبُ

٦ ـ وَبَاتَ وِسَادِي فَدْغَمِيٌّ يَزِينُهُ
جَبَائِرُ دُرٌّ وَالبَنَانُ المُخَضَّبُ

«فَدْغَمِيٌّ»، ساعِدٌ مُمتلىء. و «جَبائِرُ»، مَسَكٌ[١].

٧ ـ قُضَاعِيَّةٌ أَدْنَى دِيارٍ تَحُلُّهَا
قَنَاةٌ وَأَدْنَى مِنْ قَنَاةَ المُحَصَّبُ[٢]

٨ ـ وَمِنْ دُونِهَا قَاعُ النَّقِيعِ فَأَسْقُفٌ
فَبَطْنُ العَقِيقِ فَالجَنِيبُ فَعُنْبَبُ[٣]

«عُنْبَبُ»، وادٍ يَمانٍ[٤].

٩ ـ هِجَانٌ فَلاَفِي اللَّوْنِ شَامٌ يَشِينُهُ
وَلاَ مَهَقٌ يَغْشَى الغَسِيقَاتِ مُغْرَبُ

---

(١) في المخطوطة ضبطت «مَسْكٌ» بفتح السين وسكونها.

(٢) في المخطوطة رواية أخرى: «وَأَنَّى مِنْ قَنَاةَ المُحَصَّبُ» وبجوار «أنى» رأس ( ) أي هي رواية أخرى، وهي رواية البقية، ورواية الأغاني في ترجمته، ومعجم البلدان (عنبب) و (قناة) و (نقيع).

(٣) في المخطوطة: «فعُنَيبُ»، وفي هامش المخطوطة: «فَالخُبَيْتُ فَعُنْبُبُ»، وفي تعليقات البقية «فعُنْبُبُ» و «فَعُنَيْبُ».

(٤) هذا الشرح من الشرح المطبوع، أما في المخطوطة في هامشها بجوار «الجنيب، وعنبب»، قال: «واديان».
هذا والجنيب لم ترد في ياقوت، ورواه في معجمه (عنبب) و (نقيع) «فالخُبَيْتُ» كما أن النسخة المخطوطة والبقية والشرح المطبوع ضبطت «عنبب» بفتح الباء الأولى، في حين أن ياقوت في «عنبب» ضبطه بفتح الباء وقال: «ورواه السكري «عُنْبُب» وهو في أمثلة سيبويه بفتح الباء الأولى».

«المَهَقُ»، شِدَّة البياض، «رجل أَمهقُ» و«امرأة مَهقاءُ». «هِجَانٌ»، بيضاء. «الغَسِيقاتُ»، الشَّديداتُ الحُمْرةِ، يقال: «غَسَقَت العَيْنُ من الدَّمْع».

١٠ ـ سِرَاجُ الدُّجَى تَغْتَلُّ بِالمِسْكِ طَفْلَةٌ
فَلَا هِيَ مِتْفَالٌ وَلَا اللَّوْنُ أَكْهَبُ

«تَغْتَلُّ» من الغَالِية، «تَغَلَّلْتُ وتَغَلَّيْتُ». و«مِتْفَالٌ»، مُنتنةُ الريحِ. «أَكْهَب»، أَغْبَرُ، سوادٌ في بياضٍ، وهي «الكُهْبَة»، و«الدُّخَانُ أَكْهَبُ»، وربما كان الدابَّةُ «أَكْهَب».

١١ ـ دَيِثَةُ مَا تَحْتَ الثِّيَابِ عَمِيمَةٌ
هَضِيمُ الحَشَا بِكْرُ المَجَسَّةِ ثَيِّبُ

«عَمِيمَةٌ»، طويلةٌ. و«بِكْرُ المَجَسَّة»، يقول: جِسها حَسَنٌ ولم يتغير، فإذا جَسَّسْتَها قلْتَ: بِكْرٌ، وهي ثَيِّبُ.

١٢ ـ تعَلَّقْتُها بِكْراً لَذِيذاً حَدِيثُهَا
لَيَالِيَ لَا تُعْدَى وَلَا هِيَ تُحْجَبُ

«تُعْدَى»، تُشْغَل[1].

١٣ ـ فَكَانَ لَهَا أُدِّي وَرَيْقَةُ مَيْعَتِي
وَلِيداً إِلَى أَنْ رَأْسِيَ اليَوْمَ أَشْهَبُ[2]

[«أُدّى»] يريد «وُدِّي»، وهي لُغَتُهُ[3] «رَيْقَتُه»، أوَّلُه، من «الرَّيْقِ».

---

(١) «تشغل» جاءت في المخطوطة فوق «تعدي»، شرحاً لها.
(٢) في تعليقات البقية: «أشيب».
(٣) في الشرح المطبوع: «لغتهم»، هذا، و«أدّى» في الشرح زيادة مني.

١٤ ـ فَلَمْ أَرَ مِثْلِي أَيْأَسَتْ بَعْدَ عِلْمِها
بُوُدِّي وَلَا مِثْلِي عَلَى اليَأْسِ يَطْلُبُ
١٥ ـ وَلَـوْ تَلْتَقِي أَصْدَاؤُنـا بَعْـدَ مَـوْتِنَـا
وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الأَرْضِ مَنْكِبُ
١٦ ـ لَظَلَّ صَدَى صَوْتِي وَلَوْ كُنْتُ رِمَّـةً
لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهَشُّ ويَـطْرَبُ

«هَشِشْتُ له»، [ارتحت له][1]، و «هَشَشْتُ الشجرَ»، ضَرَبْتَه حَتَّى يَنْتَثِر، من قوله عز وجل: (وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي)، [سورة طه: ١٨].

* * *

ـ ٧ ـ

وقال أبو صَخْرٍ يمدح أبا خالدٍ عبدَ العزيز بنَ عبدِالله بن خَالِـد بن أسِيد:

١ ـ أَرَائِــحٌ أَنْتَ يَـوْمَ اثْنَيْنِ أَمْ غَــادِي
وَلَمْ تُسَلِّمْ عَلَى رَيْحَانَةِ الـوَادِي[2]
٢ ـ وَمَـا ثَنَـاكَ لَهَـا وَالقَـوْمُ قَــدْ رَحَلُوا
إلَّا صَبَــابَـةُ قَلْبٍ غَيْــرِ مِــرْشَــادِ
٣ ـ إنِّي أَرَى مَنْ يُصَـادِينِي لأَهْجُـرَهَــا
كَــزَاجِـرٍ عَنْ سَبِيــلِ اللهِ صَــدَّادِ
٤ ـ لَــوْلَا رَجَــاءُ نَــوَالٍ مِـنْــكَ آمُلُهُ
وَالـدَّهْرُ ذُو مِـرَرٍ قَدْ خَفَّ عُـوَّادِي

(١) «أر له» زيادة تحت مني.
(٢) في البقية: «أوغادي».

٥ ـ يَا حَبَّذَا جُودُهَا بِالبَذْلِ تَخْلِطُهُ
بِالبُخْلِ بَعْدَ عِتَابِيهَا وَتَعْدَادِي
٦ ـ وَحَبَّذَا بُخْلُهَا عَنَّا وَقَدْ عَرَضَتْ
دُونَ النَّوَالِ بِعِلَّاتٍ وَأَلْدَادِ[1]

«هو يَلُدُّه حاجَتَهُ»، إذا رَدَّه[2]، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾، [سورة البقرة: ٢٩٤].

٧ ـ تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ
كَلَوْحِ مُزْنَةِ عَرْضٍ ذَاتِ أَرْصَادِ

«عَرْضٌ»، سحابٌ كَثير عَرِيض. و«المُزْنَة»، بيضاءُ تكون فيها. «أَرْصَادٌ»، من «الرَّصْدَة»، مَطْرَةٌ في إثْر مَطْرَةٍ قد مَطَرَتْ، فصار لها في الأرض «رَصْدَةٌ».

٨ ـ مَمكُورَةُ الخَلْقِ مُرْتَجٌّ رَوَادِفُهَا
رَاقَتْ عَلَى حَاضِرِ النِّسْوَانِ وَالْبَادِي
٩ ـ يُصْبِي تَبَسُّمُهَا مَنْ لَا يُكَلِّمُهَا
بِمِثْلِهَا يَشْتَفِي ذُو النِّيقَةِ الصَّادِي
١٠ ـ يَا أَطْيَبَ النَّاسِ أَرْدَاناً وَمُبْتَسَماً
كَيْفَ العَزَاءُ وَقَدْ زَوَّدْتِنِي زَادِي

(١) في المخطوطة بحوار «وقد» «ولو» أي هي رواية أخرى، وجاءت في تعليقات البقية.

(٢) في الشرح المطبوع «يلده عن حاجته» هذا وفي اللسان (لده). «لدَّه عَن الأَمْرِ حَبَسَهُ، هُذَلِيَّةٌ».

١١ ـ وَقُـرَّةَ العَيْنِ قَدْ عَـادَ الهَوَى ذِكَـراً
وَعَادَ لِي مِنْكَ وَسْوَاسِي وَأَفْنَادِي[١]

١٢ ـ قَـامَتْ تُـوَدِّعُنَـا وَالعَيْـنُ مُشْـعِلَةٌ
فِي وَاضِحٍ مِثْلِ فَرْقِ الرَّأْسِ مُنْقَادِ

«مُشْعِلَةٌ»، ذاهبةٌ مُتَفرِّقة[٢].

١٣ ـ تَغشَى عَـوَانِـدَهُ طَـوْراً وَتَنـظِمُـهُ
نَشْطَ النَّـوَاسِـجِ فِي أَنْيَـارِ جُـدَّادِ

«نَشْطٌ»، مَدٌّ. «أنْيارٌ»، جماعةُ «نِير»[٣] و«الجُدَّاد»، خُيوط الثَّوبِ، إذا قُطِعَ. «تَنْظِمه»، تَسِيرُ فيه، «نَظَمَتْ تَنْظِمُ».

١٤ ـ وَالـطَّرْفُ فِي مُقْلَةٍ إنْسَانُهـا غَـرِقٌ
بِالْمَاءِ تُذْرِي رَشَاشاً بَعْدَ أَجْـوَادِ[٤]

١٥ ـ لَوْلاَ الحَفِيظَةُ شَقَّتْ جَيْبَ مُجْسَدِهَا
مِنْ كَاشِحِينَ ذَوِي ضِغْنٍ وَأَحْقَادِ[٥]

١٦ ـ مَـاذَا غَدَاةَ ارْتَحَلْنَـا مِنْ مُجَمْجِمَةٍ
تُخْفِي جَـوىً قَدْ أَسَـرَّتْـهُ بِـآبَـادِ[٦]

---

(١) «أفنادي» فسرت في هامش المخطوطة «جهلي» وكتبت في البقية: «إفْنَادِي».
(٢) هذا الشرح في هامش المخطوطة.
(٣) في المخطوطة: «أينار» وهو تصحيف.
(٤) «والطرف» بجوارها في المخطوطة: «والجفن» وكذلك جاءت في تعليقات البقية.
(٥) «مجسدها» ضبطت بضم الميم وكسرها وعليها «معاً». وفي تعليقات البقية: «أُولِي ضِغْنٍ».
(٦) في البقية: «بأباد» وهو خطأ.

«أَبَدٌ وآبادٌ» مثل «زَمَن وأَزْمَان». «مُجَمْجِمَةٌ»، ما تَجَمْجَمَ في صَدْرِها من الحُبِّ.

١٧ ـ وَمِنْ مُسِرٍّ سَقَاماً لَا يَبُوحُ بِهِ
عَلَى الَّذِي كَانَ يُخْفِي قَبْلُ، مُزْدَادِ[١]

١٨ ـ ومِنْ عُيُونٍ تَسَاقَى الماءَ سَاجِمَةً
وَمِنْ قُلُوبٍ مَرِيضَاتٍ وَأَكْبَادِ[٢]

١٩ ـ إنَّ القُلُوبَ أَقَامَتْ خَلْفَنَا وَثَوَتْ
فَمَا غَدَتْ عِيرُنَا إلَّا بِأَجْسَادِ

٢٠ ـ يَا أُمَّ حَسَّانَ أَنَّى وَالسُّرَى تَعِبٌ
جُبْتِ الفَلَاةَ بِلَا نَعْتٍ وَلَا هَادِي

٢١ ـ إلى قَلَائِصَ لَمْ تُطْرَحْ أَزِمَّتُها
حَتَّى وَنَيْنَ وَمَلَّ العُقْبَةَ الحَادي

٢٢ ـ لَهَا وَمَالُوا عَلَى الأَشْزَانِ فَاضطَجَعُوا
عَلَى طَنَافِسَ لَمْ تُنْفَضْ وَأَلْبَادِ

«الشُّزُنُ»، الجانب[٣].

٢٣ ـ فَبِتُّ أَفْرِشُهَا كَفِّي وَتُعْقِبُنِي
عَذْباً نُقَاخاً غَرِيضاً غَيْرَ أَعْدَادِ

---

(١) «مزداد» صفة، أي مسر سقاماً، مزداد سقاماً.

(٢) بجوار البيت «صح»، في المخطوطة.

(٣) في الشرح المطبوع: «الشَّزْن»، هذا وحقه أن يقال: الأشزان جمع شزن وهو الجانب وفي الشزن ضبوط مختلفة.

قال: «نُقاخٌ»، عَذْبٌ صَافٍ، ولكن لما اختلف اللَّفْظُ كَرَّرَه.

٢٤ ـ تَجْلُو الشَّمَالُ قَذَاهُ صُبْحَ سَارِيَةٍ
فِي زِهْلِقٍ زَلِقٍ مِنْ فَوْدِ أَطْوَادِ

«سَارِيةٌ»، سحابةٌ. «زِهْلِقٌ»، أملس. «فَوْدٌ»، جانبٌ، «فَوْدُ الرأْس»، جَانِبُه[1].

٢٥ ـ إنَّ المُنَى بَعْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ وَانْصَرَفَتْ
وَدَارُهَا بَيْنَ مَبْعُوقٍ وَأَجْيَادِ[2]

٢٦ ـ كَمَا تَمَنَّى حُمَيًّا الكَأْسِ شَارِبُهَا
لَمْ يَقْضِ مِنْهَا طَلاَهُ بَعْدَ إنْفَادِ

«طَلاَهُ»، لَذَّتُه، قال: «طَلاَه» مثل «فَامَاه»

٢٧ ـ إنَّ المُنَى وَمَطَايَانَا لَشَاسِعَةٌ
عَنْ أُمِّ عَمْرٍو وَلَوْ حَبَّتْ وَحَمَّادِ[3]

أي: ولو حَبَّتْ إليَّ، يقال: «حَبَّ فلانٌ إليَّ»، «واللهِ لأَدَعَنَّه ولو حَبَّ إليَّ». ويروى «ولو حَنَّتْ». و«حَمَّادٌ»، ابنٌ آخَرُ مع عَمْرو.

٢٨ ـ بِنَا إذَا اطَّرَدَتْ شَهْراً أَزِمَّتُهَا
وَوَازَنَتْ مِنْ ذُرَى فَوْدٍ بِأَرْيَادِ

---

(١) في الشرح المطبوع: «جانبها» وانظر اللسان (فود): «فودا الرأس جانباه».
(٢) في تعليقات البقية: «معبوق وأجياد».
(٣) «حبت» رسمت بالباء وفوقها نقطة وعليها «معاً»، أي «حَنَّت» وجاء ذلك في الشرح وتعليقات البقية.

٢٩ - وَالمُرْسِمُونَ إلَى عَبْـدِ العَزِيـزِ بِهَا
مَعــاً وَشَتَّــى وَمِنْ شَـفْــعٍ وَفُــرَّادِ

«أَرْسَمَ الرجلُ في سَيْرِه»(١).

٣٠ - عَــوَامِـداً لِنَـدَى العِيصيِّ قَـارِبَــةً
وِرْدَ القَــطَا فَضَــلَاتٍ بَـعْـدَ وُرَّادِ

نَصَب «عوامِدَ» بالمُرْسِمين. «عوامِدُ»، يعني إبلاً.

٣١ - يَرْمِي بِهَا البِيدَ وَالأَمْيَالَ كُـلُّ فَتَى
جَلْدِ القُــوَى عَيْبُـهُ الإِعْــوَازُ وَفَّـادِ

٣٢ - بَـرَى الحَـوَادِثُ وَالأَيَّـامُ وَفْـرَتَــهُ
فَمَـا تَـرَكْنَ لَــهُ مِنْ رِيشٍ أَسْبَـادِ

«ماله سَبَدٌ ولا لَبَدٌ»، «السَّبَد»، الشَّعَر، «اللَّبَد»، الصُّوف والوَبَر.

٣٣ - إلَّا رَجَـاءَ الـعِـيـصـيِّ أَنَّ لَــهُ
كَفَّـالَهَـا حَــدَبٌ يَجْـرِي لإِصْعَــادِ

«حَدَبٌ» مثلُ حَدَبِ الماءِ مُرْتفعٌ.

٣٤ - إلَى سِــرَاجٍ وَبَـدْرٍ يُسْتَضَــاءُ بِـهِ
بِـالْحِلْمِ وَالمَالِ وَالْمَعْـرُوفِ عَـوَّادِ

٣٥ - عَلَى الأَقَاصِي بَلَا عِرْضٍ وَلَا بِيَدٍ
وَذِي الدَّلَالِ وَجَارِ البَيْتِ وَالجَادِي

---

(١) في اللسان، والتاج (رسم) وذكر البيت: «إنما أراد المُرسِمُوهَا، فزاد الباء وفصل بها بين الفعل ومفعوله».

«الجَادِي»، السائلُ. «بلا عِرْضٍ»، لا حَسَب له.

٣٦ ـ يُعْطِي المَهَارَى وَشَفْعَ الخَيْلِ مُقْرَبَةً
سَـلاَهِبـاً سُلُبـاً أَوْ ذَاتَ أَوْلَادِ[١]

٣٧ ـ وَالـدُّلَّحَ الـدُّهْمَ وَالقَيْنَاتِ يُسْلِمُهـا
عَفْـواً وَلَيْسَ لِمَـا يُعْـطِي بِعَـدَّادِ

«الدُّلَّحُ»، النَّخْلُ.

٣٨ ـ وَازْدَادَ مَجْداً يُنَاصِي النَّجْمَ جَوْهَرُهُ
وَذَاكَ أَفْلَجَ يـاابْنَ العِيصِ إنْشَادِي

«إنشادي»، طَلِبَتي[٢].

٣٩ ـ وَقَـدْ أَقَـرَّ بعَيْنِي حِينَ أَمْـدَحُـهُ
أَنَّ العُدُولَ مِنَ الأَقْوَامِ أُشْهَادِي[٣]

٤٠ ـ عَلَى ذُرَى مَجْدِهِ وَالْعِيصِ إنْ جَهِلوا
ثُمَّ السَّمَـاحِ يَـرَاهُ مَـالَ إتْـلَادِ[٤]

٤١ ـ وَالحَرْبُ إنْ عَرِسَتِ بِالحَرْبِ وَالتَهَبَتْ
وَجَـاشَ مِـرْجَلُهَـا مِنْ بَعْـدِ إيقَـادِ

«عَرِسَت»، أَقَامَتْ وَلَزِمَت، يقال: «عَرَّسُوا بالمكان»، أي لَزِمُوهُ.

---

(١) في هامش المخطوطة «وشُفْعَ» بضم الشين.

(٢) «إنشادي»، زيادة في الشرح المطبوع.

(٣) في المخطوطة «أنَّ العَذُولَ» بالذال المعجمة وفتح العين.

(٤) «والعيص» في هامش المخطوطة «الحلم»، وفي البقية: «والحلم»، وفي تعليقاتها: «والعيص».

٤٢ ـ وَصَرَّحَ المَوْتُ عَنْ غُلْبٍ رِقَابُهُمُ
مَصَالِتٍ كَأُسُودِ الخَلِّ أَنْجَادِ

٤٣ ـ أَلْفَيْتَهُ تَتَّقِي الأَبْطَالُ صَوْلَتَهُ
وَالكَبْشُ يَزْحَفُ وَالْمسْتَنْهِدُ العَادِي

«المُسْتَنْهِدُ»، الذي يَدعُو للقتالِ.

٤٤ ـ لاَ يَنْبَغِي لِلَّئِيمِ أَنْ يُصَاحِبَهُ
وَمَا خُلِقْتَ لِتَنْحِيسٍ وَإِلْكَادِ

«إلكادُ»، إمساك، أي يَلْزَمُ الشيءَ لا يُرْسِلُه[1].

٤٥ ـ وَمَا أَقَامَ وَلَوْ يَوْماً بِمَنْزِلَةٍ
إلاَّ سَمِعْتَ بِهَا أَصْوَاتَ وُفَّادِ

٤٦ ـ زَيْنِ المَنَابِرِ بِخُطْبَتِهِ
وَالخَيْلِ إِنْ رَكِبُوا وَالدَّارِ وَالنَّادِي

قال ابنُ بُكَيْر: رواها أبو عمرو: «والخيلُ إن رَكبوا والدارُ»، بالرفع، أي: والخيلُ والدارُ تَسْتَشْفِي، كأنَّه حُسْنٌ لها وَزَيْنٌ.

٤٧ ـ مَاذَا أَبَا خَالِدٍ لَمَّا فَرَعْتَهُمُ
مِنْ قَادحٍ لَكَ لاَ يُورِي وَحُسَّادِ

ويروى: «وَزُنَّاد». «فَرَعْتَهم»، عَلَوْتَهم.

---

(١) لم تجيء في اللسان والتاج صيغة «ألكد إلكاداً» وجاءت في المعنى «لكد» «النكد» «لاكَدَ»، وهذا البيت شاهد على «ألكد».

٤٨ ـ أَوْتَادُ الأرْضِ إذَا شُدَّتْ بِكُمْ ثَبَتَتْ
وَالأَرْضُ مَـا ثَـبَـتَـتْ إلَّا بِـأَوْتَـادِ

٤٩ ـ كَأَنَّ مَنْ حَلَّ فِي أَعْيَاصِ دَوْحَتِهِ
إذَا تَـوَلَّـجَ فِـي أَعْيَـاصِ آسَـادِ

٥٠ ـ إنْ خَـافَ ثُمَّ رَوَايَـاهُ عَلَى فَلَجٍ
مِـنْ فَضْـلِهِ صَخِـبِ الآذِيِّ رَعَّـادِ

«رَوَايَاه»، الذين يَرْتَوُون الماء، شبَّهه بنَهَرٍ غزيرٍ. «الآذِيُّ»، كثرةُ الماء «فَلَجٌ»، نَهْرٌ. «رَعَّادٌ»، غَزِيرٌ، «رَعِد يَرْعَدُ»، إذا كان غزيراً»[١].

٥١ ـ إذَا تُبُـرِّضَتِ الأَثْمَـادُ أَوْ نُكِـزَتْ
أَوْرَدْتَ قَبْضَ خَلِيـجٍ غَيْـرِ أَثْمَـادِ

«تُبُرِّضَتْ»، استُقِيَ منها قليلاً قليلاً. «نُكِزَتْ»، قَلَّتْ، وهي «تُنْكَزُ نَكْزاً» وبئر ناكِزٌ، و«بِئَارٌ نَواكِزُ»[٢]. «أَثْمَادٌ»، قليلٌ، يقول: من غيرِ أن يكون مَثْمُوداً[٣].

بِـجَسْـرَةٍ كَـفَـيقِ الشَّـوْلِ مُـدْمَجَـةٍ
أَوْ دَوْسَـرٍ مِثْلِ عِلْجِ العَـانِ وَخَّادِ

---

(١) الذي في البيت في نسخة والبقية «رعاد» وفي النسخة المخطوطة ما أثبته في الشرح. أما الشرح المطبوع ففيه «نهر رَغَّاد غزير رَغَد يَرْغِد إذا كان غزيراً». والذي في اللسان والتاج (زغد): «ونهر زَغَّاد» كثير الماء، وقد زَغَدَ وزخر وزغر بمعنى واحد، قال أبو صخر: (البيت ومعه البيت السابق له). هذا ومضارع «زغَد» «يَزْغَد». وليس ما ذكره في مادة (رعد) ولا مادة (رغد).

(٢) «بئار» زيادة مني.

(٣) «ماء مثمود»، كثر عليه الناس حتى فنى ونفد إلا أقله، و«رجل مثمود» أُلِحَّ عليه في السؤال فأعطى حتى نفد ما عنده.

«وَخَـدَ يَخِدُ وَخْـداً»، و «خَدَى يَخْـدِي خَدْيـاً وَخَدَيـاناً»، و «خَـوَّدَ تَخْوِيداً». و «العُونُ» أَجْوَدُ[1]

* * *

— ٨ —

وقال أبو صخر أيضاً:

١ ـ أَمُجْـلٍ بِلَيْـلٍ صُـرْمُ لَيْلَى فَـذَاهِبُ
خُفُوفاً وَلَمَّا تُقْضَ مِنْهَا المَـآرِبُ[2]

٢ ـ فَلَوْ لَا الَّذِي حُمِّلْتُ مِنْ لَاعِجِ الهَوَى
بِفَيْضِ اللِّوَى غِـرًّا وَأَسْمَاءُ كَـاعِبُ

٣ ـ لِأَسْمَـاءَ لَمْ تَهْتَـجْ لِشَيْءٍ إِذَا خَـلَا
فَـأَدْبَـرَ مَـا اخْتَبَّتْ بِلَفْتٍ رَكَـائِبُ

«لَفْتٌ»، مكَانٌ بين مكـة والمدينة، ويقال: ثَنِيَّة[3]. و «اختَبَّ»، من «الخَبَبِ».

٤ ـ وَلَكِنَّ مَيْعَـاتِ الصِّبَى تَصْـرَعُ الفَتَى
مَصَـارِعَ تُـرْدِي نَفْسَـهُ وَتُقَـارِبُ[4]

٥ ـ وَإِنِّـي مِمَّـا قَـرَّبَ الـنَّفْسَ لِـلَّرَدَى
إِلَى اللهِ إِلَّا مِنْ هَوَى جُمْلَ تَائِبُ

---

(١) كأن «العان» جمع «عانة»، ولم يرد هذا الجمع، ولذا قال: «والعون أجود»، لأن «العون» جمع «عانة».

(٢) «صرم» ضبطت في البقية بضم الصاد وكسرها.

(٣) انظر ما تقـدم في شعر معقـل بن خويلد في ضبط «لفت» ص ٣٧٧ تعليق: ١

(٤) كتب ولها وزن: «أو تقارب».

٦ ـ أَخَافُ إِذَا أُحْفِظْتُ أَنْ يَظْهَرَ الهَوَى
فَيَبْــدُوَ مَـا كَــانَتْ تُجِنُّ التَّــرَائِبُ

«التَّـريبةُ»، مـا بينَ أَصْلِ التَّـرْقُوَةِ إلى المَنْكِب مما يَلي العُنُقَ. و «البادِرَةُ» هي المَنْحَرُ. «أُحْفِظْتُ»، أُغْضِبْتُ.

٧ ـ وَأَذْكُرُ مَا فِي القَلْبِ مِنْ بَعْدِ سَلْوَةٍ
وَأَنْسَى وَلاَ يَنْسَى الذُّنُوبَ المُحَاسِبُ

٨ ـ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي لِلْغَوَانِي مِنَ الهَوَى
سِـوَى أُدِّهَا إِلَّا الَّـذِي أَنَـا غَـالِبُ

أي الذي أُرِيد نَفْسي عليه وَأَجْهَدُها[1].

٩ ـ فَكَمْ مِنْ خَلِيـلٍ يَعْلَمُ النَّـاسُ أَنَّنِي
لأَسْــرَارِهِ رَاعٍ أَمِيــنٌ وَرَاقِــبُ

١٠ ـ بَـذَلْتُ لَـهُ وُدِّي وَنُصْحِي وَجَـانِبي
إِذَا نَلْتَقِي عَنْــهُ بِسِرِّكِ نَــاكِبُ[2]

١١ ـ أَتَجْزَعُ أَنْ بَانَتْ سِـوَاكَ وَأَعْرَضَتْ
وَقَدْ صَدَّ بَعْدَ الإِلْفِ عَنْكَ الحَبَائِبُ

١٢ ـ صُدُودَ القِلَاصِ الأُدْمِ فِي لَيْلَةِ الدُّجَى
عَنِ الخَطِّ لَمْ يَسْرُبْ لَكَ الخُطَّ سَارِبُ[3]

---

(١) في الشرح المطبوع: «نفسي عليها».

(٢) في تعليقات البقية: «له أُدِّي».

(٣) ضبطت «الخط» في الموضعين بضم الخاء وفتحها وعليها «معا»، وفي تعليقات البقية: «لها الخط».

«يَسْرُبُ»، يَرْعَى، أخرجها إلى المَرْعَى، و«قد سَرَبَتْ»، يقول: لم يكن فيهن خُطٌّ، فكأنه لمْ يُرْعَ بساحتهنَّ، فهو بمنزلةِ هذه الإبل التي صُدَّتْ عن المرعَى ليلة الدُّجَى[1]، فعُدِل بها عن «الخُطِّ»، وهو مَوْضعُ الحَيِّ. أبو عمرو: «الخُطُّ»، الطريقُ. ويروى: «لها الخَطّ».

١٣ ـ فَأَصْبَحْنَ لاَ يَسْقِينَكَ الدَّهْرَ شُـرْبَةً
صُـدُوداً وَلَوْ سَـالَتْ بِهِنَّ المَنَـاقِبُ

١٤ ـ قَـطَعْتَ بِهِنَّ العَيْشَ وَالـدَّهْـرَ كُلَّهُ
فَحَبِّـرْ وَلَـوْ طَلَّتْ إلَيْـكَ المَنَـاسِبُ

«طَلَّتْ»، حَسُنَت وَأَعْجَبَتْ.

١٥ ـ لِعَبْدِ العَزِيـزِ المَضْرَحِيِّ الَّـذِي لَهُ
مِنَ الخَـالِـدِيِّينَ الـذُّرَى وَالْـذَّوَائِبُ

١٦ ـ قَصَـائِـدَ لاَ يَصْـلُحْنَ إلاَّ لِـمِثْـلِهِ
يَشِيـعُ لَـهُ مِنْهَـا قَـوَافٍ غَـرَائِبُ

١٧ ـ أَرَانِي إذَا أَجْـدَدْتُ يَـوْمـاً قَصِيـدَةً
لِغَيْرِكَ لَمْ يَرْفَعْ بِهَا الصَّوْتَ رَاكِبُ

١٨ ـ وَإنْ أَعْتَمِـدْ عَبْدَ العَـزِيزِ بِمِـدْحَـةٍ
تَبَـارَ بِهَـا فِي لَيْلَتَيْهَـا النَّجَـائِبُ[2]

ويُرْوى «تُبَارُ بِهَا»، أي تُجَرَّب بها، تقول: «بُـرْتُ ما عِنـدَه» أي جَرَّبْتُهُ.

---

(١) في المخطوطة: «الَتي صَدَرَتْ عن المَرْعَى».

(٢) في البقية: «تُبَارَى» وفي تعليقات البقية: «في ليلتين».

١٩ ـ فَأُقسِمُ مَا تَنْفَكُّ مِنِّي قَصِيدَةٌ
تُثَبَّى لَهُ مَا صَاحَ فِي الجَوِّ نَاعِبُ

«التَّثْبِيَةُ»، الإشادَةُ والذِّكْرُ.

٢٠ ـ وَمَا نَزَلَ الرُّكْبَانُ بِالخَيْفِ مِنْ مِنىً
ثَلاَثاً وَمَا خَاضَ الظَّلاَمَ الكَوَاكِبُ

٢١ ـ حَيَاتِي وَإنْ يُصْبِحْ صَدَايَ بِقَفْزَةٍ
تَجُرُّ عَلَيْهِ المعْصِرَاتُ الحَوَاصِبُ

٢٢ ـ يَرِثْنِي لَهُ الرَّاوُونَ مِنْ بَعْدِ مَوْتَتِي
ثَنَائِي يَعِيه مَشْرِقٌ وَمَغَارِبُ[1]

٢٣ ـ وَقَدْ عَلِمَتْ أَفْنَاءُ خِنْدِفَ أَنَّهُ
فَتَاهَا إذَا مَا اغْبَرَّ أَسْمَرُ عَاصِبُ

«أَسْمَرُ»، يعني عاماً. «عاصِبٌ»، شَديدٌ لا مَطَر فيه. «عَصَبَ الزمانُ يَعْصِبُ عُصُوباً مُنْكَراً».

٢٤ ـ وَلَمْ تَلِقِ العَصْمَاءُ فِي مَنَعَاتِهَا
وَخَلَّلَ عَنْ بَيْضِ الحَمَامِ المَسَارِبُ

«العَصْماء» الأُرْوِيَّة. و«لم تَلِق»، لم تَجِدْ شيئاً[2]. و«خُلِّلَ»، يقول: ذَهَب عنها الوَرَق. ابن بُكَيرٍ: «تَلِقْ»، تَسْتَقِرّ.

---

(١) في تعليقات البقية رواية أخرى «ثنائي بعيد» لكنه ضبط يجر بعيد، والوجه رفعه خبر «ثنائي».

(٢) في الشرح المطبوع: «شيء».

٢٥ ـ وَرُوِّحَتِ الأَشْوَالُ حُدْباً كَأَنَّهَا
قِسِيُّ سَرَاءٍ قَدْ بَرَاهُنَّ شَاسِبُ

٢٦ ـ صَفَتْ لَكَ أَخْلاَقٌ لَهُ خَالِدِيَّةٌ
يُضَلِّلُ عَنْهَا ذُو الضَّرِيرِ المُوَاكِبُ

٢٧ ـ أَغَرُّ أَسِيدِيٌّ تَرَاهُ كَأَنَّهُ
مِنَ الجُودِ يُعْطِي مَالَهُ وَهْوَ لاَعِبُ

٢٨ ـ فَمَنْ قَالَ عِنْدَ العُسْرِ وَاليُسْرِ غَيْرُهُ
مِنَ النَّاسِ أَنْدَى رَاحَةً فَهْوَ كَاذِبُ

٢٩ ـ أَبَا خَالِدٍ مَنْ ذَا سِوَاكَ يَرِيشُنِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي إِنْ بِنْتَ يَوْمَ عَاتِبُ

٣٠ ـ وَمَنْ ذَا وَلاَ أَفْقِدْكَ بَعْدَكَ أَشْتَكِي
إِلَيْهِ إِذَا مَرَّتْ عَلَيَّ التَرَائِبُ

٣١ ـ إِذَا عِشْتَ لِي حَتَّى أَمُوتَ فَلاَ أَسَلْ
خِلاَفَكَ فِي عَيْشٍ وَمَا

٣٢ ـ وَلاَ أَنَا أَشْكُو مَا بَقِيتَ مُلِمَّةً
وَمَا أَنا فِي عَيْشٍ خِلاَفَكَ راغِبُ[1]

٣٣ ـ جَمَعْتَ سَمَاحَ المُرْدِ فِي غَيْرِ خِفَّةٍ
وَعَزْماً إِذَا مَا جَلَّ أفقمُ كَارِبُ

«أَفْقَمُ»، أمرٌ صعبٌ.

---

(١) في البقية: «ولا أنا في عيش».

٣٤ - وَمَجْداً يُنَاصِي الفَرْقَدَيْن وَلَمْ تَكُنْ
كَمَنْ زَخْرَفَ الأَمْوَالَ والمُخُّ لاغِبُ

«زَخرفَ»، زَيَّنَ ولم يُعْطِها. «المُخُّ لاغِبٌ»، يريد بارداً فيه.

٣٥ - إذَا غِبْتَ رَجَّيْنَا إيَابَكَ مِثْلَ مَا
يُرَجَّى سِمَاكِيٌّ مَرَتْهُ الجَنَائِبُ

٣٦ - حَدَتْ مُزْنَهُ مِنْ حَضْرَمُوتَ مُرِبَّةٌ
ضَجُوعٌ لَهُ مِنْهَا مُدِرٌّ وَحَالِبُ

«حَضْرَمُوْتُ»، لُغَتهم[1]. «وَضَجُوعٌ»، مائلةٌ. و «مُرِبَّةٌ»، لازمةٌ.

٣٧ - تَقُودُ نُعَامَاهُ حَنَاتِمَ أُتْرِعَتْ
مِنَ المَاءَ يَتْلُوهُنَّ أَسْحَمُ سَاكِبُ

٣٨ - يَشُقُّ الدِّمَاثَ البِيضَ مِنْ كلِّ بَاطِنٍ
وَمِنْهُ سُفُورٌ بِالنَّوَاحِي لَوَاحِبُ

«سُفُورٌ»، آثارُ السيولِ، واحدها «سَفْرٌ». «بَاطِنٌ»، يريد بُطُونَ الأَوْدِيَةِ. «لَوَاحِبُ»، بَيِّنَةٌ. ويقال: «سَفَرْتُ الطَّرِيقَ»، اسْتَبَنْتُه، عن ابن بُكَيرٍ.

٣٩ - لأَنْتَ أَمَنُّ اليَوْمَ مِن فَيْضِ سَيْبِهِ
عَلَيْنَا وَلَوْ قِيلَ الحَيَا وَالأَخَاصِبُ[2]

---

(١) كان في المخطوط والمطبوع، من الشعر والشرح جميعاً «حَضْرَمَوْت» بفتح الميم، لكن ابن جنى في التمام: ٢٠٥، دلَّ على أنها «حَضْرَمُوت» بضم الميم عند السكري، وصَرَّح البكري في معجم ما استعجم فقال: «قال السكري: لُغَة هُذَيل: حَضْرَمُوت، بضم الميم، وأنشد لأبي صخر، البيت، ثم نقل ما قاله ابن جنى في التمام.

(٢) في تعليقات البقية: «لأنت أَمَنُّ القومِ من فضل سَيْبِه».

٤٠ ـ سَتُجْـدِبُ أَحْيَانـاً وَكَفَّـاكَ بِـالنَّـدَى
تَفِيضَانِ إثْجَاماً فَمَا لَـكَ جَادِبُ[١]

* * *

ـ ٩ ـ

وقال أبو صخر يرثي عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أَسِيد، رثاه وهو حيّ، وذاك أنه قال: أرْثِنِي حتى أسمع! فقال[٢]:

١ ـ عَفَا سَرِفٌ مِنْ جُمْلَ فَالمُرْتَمَى قَفْرُ
فَشِعْبٌ فَـأَدْبَارُ الثَّنِيَّـاتِ فَـالغَمْـرُ[٣]

٢ ـ فَخَيْفُ مِنيً أَقْـوَى خِـلاَفَ قَـطِينِـهِ
فَمكَّةُ وَحْشٌ مِنْ جَمِيلَةَ فَالحِجْرُ[٤]

٣ ـ تَبَـدَّتْ بِـأَجْيَـادٍ فَقُلْتُ لِصُحْـبَتِي
أَأَلشَّمْسُ أَصْحَتْ بَعْدَ غَيْمٍ أَمِ البَدْرُ

---

(١) في البقية: «سَتُجْدِرُ»، وفي هامش المخطوطة: «سَنُجدِرُ»، وفي المخطوطة إلى جوار هذا البيت كتب «صح».

(٢) في الأغاني ٢١: ١٤٦: «نسخت من كتاب أبي سَعِيدٍ السكري عنْ محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة قالا: كان أبو صَخْرٍ الهذلي منقطعاً إلى أبي خالد عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أَسِيدٍ، مدَّاحاً له، فقال له يوماً: أرثني يا أبا صَخْرٍ وأنا حَيٌّ، حتَّى أسمع كيف تقول، وأين مراثيك لي بعدي من مديحك إيَّاي في حياتي! فقال: أُعِيذك بالله أيُّها الأمير من ذلك، بل يُبْقِيك الله وَيُقدِّمني قبلك! فقال: ما من ذلك بُدٌّ قال: فرثاه بقصيدته التي يقول فيها..» وبدأ بالبيت التاسع عشر، وفيها اختلاف يسير في الرواية. ثم قال أبو الفرج: «فأضعف له عبد العزيز جائزته ووصله، وأمر أولاده فروَوا القصيدة».

(٣) في هامش المخطوطة: «ويروى: فَالحَضْرُ».

(٤) في تعليقات البقية: «وحشاً».

٤ ـ سِرَاجُ الدُّجَى لَفَّـاءُ مَمْكُورَةُ الشَّـوَى
مُهَضَّمَةُ الكَشْحَيْنِ خَطْوَتُهَـا شِبْرُ[1]

٥ ـ مِنَ الخَفِـرَاتِ الـوَازِنَـاتِ، كَـلاَمُهَـا
سِقَاطٌ سُقوطَ الحَلْيِ مُسْتَكْـرَهٌ نَزْرُ

«مُسْتَكْرَهٌ»، حين يَخْرُج من الخَيْط، أي لا يَمُرُّ سريعاً. «وَازِنَةٌ»، سَرِيعة.

٦ ـ تَـطِيبُ وَلَـوْ بـالمَـاءِ نَشْـوَةُ جِلْدِهَـا
إِذَا مَـا اسْتَحَمَّتْ وَالقَلاَئِـدُ وَالنَّشْـرُ

٧ ـ لَهَا أَرَجٌ فِي البَيْتِ يَشْفِي مِنَ الجَوَى
لَذِيذٌ إِذَا لَمْ تَبْدُ لَمْ يُخْفِهَا السِّتْـرُ

٨ ـ كَـأَنَّ عَلَى أَنْيَـابِهَـا مِنْ رُضَـابِهَـا
وَقَدْ دَنَتِ الشِّعْرَى وَلَمْ يَصْدَعِ الفَجْرُ

٩ ـ وَبَـلَّ النَّدَى مِنْ آخِـرِ اللَّيْلِ جَيْبَهَـا
إِذَا اسْتَوْسَنَتْ وَاسْتَثْقَلَ الهَدَفُ الهِذْرُ

«الهَدَفُ»، الثقيل، وكذلك «الهِذْرَ».

١٠ ـ مُجَاجَـةَ نَحْـلٍ مِنْ قَـرَاسَ سَبِيئَـةً
بِشَـاهِقَةٍ جَلْسٍ يَـزِلُّ بِهَا الغُفْـرُ[2]

«الغُفْر»، وَلَدُ الأُرْوِيَّةِ. «قَرَاسُ» جَبَلٌ. «جَلْسٌ»، طويلة.. أبو عمرو قال: «قَراسُ»، صخرةٌ. و «جَلْسٌ»، طويلة.

---

(١) في تعليقات البقية: «مُهَضَّمَةُ الخَصْرَين».

(٢) في تعليقات البقية: «سَبِيئَةٍ» بالجر.

١١ ـ بِـإِسْفِنْطِ كَـرْمٍ نَـاطِفٍ زَرَجُـونَـةٍ
بِعَقْبِ سَرَى جَادَتْ بِـهِ مُزُنٌ قُمْـرُ

«إِسْفِنْطٌ»، اسمٌ من أسمـاءِ الخَمْـر، أي بغبٍّ (بعقب) سَحـاب. «سَرَى»، فَعَل. و«زَرَجُونٌ»، كَرْمٌ، وهو فارسيٌّ، أراد «زَرّكُونْ»(١).

١٢ ـ جُمِعْنَ مَعـاً فِي صَحْفَـةٍ بَـارِقِيَّـةٍ
فَصُفِّيَ ذَوْبـاً شَبَّ نَشْـوَتَـهُ الخَمْـرُ

«شَبَّ»، أخرجَ رِيحَه، و«العَنْبَرُ يَشُبُّ رِيحَ المِسْكِ».

١٣ ـ فَتِلْكَ الهَوَى مَا عِشْتُ وَالشَّوْقُ وَالمُنَى
وَفِيهِنَّ مَـا عِشْنَ المَـلاَذَةُ وَالخَتْـرُ

١٤ ـ وَمَـا عَهْـدُ إِحْـدَاهُنَّ إِلَّا كَمَنْزِلٍ
أَنَـاخَ بِهِ يَـوْمَـاً عَلَى عَجَـلٍ سَفْـرُ

١٥ ـ فَقَـلَّ بِـهِ مَـا عَـرَسُـوا ثُمَّ أَنْهَجَتْ
لِمَنْـزِلَـةٍ أُخْـرَى بِهِمْ طُـرُقٌ غُبْـرُ

١٦ ـ فَلَمْ يُنْسِـهِ جُمْـلاً وَتَشْبِيبَـهُ بِهَـا
حَـوَادِثُ أَيَّـامٍ لَهَـا مِـرَرٌ شُـزْرُ(٢)

١٧ ـ فِـرَاقُ أَخٍ لَنْ يَبْرَحَ الـدَّهْرَ ذِكْـرُهُ
يُهَيِّمُنِي مَـا عِشْتُ أَوْ يَنْفَـدَ العُمْـرُ

---

(١) في المخطوطة «بغب سحاب سرى وزرجون. . .» والذي في التمام: ٢٠٨. «قـال: أرادَ بعقب سحابٍ سَـرَى، قال: وإسْفِنْطٌ، وومىً، اسم الخمـر. أمـا: «سرى»، فعلى إقامة الصفة مقام الموصوف». فالمراد بكلمة فَعَلَ أن سرى فِعْلٌ وصف به بعد حذف الموصوف، وهو «سحاب».

(٢) ضبطت «شزر» بفتح الشين وضمها. وعليها: «معا».

١٨ ـ وَكُنْتُ إِذَا مَا الطَّيْرُ جَاءَتْ مُشِيحَةً
أَقُولُ وَفِي صَدْرِي بِمَا زَجَرْتُ وَحْرُ[١]

١٩ ـ أَبَا خَالِدٍ نَفْسِي وَقَتْ نَفْسَكَ الرَّدَى
وَكَانَ بِهَا مِنْ قَبْلِ عَثْرَتِكَ العَثْرُ

٢٠ ـ لِتَبْكِكَ يَا عَبْدَ العَزِيزِ قَلَائِصٌ
أَضَرَّ بِهَا طُولُ المَنَصَّةِ وَالزَّجْرُ

٢١ ـ سَمَوْنَ بِنَا يَجْتَبْنَ كُلَّ تَنُوفَةٍ
تَضِلُّ بِهَا عَنْ بَيْضِهِنَّ القَطَا الكُدْرُ

٢٢ ـ فَمَا قَدِمَتْ حَتَّى تَوَاتَرَ سَيْرُهَا
وَحَتَّى أُنِيخَتْ وَهْيَ دَاهِفَةٌ دُبْرُ[٢]

«الدَّاهِفُ»، المُعْيِي. ويروى: «زاهِقَةٌ»، أي رقيقةُ المُخِّ[٣].

٢٣ ـ فَفَرَّجَ عَنْ رُكْبَانِهَا الهَمَّ وَالطَّوَى
كَرِيمُ المُحَيَّا مَاجِدٌ وَاجِدٌ صَقْرُ

٢٤ ـ أَخُو شَتَوَاتٍ تَقْتُلُ الجُوعَ دَارُهُ
لِمَنْ جَاءَ لَاضَيْقُ الفِنَاءِ وَلَا وَعْرُ

٢٥ ـ فَلَا نَفَعَ الفِتْيَانَ بَعْدَكَ لَذَّةٌ
وَلَا بَلَّ هَامَ الشَّامِتِينَ بِكَ القَطْرُ

---

(١) في تعليقات البقية: «زُجِرَتْ».

(٢) في تعليقات البقية: «زاهقة» و«زاهفة».

(٣) يرى ولها وزن أنها قد تكون «زاهفة» وأشار إلى بيت أمية بن أبي عائذ ٣٩ في قصيدته الثالثة.

٢٦ - وَلَا وَسَقَتْ لِلزَّوْجِ بَعْـدَكَ حَاصِنٌ
وَلَا تَمَّ حَتَّى يُبْعَثُوا ذَلِـكَ الـطُّهْـرُ

«القُرْء»، الطُّهر، و«القُرْءُ»، ما بين الحَيْضَتين[1].

٢٧ - فَإِنْ تُمْسِ رَمْساً بِـالرُّصَـافَةِ ثَـاوِياً
فَما مَاتَ يَا ابْنَ العِيصِ أَيَّامُكَ الزُّهْرُ

٢٨ - وَذِي وَرَقٍ مِنْ فَضْلِ مَالِكَ مَالُـهُ
وَذِي حَاجَةٍ قَدْ رِشْتَ لَيْسَ لَهُ وَفْرُ

٢٩ - فَأَمْسَى مُرِيحـاً بَعْدَ مَـا قَدْ يَؤُوبُـهُ
وَكَـلَّ بِهِ المَـوْلَى وَضَاقَ بِـهِ الأَمْـرُ

* * *

- ١٠ -

وَقَالَ أَبُو صَخْرٍ أَيْضاً[2]:

١ - عَفَتْ ذَاتُ عِـرْقٍ عُصْلُهَا فَـرِئَـامُهَـا
فَضَحْيَاؤُهَا وَحْشٌ قَدَ اجْلَى سَوَامُهَا

(١) هذا تفسير لكلمة لم ترد في البيت، ولعلَّ فيه رواية: «ولا قَرَأَتَ لِلْزَوْج».
(٢) قدم أبو الفرج لهذه القصيدة بقصة من غير رواية السكري، ولهذا اختلفت أبياتها في الترتيب والرواية والزيادة والنقص، الأغاني: ٢١: ١٤٤ - ١٤٥ وخلاصتها: أن أبا صخر وهُذَيلاً جاءوا إلى عبدالله بن الزبير ليقبضوا عطاءهم حين غلب ابن الزبير على الحجاز، وكان ابن الزبير عارفاً بهوى أبي صخر في بني أمية، فمنعه عطاءه. وحدث بينهما هُجْر من القول، فحبسه ابن الزبير في سجن عارم، ثم أطلقه بعد سنة، فلما ولِّي عبد الملك وحجَّ لقيه أبو صخر فقرَّبه وأدناه وأنشده هذه قصيدة.

٢ ـ إلَى عُقَدِ البَيْضَاءُ مِنْ جُمْلَ أَقْفَرَتْ
وَكَـانَ بِهَا مُصْطَافُهَا وَمُقَـامُهَا
٣ ـ سِوَى أَنَّ مَرْسَى خَيْمَـةٍ خَفَّ أَهْلُهَا
بِـأَبْهَـرَ مِحْـلاَلٍ وَهَيْهَـاتَ عَـامُهَا

«الأَبْهَرُ»، اللَّيِّنُ من الأرض، قال: «البُهْرَة»، الأرضُ الطيِّبَةُ التي لا يعلوها السَّيْلُ.

٤ ـ إذَا اعْتَلَجَتْ فِيهَا الرِّيَاحُ وَأَدْرَجَتْ
عَشِيًّا جَرَى فِي جَانِبَيْهَا قُمَامُهَا
٥ ـ فَـإِنَّ مَعَـاجِي لِلْخِيَـامِ وَمَـوْقِـفِي
بِـوَانِيـةِ البَنْـدَيْنِ بَـالٍ ثُمَـامُهَـا[1]

«وَانِيَةٌ» ضعيفة، قد ضَعُفَت وَأَخْلَقَتْ. و«البَنْدَانِ»، شُرُطُ الخِيام التي تُشَدُّ بها، واحدها «بَنْدٌ، وهي بيوت من ثُمامٍ أو شَجَرٍ»[2]

٦ ـ لَـجَهْـلٌ وَلَـكِّنـي أُسَلِّي زَمَـانَـةً
يُضَعِّفُ أَسْـرَارَ الفُؤَادِ سَقَـامُـهـا
٧ ـ وَأَشْفِي جَوَى بِاليَأْسِ مِنِّي قَدِ ابْتَرَى
عِظَامِي كَمَا يَبْـرِي الرَّدِيـعَ هُيَامُهَـا
٨ ـ وَلِـلَّهِ شَعْبَـا طِيَّـةٍ شَـسَعَـتْ بِهَـا
بِمَـا قَدْ تَـدَانَى دَارُهَا وَلِمَـامُهَـا[3]

---

(١) في المخطوطة: «بَاكٍ ثُمَامُها».
(٢) انظر اللسان والتاج (بند).
(٣) في تعليقات البقية: «تُدَانَى».

٩ ـ مِنَ القاصِرَاتِ الخَطْ وَفِي السَّيْرِ كَاعِبٌ
سِرَاجُ الدُّجَى يُرْوِي الظَّمآنَ نِسَامُهَا

١٠ ـ صُـرَاحِيَّةٌ لَـوْ تَـذْرُجُ الـذَّرُّ أَنْـدَبَتْ
عَلَى جِلْدِهَـا خَـوْدٌ عَمِيمٌ قَـوَامُهَـا

١١ ـ كَـأَنَّ عَلَى أَنْيَـابِهَـا مِنْ رُضَـابِهَـا
سِبيئاً نَفَى الصَّفْرَاءَ عَنْهَا إِيَامُهَـا[1]

«سَبِيئاً»، عَسلاً. و«الصَّفْراء»، النَّحْل. و«الإِيَامُ»، الدُّخَان.

١٢ ـ بِمَـاذِيَّـةٍ جَـادَتْ لَهَـا زَرَجُـونَـةٌ
مُعَتَّقَـةٌ صَهْبَـاءُ صَـافٍ مُـدَامُهَـا[2]

«مَاذِيَّةٌ»، نَقِيَّةٌ، يعني عسلاً.

١٣ ـ أَتَى مُنْـذُ مَاتَتْ فِي رَوَاقِيـدِ دَنِّهَـا
ثَـلاَثُـونَ حَـوْلاً لاَ يُفَضُّ خِتَـامُهَـا

١٤ ـ بِعَقْبِ سَـرَى فِي مُزْنَـةٍ رَجَبِيَّـةٍ
بِقَـاعٍ حَنِيٍّ يَـوْمَ أَجْلَى غَمَـامُهَـا

ويروى: «أَنْجَى» في موضع «أَجْلَى»[3].

---

(١) في تعليقات البقية: «بفى».
(٢) في تعليقات البقية: «زَرَجُونَةٍ».
(٣) زيادة في الشرح المطبوع. هذا وفي التمام: ٢١٣ «أي بعقب سحاب سرى فحذف الموصوف، وقد تقدم»، أي في شرحه «بعقب سرى جادت به مزن قمر» انظر صفحة: ٩٥١ تعليق: ٢.

١٥ ـ رَسَتْ بِفَضِيضِ المَاءِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ
يُجَرُّ عَلَى قَرْنِ الجَنُوبِ جَهَامُهَا
١٦ ـ فَأَقْصِرْ فَلاَ مَا قَدْ مَضَى لَكَ رَاجِعٌ
وَلاَ لَذَّةُ الدُّنْيَا يَدُومُ دَوَامُهَا
١٧ ـ وَفَدٌ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِي رَمَى
بِجَأْوَاءَ جُمْهُورٍ تَمُورُ إِكَامُهَا[١]
١٨ ـ مِنَ أَرْضِ قُرَى الزَّيْتُونِ مَكَّةَ بَعْدَما
غُلِبْنَا عَلَيْهَا وَاسْتُحِلَّ حَرَامُهَا[٢]
١٩ ـ وَأَلْحَدَ فِيها الفَاسِقُونَ وَأَفْسَدُوا
فَخَافَتْ فَوَاشِيهَا وَطَارَ حَمَامُهَا

«الفَوَاشِي»، المالُ الراعِي.

٢٠ ـ فَطَهَّرَ مِنْهُمْ بَطْنَ مَكَّةَ مَاجِدٌ
أَبِيٌّ شَبَاةِ الضَّيْمِ حِينَ يُسَامُهَا[٣]
٢١ ـ وَمِنْ رَأْيِهِ ذِي الفَضْلِ وَالْيُمْنِ وَالتُّقَى
أَغَرُّ سَمَاوِيٌّ إِلَيْهِ زِمَامُهَا
٢٢ ـ يَشُجُّ بِهَا عَرْضَ الفَلاَةِ تَعَسُّفاً
وَأَمَّا إِذَا يَخْفَى مِنَ أَرْضٍ عَلاَمُها[٤]

---

(١) في البقية والمخطوطة «وفدٌ» وصححها ولها وزن وبرث.

(٢) شرحه أبو الفرج في الأغاني ٢١: ١٤٦: «يقول: رمى مَكة بالرجال من أهل الشأم، وهي أرض الزيتون».

(٣) في تعليقات البقية: «شَرَاةِ الضيم».

(٤) في البقية «علابها» بكسر العين والتصويب من اللسان (علم) بعده في الأغاني: =

٢٣ ـ لَهُ عَسْكَرٌ طَاحِي الصِّفَافِ عَـرَمْرَمٌ
وَجُمْهُـورَةٌ يَزْهَى العَـدُوَّ احْتِـدَامُهَـا

٢٤ ـ وَمَـا مِنْ قَبِيـلِ المُؤْمِنينَ قَـبِيـلَةٌ
وَلَـوْ كَرُمَتْ إلاَّ قُـرَيْشٌ كِـرَامُهَـا[1]

٢٥ ـ هُمُ البِيضُ أَقْـدَامـاً وَدِيبَـاجُ أَوْجُـهٍ
وَغَيْثٌ إذَا الجَـوْزَاءُ قَلَّتْ رِهَـامُهَـا

٢٦ ـ هُمُ فَضَلاَتُ المَوْتِ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ
وَبَحْـرٌ وَأَنْهَـارٌ تَفِيضُ جِـمَـامُهَـا

٢٧ ـ وَلَوْ لاَ قُرَيْشٌ لاَسْتُـرِقَّتْ عَجُوزُكُمْ
وَطَالَ عَلَى قُطْبَىْ رَحَاهَا احْتِزَامُهَا[2]

٢٨ ـ شَمِتَّ بِقَتْلَى مَـالِـكٍ وَهَجَـوْتَهـا
عَلَيْكَ خَـزَايَـا قَـوْمِ لُـوطٍ وَذَامُهَـا

= ٢٩ : ١٤٦ .
فَصَبَّحَهُمْ بِـالخَيْـلِ تَـزْحَف بِـالقَنَـا وَبَيْضَـاءَ مِثْلِ الشَّمْسِ يَبْـرُقُ لاَمُهَـا
ثم بعده البيت ٢٣ ، فالبيت ٢٠ ، وبعده :
فَـدَعْ ذَا وَبَشِّرْ شَـاعِـرَيْ أُمِّ مَـالِـكٍ بِـأَبْياتِ مـا خِزْىٍ طَـويـلٍ عُـرَامُهَـا
شاعرى أم مالك ، رجلان من كنانة كانا مع ابن الزبير يمدحانه ويحرضانه على أبي صخر لعداوة كانت بينهما وبينه» .
ثم ذكر أبو الفرج بعده البيت ٣٠، فالبيت ٢٩ ، فالبيت ٢٢ . هذا وفي نسخة من الأغاني «بأبيات مُخْزِىً» .
(١) في تعليقات البقية : «قبيل المسلمين» .
(٢) في هامش المخطوطة : «قُطْبٌ» وضبطها بضم القاف وفتحها وكسرها وعليها : «جميعاً» .

٢٩ ـ فإنْ تَبْدُ أَوْ تَستَخْفِ تُغْضِ على أذى
وَيَخْـطَفْـك نَـابَـا حَيَّـةٍ وَسِمـامُهَـا

٣٠ ـ وَإنْ تَبْـدُ تَجْدَعْ مِنْخَـرَيْك بِمُـدْيَةٍ
مُشَـرْشَـرَةً حَـرَّى رَمِيضٍ حُسامُهَـا

٣١ ـ وَقَـدْ عَلِمَتْ كَعْبٌ غَـوَايَـةَ أَمْـرِهَـا
إذَا مِصْرُ سَارَتْ بالرِّجَـالِ وَشَامُهَـا

٣٢ ـ وَكَعْبٌ كَكَعْبِ الشَّاةِ يُؤْكَلُ لَحْمُهَا
وَيُـطْرَحُ مِنْهَـا فَـرْثُهَـا وَعِـظَامُهَـا

* * *

ـ ١١ ـ

وقال أبو صَخْرٍ أيضاً:

١ ـ لِلَيْلَى بِذَاتِ الـبَيْـنِ دَارٌ عَـرَفْـتُـهـا
وَأُخْرَى بِذَاتِ الجَيْشِ آيَاتُهَا عُفْرُ[١]

«سِفرٌ»، [كتاب غُفْلٌ،[٢] أي دَرَسَتْ فصارت أعلامُها أغفالاً.][٣].

٢ ـ كَـأَنَّـهُـمـا مِـالآنَ لَـمْ يَـتَـغَـيَّـرَا
وَقَدْ مَرَّ بِالدَّارَيْنِ مِنْ بَعْـدِنَا عَصْـرُ

---

(١) في هامش المخطوطة «سفر» بدل «عفر» وفي تعليقات البقية «سفر» بكسر السين.
(٢) زيادة في الشرح المطبوع ولم يذكر أن «سفر» رواية، وهي في التمام لابن جنى: ٢١٥. وانظر الهامش السابق.
(٣) زيادة من التمام: ٢١٥ واللسان والتاج (سفر)، عن السكري، وضبطه في اللسان «سَفْر» بفتح السين.

٣ ـ وَقَفْتُ بِرَسْمَيْهَا فَلَمَّا تَنَكَّرَا
صَدَفْتُ وَعَيْنِي دَمْعُهَا سَرِبٌ هَمْرُ

٤ ـ وَفِي الدَّمْعِ إنْ كَذَّبْتُ بالحُبِّ شَاهِدٌ
يُبَيِّنُ مَا أُخْفِي كَمَا بَيَّنَ البَدْرُ

٥ ـ صَبَرْتُ فَلَمَّا غَالَ نَفْسِي وَشَفَّهَا
عَجَارِيفُ تَأْتِي بِهِ غَلَبَ الصَّبْرُ[1]

٦ ـ إذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَبِيبَيْنِ رِدَّةٌ
سِوَى ذِكْرِ شَيْءٍ قَدْ مَضَى دَرَسَ الذِّكْرُ[2]

«رِدَّةٌ»، بَقِيَّةٌ[3].

٧ ـ إذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهِيجُنِي
نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطَّلِعُ الفَجْرُ[4]

٨ ـ إذَا ذُكِرَتْ يَرْتَاحُ قَلْبِي لِذِكْرِهَا
كَمَا انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

٩ ـ أمَا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي
أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ[5]

١٠ ـ لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَغْبِطُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى
أَلِيفَيْنِ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا الزَّجْرُ

---

(١) في تعليقات البقية: «بُلِغَ الصَّبْرُ».
(٢) في المخطوطة «الحبينين»، وهو تصحيف.
(٣) زيادة في الشرح المطبوع، ويؤيده اللسان (ردد) وذكر البيت.
(٤) في تعليقات البقية: «حين»، على النون فتحة، وفي المخطوطة، بضم النون.
(٥) على «أما» في المخطوطة: «خف».

١١ ـ وَصَلْتُكِ حَتَّى قُلْتِ لَا يَعْرِفُ القِلَى
وَزُرْتُكِ حَتَّى قُلْتِ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ[١]

«هجرتُكِ حَتَّى قُلْتِ لا يَعْرِفُ الهَوَى»، أَجْوَدُ[٢]

١٢ ـ صَدَقْتِ أَنَا الصَّبُّ المُصَابُ الَّذي بِهِ
تَبَارِيحُ حُبٍ خَامَرَ القَلْبَ أَوْ سِحْرُ

١٣ ـ فَيَا حَبَّذَا الأَحْيَاءُ مَا دُمْتِ حَيَّةً
وَيَا حَبَّذَا الأَمْوَاتُ مَا ضَمَّكِ القَبْرُ

١٤ ـ تَكَادُ يَدِي تَندى إذَا مَا مَسَسْتُها
وَتَنْبُتُ فِي أَطْرَافِهَا الوَرَقُ الخُضْرُ

هذا المجنون[٣].

١٥ ـ وَإِنِّي لَآتِيهَا لِكَيْمَا تُثِيبَنِي
أَوُ اؤْذِنَها بِالصُّرْمِ مَا وَضَحَ الفَجْرُ

١٦ ـ فَمَا هُوَ إلَّا أَنَّ أَرَاهَا بِخَلْوَةٍ
فَأُبْهَتُ لَا عُرْفٌ لَدَيَّ وَلَا نُكْرُ[٤]

١٧ ـ وَأَنْسَى الَّذي قَدْ جِئْتُ كَيْمَا أَقُولَهُ
كَمَا تَتَنَاسَى لُبَّ شَارِبِهَا الخَمْرُ

١٨ ـ وَلَا أَتَلَافَى عَثْرَتِي بِعَزِيمَةٍ
مِنَ الأَمْرِ حَتَّى تَحْضرَ الأَعْيُنُ الخُزْرُ

---

(١) في المخطوطة فوق «قلت» في الموضعين: و«قيل» أي هي رواية أخرى.

(٢) في المخطوطة فوق «قلت»: و«قيل».

(٣) زيادة في الشرح المطبوع ولعلّها إشارة إلى أنَّ هذا البيت يروى لمجنون ليلى وتكون هذه الزيادة مقحمة على شرح السكري أو إشارة منه.

(٤) في المخطوطة فوق «بخلوة»: و«فُجاءة» أي هي رواية أخرى.

١٩ ـ فـأَرْجِـعُ مِثْلِي حينَ جِئْتُ مُنَحَّسـاً
أَقُـولُ مَتَى يَوْمٌ يَكُـونُ لَـهُ يُسْـرُ[(١)]

أي أرْجِع كما كنتُ. «مُنَحّساً»، مُتحيِّراً حَزيناً. و«مُنَحِّس»، مُتَخبِّرٌ أيضاً. يقال: «هو يَتَنَحَّسُ الأخبارَ».

٢٠ ـ فَلَا خَيْرَ فِي وَصْلِ الظُّنُونِ إذَا وَنَى
وَلَا لَـذَّةٍ يَـا لَيْـلَ يُنْـزِلُهـا القَسْـرُ

٢١ ـ أذُمُّ لَـكِ الأيَّامَ فِيمَـا وَلَـتْ لَنَـا
وَمَـا لِلَّيَالِي فِي الَّـذِي بَيْنَنـا عُـذْرُ

٢٢ ـ فَيَـا هَجْرَ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِيَ المَدَى
وَزِدْتَ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بَلَغَ الهجْرُ

٢٣ ـ وَيَـا حُبَّهَـا زِدْنِي جَـوىً كُـلَّ لَيْلَةٍ
وَيَـا سَلْوَةَ الأيَّامِ مَـوْعِـدُكِ الحَشْـرُ

٢٤ ـ أَلَيْسَ عَشِيَّـاتُ الحِمَى بِـرَوَاجِـعٍ
لَنَا أَبَداً مَـا أَوْرَقَ السَّلَمُ النَّضْرُ[(٢)]

٢٥ ـ وَلَا عَائِدٍ ذَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى
تَبارَكْتَ مَا تَقْضِي يَقَعْ وَلَكَ الشُّكْرُ[(٣)]

٢٦ ـ عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَـا
فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنا سَكَنَ الدَّهْـرُ

---

(١) في المخطوطة، على الحاء من «منحساً» شدَّة عليها فتحة، وتحت الحاء كسرة.
(٢) في تعليقات البقية: «عَشِيَّات اللِّوَى... ما أَبْرَمَ السَّلَمُ...».
(٣) في البقية «تباركت مَا تَقْدِرْ» وفي تعليقاتها: «مَا تَقْضِي». و«فَلَكَ».

٢٧ ـ مُقِيماً كَأَنْ لَمْ يُحْدِثِ اليَوْمَ صَرْفُهُ
لَنَا خُطَّةً عَوْصَاءَ مِرَّتُهَا شَزْرُ
٢٨ ـ عَلَى رِسْلِهِ لَمْ يَكْتَرِثْ أَنْ تُصِيبَنَا
نَوَائِبُ يَرْمِينَا بِهَا مَعَهُ القَدْرُ
٢٩ ـ تَمَنَّيْتُ مِنْ حُبِّي عُلَيَّةَ أَنَّنَا
عَلَى رَمَثٍ فِي البَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفْرُ

«الرَّمَثُ»، أعوادٌ تُشَدُّ مثلَ الطَّوْف.

٣٠ ـ عَلَى دَائِمٍ لَا يَعْبُرُ الفُلْكُ مَوْجَهُ
وَمِنْ دُونِنَا الأَعْدَاءَ وَاللُّجَجُ الخُضْرُ[1]
٣١ ـ لِنَقْضِي هَمَّ النَّفْسِ مِنْ غَيْرِ رِقْبَةٍ
وَيَغْدُوَ مَنْ نَخْشَى نَمِيمَتَهُ البَحْرُ

* * *

ـ ١٢ ـ

وقال أبو صَخْرٍ أيضاً:

١ ـ بِأَهْلِي مَنْ أَمْسَى عَلَى نَأْيِهِ شَكْلًا
وَمَنْ لَا أَرَى فِي العَالَمِينَ لَهُ مِثْلًا[2]

«شَكْلًا»، أي مِثْلًا مُوَافقاً[3].

---

(١) في البقية: و«الُجَجُ».

(٢) في البقية «على نَايَةٍ» وصححها بارت «عَلَى نَأْيِهِ» والمثبت عن المخطوطة. و«نائه» بمعنى «نأيه» يقال «نأى»، و«ناء»، بمعنى بعد.

(٣) ليس في المطبوع.

٢ - وَأُقْسِمُ بِـالله الَّـذِي اهْتَـزَّ عَـرْشُـهُ
عَلَى فَـوْقِ سَبْـعٍ لَا أُعَلِّمُـهُ بُـطْلَا

٣ - بِـأَنَّ لِـلَيْلَى فِـي فُـؤَادِي عَـلَاقَـةً
عَلَى اليَأْسِ مِنْهَا مَا سَقَى الشَّرْبُ النَّخْلَا[1]

٤ - فَما وَجْدُ شَمْـطَاء العَوَارِضِ أَفْلَتَتْ
بَنِيهَا فَلَمْ يُبْقِ الزَّمَـانُ لَهَا أَهْـلَا[2]

٥ - وَقَـدْ لُبِسَتْ حَتَّى تَـوَلَّى شَبَـابُهَـا
إِذَا مَـاتَ بَعْلٌ بُـدِّلَتْ بَعْـدَهُ بَعْـلَا

٦ - وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَبْنَـائِهَـا غَيْـرُ واحِـدٍ
وَمَا إِنْ أَقَرَّتْ قَبْـلَ مَوْلِـدِهِ الحَمْلَا

٧ - تَـكُفُّ عَـلَيْـهِ الـدِّرْعَ ثُمَّ تَـضُمُّـهُ
إِلَى كَبِـدٍ قَـدْ جَـرَّبَتْ قَبْلَهُ الثُّكْـلَا

٨ - فَشَبَّ لَهَـا مِثْـلُ الـرُّدَيْنِيِّ مَـاجِـدٌ
كَـرِيمٌ تَـرَاهُ فِي عَشِيـرَتِـهِ جَـزْلَا

٩ - تَرَى الشِّيبَ بِالآمَالِ يَمْشُونَ نَحْـوَهُ
يُحَيُّونَه كَهْلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَهلَا[3]

١٠ - يُحَيُّـونَ بُهْلُولًا جَـزِيـلًا عَـطَاؤُهُ
جَمِيعَ السِّلَاحِ لَا جَبَانًا وَلَا وَغْلَا[4]

---

(١) في تعليقات البقية: «على اليأس يوماً ما».
(٢) في تعليقات البقية: «سمطاء».
(٣) في تعليقات البقية: «ومن لم يكن».
(٤) في تعليقات البقية: «ولا دَغْلَا».

١١ ـ أَتَى أُمَّـهُ قَـدْ وَاعَـدَ الغَـزْوَ فِتْيَـةً
كِراماً نَثاهُمْ لَا ضِعَافاً وَلَا عُزْلَا[١]

١٢ ـ فَشَكَّتْ عَلَيْـهِ نِصْفَ عَـامٍ وَعِنْـدَهُ
مِنَ القُودِ صَهْبَاءُ القَرَا تَعْلُكُ النِّكْلَا

«النِّكْلُ»، اللِّجَامُ[٢].

١٣ ـ فَلَمَّـا رَأَتْ أَصْحَـابَـهُ أَذِنَتْ لَـهُ
وَقَالَتْ لَعَلَّ الله أَنْ يَجْمَـعَ الشَّمْلَا

١٤ ـ فَسَـارَ إلَى الأَعْـدَاء سِتِّيـنَ لَيْـلَةً
عَلَى ضُمَّرٍ مِثْلِ القَنَا مُطِلَتْ مَطْلَا

«مُطِلَت»، أيْ خُلِقَتْ طِوالاً[٣].

١٥ ـ فَلَمَّـا رَأَوْا حَـوْضَ المَنِيَّـةِ حَثَّهُمْ
وَقَالَ اضْرِبُوا لَا أَسْمَعَنَّ لَكم عَذْلَا

١٦ ـ تَخَالُ اخْتِلَافَ النَّبْلِ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ
إذَا أَدْبَرَتْ أَوْ أَقْبَلَتْ بَيْنَهُمْ نَحْلَا[٤]

١٧ ـ تَرَى ابْنَ العَجُوزِ قَدْ تَحَامَوْا مَقَامَهُ
إذَا شَدَّ فِيهِمْ عَقْرَ الخَيْلَ والرَّجْـلَا

---

(١) في تعليقات البقية: «لا لثاماً» أي بدل «لا ضعافاً».

(٢) «النكل»، زيادة من الشرح المطبوع.

(٣) «مطلت» زيادة من الشرح المطبوع. و«أي» زيادة في المخطوطة.

(٤) في المخطوطة: «تحال»، وهي تصحيف.

١٨ ـ بِضَرْبِ بُطَاطِي البَيْضَ مِنْ فَوْقِ رُؤسِهِمْ
إِذَا أُكْرِهَتْ فِيهِمْ سَمِعْتُ لَهَا قَصْلاَ
١٩ ـ أُتِيحَ لَهُ مِنْهُمْ كَمِيٌّ مُجَرَّبٌ
مُعِيدٌ بِكَرِّ الخَيْلِ لَمْ يَأتِهَا خَتْلاَ
٢٠ ـ فَعَاوَرَهُ طَعْناً يُفَرِّجُ مَوْرَهُ
مَعَابِلُ صَبَّابٍ وَقَدْ مُطِلَتْ مَطْلاَ

«مَوْرُه»، ذَهابُه ومَجيئه، يعني الطَّعْنَ. «مَعابِلُ صَبَّاب»، أي التي يُرْمَى بها. و«مُطِلَت»، طُوِّلَتْ.

٢١ ـ فَخَرَّا وَجَالَتْ عَنْهُما فَرَسَاهُمَا
كَمَا خَرَّ جِذْعَا دَوْمَةٍ قُطِلَتْ قَطْلاَ.
٢٢ ـ فَسَوَّوْا عَلَيْهِ ثُمَّ رَاحُوا بِبَزِّهِ
وَصَهْبَاءِ قَدْ ضَمَّ السِّفَارُ لَهَا صُقْلا
٢٣ ـ فَلَمْ تَرَهُ فِي القَوْمِ حِينَ تَسَلَّمُوا
وَلَمْ تَرَ إِلَّا السَّيْفَ والدِّرْعَ وَالنَّبْلاَ

«تَسلَّموا»، رجع كلُّ قومٍ إلى مَوَاضعهم.

٢٤ ـ وَنَضْخَ دِمَاءٍ فَوْقَ ضَاحِي قَمِيصِهِ
فَقَامَتْ إِلَيْهِمْ تَجْمَعُ الثُّكْلَ وَالرَّجْلاَ

تقول: «واثُكْلاه، وارَجُلاَهُ».

٢٥ ـ فَبَكَّتْ عَلَيْهِ كُلَّ إِمْسَاءِ لَيْلَةٍ
بِدَمْعٍ تَرَاهُ لاَ قَلِيلاً وَلاَ ضَحْلاَ

٢٦ ـ فَلَمَّا أَفَاقَتْ قِيلَ قَدْ كَانَ حُبُّهُ
لَهَا سَقماً أَوْ كَانَ يَا وَيْحَهَا خَبْلاَ

٢٧ ـ فَأَيْسَرُ مَا أُبْدِي بِلَيْلَى كَوَجْدِهَا
سِوَى أَنَّنِي أُبْدِي لَهَا خُلُقاً جَزْلاَ

* * *

ـ ١٣ ـ

وقال أبو صخرٍ أيضاً:

١ ـ أَنَارَ سَوَادُ رَأْسِكَ بِاشْتِمَالِ
وَآذَنَكَ الحَبَائِبُ بِالزِّيَالِ

٢ ـ أَرَادَ الشَّيْبُ مِنِّي خَبْلَ نَفْسِي
لأَنْسَى ذِكْرَ بَيْضَاتِ الحِجَالِ

٣ ـ وَلَمْ أُدْرِكْ لَدَى الخَفِرَاتِ تَبْلِي
وَأَبْرَأْ مِنْ عَلاَقَاتِ المِطَالِ

٤ ـ وَمَنْ هَجَرَ المُبَاعِدَ وَهْوَ رَاضٍ
لِيَعْلَمَ مَنْ يَدُومُ عَلَى الوِصَالِ

٥ ـ إِذَا اخْتَصَمَ الصِّبَى وَالشَّيْبُ عِنْدِي
فَأَفْلَجْتُ الشَّبَابَ فَلاَ أُبَالِي

٦ ـ بَيَاضُ الرَّأْسِ مَا لَمْ تَأْتِ أَمْراً
يَكُونُ سِوَاهُ أَتْوُ حِلٍ حَلاَلِ (١)

---

(١) في المخطوطة فوق «حل» كتب: «خف»، وضبطت «أتو» في البقية بالرفع والنصب.

أراد: «حِلٌّ»، فخفَّف، أي يكون الحلالُ سِواهُ، فهو حرامٌ.

٧ ـ بَـلِ اهْتَجْتَ الغَـدَاةَ لِـرَسْمِ دَارٍ
بِمُنْـدَفَـعِ السَّـوَائِـلِ مِنْ أُثَـال

٨ ـ تَـرُوحُ الـرَّائِحَـاتُ بِهَـا وَتَـغْـدُو
وَيَـرْمِينَ الـرُّبَى بِحَصَى التِّـلَالِ

٩ ـ أَذْعَـنَ بِـمَـا يَـخِـفُّ لَـهُـنَّ مِـنْـهُ
وَحُـزْنَ بِجَـوِّهِ جُـلَّ الجُفَـالِ[1]

١٠ ـ دِيَـارٌ مِـنْ شَمُـوسَ وَجَـارَتَـيْهَـا
وَأُمِّ الجَهْمِ فِي الحِقَبِ الخَـوَالِي

١١ ـ لَيَـالِيَ يَسْتَبِيـنَ حِـمَـى فُـؤَادِي
بِـأُنْسٍ زَانَـهُـنَّ مَـعَ الـجَـمَـالِ

١٢ ـ وَأَوْجُـهِ جِـنَّـةٍ وَمُـهَـفْـهَـفَـاتٍ
لِـطَافٍ فَـوْقَ أَرْدَافٍ نِـبَـالِ[2]

١٣ ـ إِذَا عُـطِفَتْ خَـلَاخِلُهُـنَّ غَصَّـتْ
بِـجُـمَّـارَاتِ بَـرْدِيٍّ خِـدَالِ

١٤ ـ فَعَـدِّ عَنِ المَنَاسِبِ نَحْـوَ قَـوْمٍ
تَـلَطَّفَ نَـفْـعُـهُـمْ دُونَ الـمَـوَالِي

١٥ ـ فِـدىً لِبَنِي أَسِيـدٍ حَيْثُ كَـانُـوا
عَلَى مَـا كَـانَ مِنْ حَـدَث اللَّيَـالي

---

(١) في البقية والمخطوطة: «أُذَعْنَ»، وصححها ولها وزن ويارث.

(٢) في البقية: «أرداف» وهي تصحيف، وصححها ولها وزن ويارث.

١٦ ـ ضَمِيـرِي دُونَ مَنْ لِي مِنْ خَلِيلٍ
وَمَـا جَـمَّعْـتُ مِـنْ أَهْـلٍ وَمَـال

١٧ ـ كَـفَـانِي كُـلُّ أَبْيَضَ خَـالِـدِيٍّ
طَوِيلِ البَاعِ مُضْطَلِعِ الحَمَالِ[1]

١٨ ـ يُـفِـيـدُونَ الـقِـيَـانَ مُـقَـيَّـنَـاتٍ
كَـأَطْلَاءِ النِّعَـاجِ بِـذِي طَـلَالِ

١٩ ـ وَصُـلْبَ الأَرْحَـبِـيَّـةِ وَالـمَـهَـارَى
مُـخَـيَّـسَـةً تُـزَيَّـنُ بـالـرِّحَـالِ

٢٠ ـ وَأَوْجُـهُـهُـمْ تُـبَـشِّـرُ مُـعْـتَـفِـيـهِـمْ
إِذَا مَـا سَـلَّمُـوا قَبْـلَ الـسُّؤَالِ

٢١ ـ وَنَـبْـعَـتْـهُـمْ نُـضَـارٌ مِـنْ قُـرَيْشٍ
وَغَيْـطَلُ عِيصِهِمْ دَوْحُ الـظِّلَالِ

٢٢ ـ إِذَا حَكَمُـوا عَـلَى قَـوْمٍ أَقَـرُّوا
فَمَـا مِنْ بَعْـدِ حُكْمِهِـمِ مَقَـالُ

٢٣ ـ وَتَحْيَـا الأَرْضُ أَنْ يَمْشُـوا عَلَيْهَـا
وَهُمْ زَيْنُ الحَجِيجِ عَلَى الجِبالِ[2]

٢٤ ـ بَـنَـى آبَـاؤُهُـمْ لِـبَـنِـي أَبِيهِمْ
وَهُـمْ آبَـاؤُهُـمْ غَـيْـرَ انْـتِـحَـالِ

---

(١) «الحَمَالَ»، صححها ولها وزن «الحِمَال». و«الحَمَال» مع «حَمَالَةٍ»، وهو ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة، فهو هنا مضطلع بالحمالات.

(٢) في تعليقات البقية: «عَلَى الجِبَالِ».

٢٥ ـ عَلَى مَا كَانَ أَسَّسَ أَوَّلُوهُمْ
مِنَ المَجْدِ المُقَدَّمِ وَالفَعَالِ

٢٦ ـ دَعَائِمُ مِنْ أُمَيَّةَ رَاسِيَاتٌ
ثَبَتْنَ وَفَرْعُهُنَّ أَشَمُّ عَالِي

٢٧ ـ وَمَا مُتَرَجِّزُ الآذِيِّ جَوْنٌ
لَهُ حُبُكٌ تَطِمُّ عَلَى الجِبَالِ

٢٨ ـ تَحَمَّلَ آلُ بُصْرَى مِنْ وَجَاهُ
وَأَهْلُ الحَوْفِ هَمُّوا بِارْتِحَالِ[1]

٢٩ ـ بِأَغْزَرَ مِنْ نَوَالِ بَنِي أَسِيدٍ
وَلَا قَرِدِ الذُّرَى وَاهِي العَزَالِي[2]

٣٠ ـ إِذَا صَبُّوا فُوَيْقَ اللِّين خُضْراً
لِطَافَ الطَّيِّ غَضَّاتِ الصِّقَالِ

«اللينُ»، ضَرْبٌ من الثياب يسمى «اللِّين».

٣١ ـ إِذَا سَقَطَتْ حَوَاشِيهِنَّ أَمَّتْ
بِأَقْدَامِ مُحَصَّرَةِ النِّكَالِ

٣٢ ـ أَرَقَّ الحَائِكُونَ وَأَوْسَعُوهَا
لِكُلِّ أَشَمَّ بُهْلُولٍ طُوَالِ

---

(١) في البقية: «الجوف» بالجيم. وفي المخطوطة بجوار «بارتحال» رواية أخرى: «باحتمال»، وهي في تعليقات البقية.

(٢) في البقية «بأغرز» وصححها ولها وزن «بأغزر» كما في المخطوطة. وضبطت «قرد»، في البقية بالرفع والجر، أما في المخطوطة فضبطت بالجر وحده.

٣٣ ـ يَفُوحُ المِسْكُ مِنْهُ حِينَ يَغْدُو
وَيَمْشِي الزَّاهِرِيَّةَ غَيْرَ خَالِ

«خَال»، مُختالٌ. «الزاهِرِيَّةُ»، التَّبَخْتُرُ.

٣٤ ـ وَلَا بَطِرٍ وَلَكِنْ ذَاكَ مِنْهُ
وَتَشْمِيرٌ إذَا رُفِعَ العَوَالِي[1]

٣٥ ـ وَشَبَّ ذَكَا مُذَكَّرَةٍ زَبُونٍ
عَفَرْنَاةٍ تَلَقَّحُ عَنْ حِيَالِ[2]

٣٦ ـ إذَا امْتُرِيَتْ أَبَتْ إلَّا بِعَصْبٍ
وَدَرُّ حِلَابِهَا مُبَجُّ الرِّجَالِ[3]

٣٧ ـ فَلَمْ يَكُ حِينَ يَسْفَعُهُمْ ذَكَاهَا
لِأَوْجُهِهَا سِوَى الأَعْيَاصِ صَالِي

٣٨ ـ تَلَقَّوْهَا بِطَائِحَةٍ زَحُوفٍ
يُفِيضُ الحُصْنُ مِنْهَا بِالسِّخَالِ

ويروى: «الخَيْلُ منها»، تَرْمِي بِأَوْلادِها. «طَائِحةٌ»، كَتِيبةٌ.

* * *

ـ ١٤ ـ

وقال أبو صخر يمدح خالد بن عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسِيدٍ:

---

(١) في تعليقات البقية: (ولا بَطِرٍ).
(٢) في النسخة المخطوطة: «عفرناة» بالرفع، وكذلك جاءت في تعليقات البقية.
(٣) في المخطوطة: «ودَّرَ حِلابَها»، وكذلك هي في تعليقات البقية.

١ ـ أَلَا يَـا لَقَـوْمٍ لِلسَّقَـامِ المُعَـاوِدِ
نُكَـاسـاً وَطَيْفـاً مِنْ رُقَيَّـةَ عَـامِـدِ
٢ ـ يُـهَيِّـجُنِي لَـيْـلاً وَذَلِـكَ لَا يُـرَى
نَهَـاراً إِذَا مَا كُنْتُ لَسْتُ بِـرَاقِدِ[1]
٣ ـ أَهَـاوِيـلُ مِـنْ جِنِّيَّـةٍ كُـلَّ لَيْلَةٍ
تُـرَافِقُنِي بِـاللَّيْـلِ فَـوْقَ الـوَسَـائِـدِ
٤ ـ وَتَكْنِـدُ إِحْسَـانِي إِذَا هِيَ أَصْبَحَتْ
فَيَـا حَبَّـذَا مِنْ طَيْفِ سَـارٍ وَكَـانِـدِ
٥ ـ تَصُـدُّ بِعَـاداً بَيْنَ هَجْـرٍ وَعَـوْلَـةٍ
فَلَا تَخْلُ مِنْ ذَاكَ الحَبِيبِ المُبَاعِدِ
٦ ـ وَكَمْ قَـدْ مَضَتْ مِنْ لَيْلَةٍ ثُمَّ لَيْـلَةٍ
مِنَ أَجْلِكِ يَسْتَشْفِي لِسُقْمِي عَوَائِدِي
٧ ـ إِذَا هِـيَ نَـاءَتْ لِلْقِيَـامِ تَـأَوَّدَتْ
تَـأَوُّدَ غُصْنِ البَـانَـةِ المُتَـرَاوِدِ[2]
٨ ـ فَـإِنْ تُنْفِـدِ الأَيَّـامُ وُدَّكِ بَعْـدَمَـا
عَلِمْتِ فَـإِنَّ الدَّهْـرَ لَيْسَ بِنَافِـدِ[3]
٩ ـ أَدَعْـكِ وَأُعْمِـلْ مِـرْجَمـاً ذَا عُـلَالَـةَ
يَبُـذُّ وَجِيفَ النَّـاجِيَـاتِ المَـوَاخِـدِ

---

(١) في تعليقات البقية: «يُهَجِّدنِي لَيْلاً».
(٢) في تعليقات البقية: «المُتَرَايِدِ».
(٣) في المخطوطة: «وُدَّكَ».

١٠ ـ يُعَانِدُ عِطْفَيْهِ الزِّمَامُ وَتَارَةً
يُصَمِّمُ فِي المَثْنَاةِ غَيْرَ مُعَانِدِ[١]

١١ ـ إِلَى خَالِدٍ نَرْجُو وَنَأْمُلُ رِفْدَهُ
فَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ يُرَجَّى وَرَافِدِ

١٢ ـ ربيعٌ وَبَدْرٌ يُسْتَضَاءُ بِوَجْهِهِ
كَرِيمُ النَّثَا مُسْتَرْبِعٌ كُلَّ حِاسَدِ[٢]

١٣ ـ أَقَامَ بِدَارِ الحَمْدِ يَغْشَى قَطِينَهُ
نَدَاهُ وَرُكْبَانَ المَلَا المُتَبَاعِدِ[٣]

١٤ ـ لَدَى سِدْرَةِ المَعْرُوفِ كُلَّ عَشِيَّةٍ
يَنُوبُونَ رِفْهاً سَيْبَ أَبْيَض مَاجِدِ

١٥ ـ بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الطَّرِيقَيْن لَمْ يَكُنْ
لِيَنْزِلَهَا إلَّا فَتىً مِثْلُ خَالِدِ

١٦ ـ نَمى مِنْ فُرُوعِ العِيصِ فِي المَجْدِ وَالذُّرَى
وَسَهْمٍ وَفَرْعِ المُطْعِمِينَ الأَجَاوِدِ

١٧ ـ فَأَنْتَ، فَلَا تُفْقَدْ، قَنَاتُكَ صُلْبَةٌ
إذَا قُرِعَتْ فَضَّتْ قَنَاةَ المُكَايِدِ

١٨ ـ تَقُودُ أُولِي الأَضْغَانِ حَتَّى يُسَلِّمُوا
وَتَأْبَى فَلَا تَنْقَادُ يَوْماً لِقَائِدِ

---

(١) في تعليقات البقية. «غير مباعد».

(٢) «مستربع» فسرت فوقها في المخطوطة: «أي مُحْتمِلٌ».

(٣) في البقية: «قَطينُه.. وركبانُ»، وفي المخطوطة: «قطينَهُ.. وركبانُ»، والمثبت ما يوافق المعنى، فإن نداه يغشى قطينه ويغشى ركبان الملا.

١٩ - وَإِنْ يَسْعَ ذُو مَجْدٍ لِيَقْرُبَ مَجْدَهُ
يُبَرِّزْ عَلَيْهِ خَالِدٌ غَيْرَ جَاهِدِ[١]
٢٠ - وَيَصْبِرُ لِلْعَافِينَ بِالعُرْفِ وَالنَّدَى
وَيُعْطِي المَهَارَى بَعْدَ شَفعِ الوَلَائِدِ[٢]
٢١ - وَرُكْبَانِ أَنْضَاءِ يَبُلُّ رِحَالَهُمْ
ضَرِيبُ عَثَانِينٍ مِنَ الثَّلْجِ بَارِدِ

عَثَانِينُه، أوائله. و «مِنَ اللَّيْلِ»، أجودُ[٣].

٢٢ - غَدَوْا وَمَدَاهُمْ خَالِدٌ وَرِكَابُهُمْ
بِجَنْبَيْ مُنِيرٍ لَاحِبٍ ذِي عَوَانِدِ
٢٣ - فَجلَّى قَتَامَ النَّحْسَ عَنْهُمْ فَأَسْفَرُوا
أَغَرُّ مِنَ الأَعْيَاصِ لَيْسَ بِجَامِدِ[٤]
٢٤ - إِذَا ضَنَّ بِالقَطْرِ السَّحَابُ وَأَمْحَلُوا
سَمَوْا نَحْوَ فَيَّاضٍ كَثِيرِ العَوَائِدِ[٥]
٢٥ - كَأَنَّهُمُ مِنْهُ إِذَا نَزَلُوا بِهِ
عَلَى نَهَرٍ مِنْ فَيْضِ دِجْلَةَ رَاكِدِ

---

(١) في المخطوطة: «ليقرب مجدُه».

(٢) «للعافين» فوقها في المخطوطة رواية أخرى: و «للجادين» وكذلك في تعليقات البقية.

(٣) زيادة في المخطوطة ويؤيدها ما في التمام: ٢٢٠ قال: ويروى «من الليل».

(٤) في البقية والمخطوطة «فجلى قنام»، وصححها ولها وزن. وفي تعليقات البقية: «ليس بخامد».

(٥) في تعليقات البقية: «كثير الفوائد».

٢٦ ـ وَمَا مُسْبِلٌ بِالمَاءِ جَاشَتْ بِحَارُهُ
رِدَافُ السَّنَا ذُو رَوْنَقٍ مُتَعَاوِدِ[(١)]

٢٧ ـ بِأَغْزَرَ مِنْ فَيْضِ الأَسِيدِيِّ خَالِدِ
وَلاَ مُزْبِدٌ يَعْلُو جَزَائِرَ حَامِدِ[(٢)]

٢٨ ـ فَإِنْ قَالَ يَوْماً قَالَ بِالحَقِّ عَادِلاً
وَفَاصِلَةٍ يَرْضَى بِهَا كُلُّ سَاعِدِ

كأنه أراد كُلَّ أحدٍ، كما يقال: «كُلُّ من ضَرَب العَيْرَ»[(٣)]، لأنه ليس أحدٌ إلاَّ وقد مَسَّ العَيْرَ، وإنما أراد: كُلُّ قائمٍ وقاعدٍ، فلم يُمْكِنْه.

٢٩ ـ وَلَوْ نَالَ نَجْمَ السَّعْدِ أَكْرَمُ مَنْ مَشَى
لَنَالَ بِكَفَّيْهِ نُجُومَ الأَسَاعِدِ[(٤)]

٣٠ ـ وَلَوْ كَانَ حَوْضُ المَوْتِ لاَ شَيْءَ دُونَهُ
مَكَانَ الثُّرَيَّا كُنْتَ أَوَّلَ وَارِدِ[(٥)]

* * *

ـ ١٥ ـ

وقال أبو صَخْرٍ أيضاً:

١ ـ نَامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيْلَ لَمْ أَنَمِ
وَهَيَّجَ العَيْنَ قَلْبٌ مُشْعَرُ السَّقَمِ

---

(١) في تعليقات البقية: «ذو رَيِّق».

(٢) في المخطوطة فوق «جزائر حامد» تفسير لها: «موضع».

(٣) «كل من ضرب العير»، إشارة إلى بيت الحارث بن حلزة في معلقته:

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْرَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَّا الوَلاءُ.

(٤) في المخطوطة: «نُجُومُ الأَسَاعِدِ» بالرفع.

(٥) في تعليقات البقية: «حوض المجد».

٢ ـ مُكَلَّفٌ بِنَوَى لَيْلَى وَمِرَّتِهَا
يَا طُولَ لَيْلِكَ لَيْلاً غَيْرَ مُنْصَرِمِ [١]

٣ ـ قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي جَلْداً فَهَيَّجَنِي
طَيْفٌ لَهَا طَارِقٌ لَمْ يَسْرِ مِنْ أَمَمِ

٤ ـ كَمْ جَاوَزَتْ دُونَنا مِنْ كلِّ مَهْلِكَةٍ
غَوْلٍ مَهَالِكَ أَهْوَالٍ وَمِنْ ظُلَمِ [٢]

٥ ـ دُعْجٍ وَمِنْ خَادِرٍ شَثْنٍ بَرَاثِنُه
ضِرْغَامَةٍ تَحْتَ عِيصِ الغَابِ وَالأَجَمِ

٦ ـ جَهْمِ المُحَيَّا عَبُوسٍ بَاسِلٍ شَرِسٍ
وَرْدٍ قُصَاقِصَةٍ رِيبَالَةٍ شَكِمِ [٣]

قال يقال: «تَرَابَلَ الأسدُ» [٤]، إذا تَمَّت أسنانُه. و«الرِّئْبَال» من الأُسْدِ مثل «القارِح» من الخَيل، عن ابن بُكَير. «رِئْبالَةٌ»، مُنْكَر. «شَكِمٌ»، مَخضوب [٥]

٧ ـ وَمِنْ عَدُوٍ وَمِنْ خَيْلٍ مُسَوَّمَةٍ
وَمِنْ سُهُوبٍ وَأَمْيَالٍ وَمِنْ عَلَمِ

---

(١) في تعليقات البقية: «ليلك طولاً».
(٢) في تعليقات البقية: «متالف أهوال».
(٣) «ريبالة»، غير مهموز في المخطوطة والبقية، وهو مثل «رئبالة»، انظر (رأبل)، لسان العرب.
(٤) «ترابل» في المطبوعة: «ترأبل»، وكذلك «رئبال»، و«رئبالة» بالهمز جميعاً.
(٥) كذا «مخضوب» في الشرح المطبوع والنسخة المخطوطة وفي التمام: ٢٢١ ـ ٢٢٢: «الرئبال من الأسد كالقارح من الخيل التي تمَّت أسنانه. قال هذا عن أبي حفص عمر بن بكير. قال: وشكم: غضوب، وفي اللسان (شكم)، وأوردت البيت. قال السكري، «شكم غضوب».

٨ ـ تَهَيَّجَتْنِي وَرِيــعَ القَلْبُ إذْ طَــرَقَتْ
فَقُلْتُ رُدِّي فُؤَادَ الهَـائِمِ النَّهِمِ[١]

وروى محمد بن عَمْرو: «التَّيِمِ»[٢].

٩ ـ وَقُلْتُ حُلِّي أَسِيــراً فِي حِبَــالِكُمُ
أَوْثَقْتُمُــوهُ بِـلاَ تَبْــلٍ وَلاَ بِـدَمِ[٣]

١٠ ـ وَتِـلْكَ هَـيْــكَلَةٌ خَــوْدٌ مُــبَـتَّــلَةٌ
صَفْـرَاءُ رَعْبَلَةٌ فِي مَنْصِبٍ سَنِمِ[٤]

«سَنِمٌ»، مرتفع[٥]

١١ ـ عَــذْبٌ مُقَبَّلُهَـا خَــدْلٌ مُخَلْخَلُهَـا
كَالدِّعْصِ أَسْفَلُهَا مَخْصُورَةُ القَـدَمِ

١٢ ـ سُــودٌ ذَوَائِـبُهَـــا بِـيضٌ تَــرَائِبُـهَـــا
مَحْضٌ ضَرَائِبُهَا صِيغَتْ عَلَى الكَرَمِ

١٣ ـ شُنْبٌ مَشَـاغِرُهَـا يَرْضَى مُعَـاشِـرُهَـا
لَـذٌّ مَبَـاشِـرُهَـا تَشْفِي مِنَ السَّقَمِ

١٤ ـ عَبْــلٌ مُقَيَّــدُهَــا حَــالٍ مُقَلَّدُهَــا
بَضٌّ مُجَــرَّدُهَــا لَفَّــاءُ فِي عَمَـمِ

---

(١) في تعليقات البقية: «التَّهِم» و«التَّيِم»، عن محمد بن عمرو.
(٢) زيادة في الشرح المطبوع.
(٣) في المخطوطة: ضبطت «حُلِّي» هكذا «خُلِّي» وعليها «ما» أي «خَلِّي» «وحُلِّي».
(٤) «منصب»، ضبطت في البقية بفتح الصاد وكسرها.
(٥) «سنم»، زيادة في الشرح المطبوع.

١٥ ـ دُرْمٌ مَـرَافِقُهَـا سَهْـلٌ خَـلائِقُهَـا
يَـرْوَى مُعَـانِقُهـا مِنْ بَـارِدِ النَّسَمِ

١٦ ـ طَفْـلٌ أَنَـامِلُهَـا سَمْـحٌ شَمَـائِلُهَـا
ذُو العِلْمِ جَاهِلَها لَيْسَتْ مِنْ القَزَمِ

قال: كلُّ من كان عالماً بالنِّساءِ جاهلٌ بها. قال: بِهَا من الهَيْئَةِ ما يَجْهَلُها العالِمُ و «القَزَمُ»، واحدتها «قَزَمَةٌ»، وهي القصيرة، عن أبي عمرو.

١٧ ـ كَأَنَّ مُعْتَقَـةً فـي الـدَّنِّ مُـغْـلَقَـةً
صَهْبَـاءَ مِصْعَقَـةً مِنْ رَانِىءٍ رَذِمِ

«الرانىءُ»، الشديـد[1]. و «مِصْعَقَة»، يُصْعَقُ صـاحبُها إذا شَـرِبَها، ويروى: «مُصْعِقَةً». «رانَتْ به الخَمْرُ».

١٨ ـ شِيبَتْ بِمَوهَبَـةٍ مِنْ رَأْسِ مَـرْقَبَـةٍ
جَـرْدَاءَ مَهْيَبَـةٍ فِي حَـالِقٍ شَمَمِ

«مَوْهَبَةٌ»، غَدِيرٌ، وجمعه «مَواهِبُ».

١٩ ـ مِنْ رَأْسِ عَالِيَةٍ مِنْ صَوْبِ غَادِيَة
فِي إِثْـرِ سَارِيَـةٍ أَعْقَـابَ مُحْتَـدِمِ

يحتدِمُ السَّيْلُ كَمَا تَحتَدِم النارُ.

---

(١) كذا «رانيء» في البيت والشرح وفي البقية والنسخة المخطوطة والشرح المطبوع والتمام: ٢٢٣، هذا مع قوله «رانت به الخمر» قال ابن جنى هذا كان يوجب فيه عندي «رائن» كباع فهو بائع. وإنما رواه رانىء بالهمز، ولو كان قَلْبَه ـ (في التمام محرف قبله) لوجب فيه ران كشاكٍ من شائك ولاثٍ من لائث، والذي أراه فيه أنه فاعِلن من لفظ «اليَرَنَّاءَ» وهو الحِنَّاء فأراد هنا اللون وصبغه. . . ».

٢٠ ـ خَالَطَ طَعْمَ ثَنَـايَـاهَـا وَرِيـقَتَـهَـا
إذَا يَكُونُ تَوَالِي النَّجْمِ كَالنُّظُمِ[١]
٢١ ـ تِلْكَ الهَـوَى وَمُنَى نَفْسِي وَرَغْبَتُهَا
فَكَيْفَ أَهْوَى خَلِيلاً غَيْرَ ذِي قِيَمِ

يقال: «ما له قِيمَةٌ»، إذا لم يَدُم على شيء.

٢٢ ـ حَلَفْتُ بِـاللهِ وَالتَّـوْرَاةِ مُجْتَهِـداً
وَالنُّورِ وَالبَيْتِ وَالأَرْكَانِ وَالحَـرَمِ[٢]
٢٣ ـ وَرَبِّ رَكْبٍ عَلَى خُـوصٍ مُخَيَّسَةٍ
عُـوجٍ ضَـوَامِـرَ والإِنْجِيـلِ وَالقَلَمِ
٢٤ ـ وَالـطورِ وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى وَزَائِـرِهِ
هَلْ بَعْدَ ذَا لِذَوِي الأَيْمَانِ مِنْ قَسَمِ
٢٥ ـ لَقَدْ وَجَدْتُ بِلَيْلَى ضِعْفَ مَا وَجَدَتْ
شَمْطَاء تَثْكَلُ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ[٣]

* * *

ـ ١٦ ـ

وقال أبو صَخْرٍ أيضاً:

١ ـ مَـاذَا تُـرَجِّي بَعْـدَ آلِ مُـحَـرِّقٍ
عَفَـا مِنْهُمُ وَادِي رُهَاطَ إلَيَ رُحْبِ

---

(١) في المخطوطة: «خالط الطَّعْمَ».
(٢) «الحرم» ضبطت في البقية: بضم الحاء وفتحها، وفي المخطوطة بضمها فقط.
(٣) في تعليقات البقية: «فوق ما وجدت».

٢ ـ فَسُمْىً فَأَعْنَاءُ الـرَّجِيعِ بَسَـابِسٌ
إِلَى عُنُقِ المِضْيَاعِ مِنْ ذَلِكَ السَّهْبِ[١]

«الأعناء»، النواحي

٣ ـ سِوَى عَزْفِ سُمَّارٍ بِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ
كَعَزْفِ قُيُونِ الفَارِسِيِّ لَدَى الشَّرْبِ[٢]

٤ ـ جَلَوْا مِنْ تَهَامِي أَرْضِنَا وَتَبَدَّلُوا
بِمَكَّةَ بَابَ اليُونِ وَالرَّبْطَ بِالعَصْبِ

٥ ـ أُؤَمِّلُ جَهْلاً أَنْ تَرِيعَ النَّوَى بِهِمْ
وَهُنَّ بِهِمْ شُدَّفٌ صَوَادِرُ عَنْ شَغْبِ

«الأشدَفُ»، المائلُ من النَّشاط. و«شَغْبٌ»، بَلَدٌ.

٦ ـ أَشَاعَكُمُ الأَجْرُ المُضَاعَفُ وَالغِنَى
وَصَاحَبَكُمْ رَبُّ السَّمواتِ مِنْ رَكْبِ

٧ ـ فَلِلَّهِ قَوْمِي كُلَّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ
أَلَمَّتْ بِتَيْهُورٍ مَنَاكِبُهُ صَعْبِ

«تَيْهورٌ»، كَتيبة، شَبَّهها بالجَبَلِ.

٨ ـ وَللهِ هُمْ يَوْماً إِذَ مَا تَزَيَّنُوا
لِكَسْبِ النَّدَى أَوَ لِلْمُوَاصِلَةِ الجُدْبِ

«المُواصِلَة الجُدْبُ» يعني السنينَ تُواصِل بالجَدْبِ[٣].

---

(١) في المخطوطة: «عُنُق المضياعُ»، وهو سهوٌ.
(٢) في تعليقات البقية: «لدى الشُّرْبِ».
(٣) «المواصلة الجدب» زيادة في الشرح المطبوع.

٩ - بَهَالِيلُ بَسَّامُونَ بُلْجٌ لَدَى القِرَى
مَلَاوِيثُ حَلَّالُونَ بِالأَفْيَحِ الرَّحْبِ

١٠ - فَإِلَّا تُقَلِّدْنِي المَنِيَّةُ حَبْلَهَا
نَزُرْهُمْ عَجَالَى بِالجِنَابِيَّةِ الصُّهْبِ

«الجِنَابِيَّة»، ضِخامُ الإبل[1].

* * *

- ١٧ -

وقال أبو صَخْرٍ أيضاً:

١ - لِمَنِ الدِّيَارُ تَلُوحُ كَالوَشْمِ
بِالجَابَتَيْنِ فَرَوْضَةِ الحَزْمِ[2]

٢ - فَبَرَمْلَتَيْ قَرْدَى فَذِي عُشَرٍ
فَالبِيضِ فَالبَرَدَانِ فَالرَّقْمِ

٣ - وَبِضَارِجٍ طَلَلٌ أَجَدَّ لَنَا
شَوْقاً إِلَيَّ فَيْحَانَ فَالنَّظْمِ

٤ - وَلَهَا بِذِي نَبْوَانَ مَنْزِلَةٌ
قَفْرٌ سِوَى الأَرْوَاحِ والرِّهْمِ[3]

---

(١) «الجنابية» زيادة في الشرح المطبوع.

(٢) في المخطوطة: «بالجابتين»، وهو تصحيف.

(٣) الرِّهم» هكذا ضبطها في البقية والنسخة المخطوطة. ورأى بارث أن صحتها «الرِّهْم» مسكنه من «الرِّهَم» جمع «رِهْمَة» وهي المطر الضعيف الدائم الصغيرُ القطْرِ.

٥ - فَبِــرَامَــةَ العُـلْيَـا غَـشِيـتَ لَـهَــا
رَسْمــاً سَقَــاكَ الغَيْـثُ مِنْ رَسْـمِ

٦ - بَكَــرَتْ عَـلَيْــكَ لَـهَــا مُـبَــشِّــرَةٌ
رَيَّــا تُــخَـضِّــرُ بَــالِــيَ الـهِــدْمِ

«مُبَشِّرة» رِيحٌ. و«الهِدْمُ»، الخَلَقُ. يقول: يُخَضِّرُ بها البالي.

٧ - طِــفْــلٌ يَـمَــانِـيَــةٌ لَــهَــا رَهَــجٌ
تَــمْــرِي قَــوَادِمَ دُلَّــحٍ دُهْــمِ

٨ - يَــتْــلُونَ مُــرْتَــجِــزاً لَــهُ نَــحَــمٌ
جَــوْنــاً تَحَيَّــرَ بَــرْقُــهُ يَسْمِــي[1]

«يَسْمِي»، يَمْطُر[2].

٩ - يَــزْهَى الـرَّبَــابَ إذَا يَجِيشُ كَمَــا
يَـزْهَى القِــلَاصَ تَغَــذُّمُ القَرْمِ[3]

«يُزْهَى» يَسْتَخِفُّ، يَطْرُد الرَّبابَ من السحاب. و«تَغَذُّمـه»، إبْعَادُهُ وطَرْدُهُ[4]. و«تَغَذُّمُه»، أيضاً عَضُّهُ، «غَذَمه» عَضّهُ.

(١) في المخطوطة «له نَجمٌ». ولم ترد «نجم» والمعنى مع «نَحَم» وهو صوت.
(٢) «يسمى» زيادة في الشرح المطبوع.
(٣) في تعليقات البقية: «يَزْهَى الرِّبَابَ»، وصححها ولها وزن كالمثبت عن النسخة المخطوطة، وفي المخطوطة على صاد «القلاص» ضمة على رأسها فتحة، متلاصقتان. وفي تعليقات البقية: «تَعَذُّم».
(٤) في المخطوطة: «إبعاده» هذا وفي الشرح المطبوع «تعذمه إبعاده وطرده، وتعذمه أيضاً عضه عذمه عضه» كلها بالعين المهملة وانظر اللسان (غذم) و(عذم) فهما يشتركان في معنى.

١٠ ـ يَـدَعُ الأَفَـاعِـي وَدْقُـهُ قِـطَعـاً
صَـرْعَـى وَيُنْـزِلُ آمِـنَ الـعُـصْـمِ
١١ ـ وَيَـتُـلُّ بِـالـعُـمْـرِيِّ رَيِّـقُـهُ
تَـلَّ الـفَنِيقِ الـشَّـوْلَ إذْ يَحْـمِي

«يَتُلُّ» يَصْرَع. و«العُمرِيُّ» و«العُبْرِيُّ» واحدٌ، وهو كِبارُ الشَّجَرِ، ما نَبَت على الأنهارِ والعُيونِ.

١٢ ـ سَقْيـاً لِمَـا هَيَّجْتِ لِـي حَـزَنـاً
فَـاضَتْ لَـهُ العَيْنَـانِ بِـالسَّجْـمِ
١٣ ـ وَلَـوَ أنَّ مَـا حُـمِّلْتُ حُـمِّـلَهُ
شَعَفَـاتُ رَضْـوَى أَوْ ذُرَى بُـرْمِ

«شَعَفَةُ الجَبَلِ»، أعلاه، «شَعَفَةُ الرأس»، أعلاه. «بُرْمٌ»، جَبَلٌ.

١٤ ـ لَكَـلَلْنَ حَـتَّـى يَـخْـتَـشِـعْـنَ لَـهُ
وَالـخَلْقُ مِـنْ عُـرْبٍ وَمِنْ عُـجْمِ
١٥ ـ وَالجِنُّ لَمْ تَنْهَضْ بِمَـا حَـمَّلْتِـنِي
أَبَـداً وَلَا المِصْبَـابُ فِي الشَّـرْمِ

ويروى: «بما حَمَّلْتِني * والناغضاتُ السُّفْنُ في الشَّرْمِ». و«الشَّرْمِ» من البحر مكانٌ لا يُدْرك غَوْرُه، «و» هو أغمرُ مكانٍ في البحرِ، وجمعه، «شُرُومٌ» «و» المِصْبَابُ، السَّفينة.

١٦ ـ وَيُـقِـرُّ عَـيْـنـي وَهْـيَ نَـازِحَـةٌ
مَـا لَا يُـقِـرُّ بِعَيْنِ ذي الـحِلْمِ

١٧ ـ أَنَ أَرَى الَّذِي قَدَ أَظُنُّ أَنْ سَتَرَى
وَضَحَ النَّهَارِ وعَالِيَ النَّجْمِ
١٨ ـ قَدْ كَانَ صُرْمٌ فِي المَمَاتِ لَنَا
فَعَجِلْتِ قَبْلَ المَوْتِ بِالصُّرْمِ
١٩ ـ أَطْلَالُ نُعْمٍ إذْ كَلِفْتُ بِهَا
يَا دِينَ هَذَا القَلبِ مِنْ نُعْمِ[1]

«دِينٌ»، عادَةٌ.

٢٠ ـ إذْ تَسْتَبِي قَلْبِي بِذِي عُذَرٍ
ضَافٍ يَمُجُّ المِسْكَ كَالكَرْمِ
٢١ ـ وَمُطَوَّسٍ سَهْلٍ مَدَامِعُهُ
لَا شَاحِبٍ عَارٍ وَلَا جَهْمِ

«مُطَوَّس»، حَسَنٌ، يعني الوَجْه.

٢٢ ـ وَمُفَلَّجٍ حُمٍّ مَشَاغِرُهُ
مِثْلِ الأَقَاحِي وَافِرِ الظَّلْمِ

«الظَّلْم»، رِقّة الأسنانِ، تَراه من رِقّته كأنه مُظْلِمٌ.

٢٣ ـ وَلَوَ أَنَّنِي أُسْقَى عَلَى سَقَمِي
بِلَمَى عَوَارِضِهَا شَفَى سُقْمِي
٢٤ ـ وَلَلَيْلَةٌ مِنْهَا تَفِينُ لَنَا
فِي غَيْرِ مَا رَفَثٍ وَلَا إثْمِ[2]

---

(١) في البقية: «أَطْلَالَ»، بالنصب، وفي تعليقاتهما: «أطلال» بالرفع.
(٢) في تعليقات البقية: «في غير ما رَقَبٍ»، وانظر الشرح «لا رقب».

«تَفِين«، تَجيء، «فَانَ يَفِينُ». «رَفَثٌ»، فُحْشٌ. ويروى: «في غَيْرِ لا رَقَبٍ»، أي راقِبٍ يَرْقُبه، عن ابن بُكَيْرٍ.

٢٥ ـ أَهْوَى إلَى نَفْسِي وَلَوْ بَخِلَتْ
مِمَّا مَلَكْتُ وَمِنْ بَنِي سَهْمِ

٢٦ ـ وَالخُلْدُ يَجْمَعُ ذَاكُمُ أَبَداً
مَعَهُ قَرَارُ الخَفْضِ وَالطُّعْمِ

٢٧ ـ وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِنَبْلِ مُقْتَدِرٍ
يَسِطُ الفُؤَادَ بِهَا وَلَا يُدْمِي

٢٨ ـ يَرْمِي فَلَا تُشْوِيكَ رَمْيَتُهُ
فَلَوَ أَنَّنِي أَرْمِي كَمَا يَرْمِي

٢٩ ـ وَلَوَ أنَّ قَلْبِي إذْ عَزَمْتُ لَهُ
صُرْمِي وَهَجْرِي كَانَ ذَا عَزْمِ

٣٠ ـ أَوْ كَانَ لِي غُنْماً تَذَكُّرُكُمْ
أَمْسَيْتُ قَدْ أَثْرَيْتُ مِنْ غُنْمِ

٣١ ـ بِيَدِ الَّذِي شَعَفَ الفُؤادَ بِكُمْ
فَرَجُ الَّذِي أَلْقَى مِنَ الهَمِّ

٣٢ ـ كَرْبٌ مِنَ أجْلِكِ لَيْسَ يَفْرُجُهُ
إلَّا مَلِيكُ النَّاسِ ذُو الحُكْمِ

٣٣ ـ مَا فِي الحَيَاةِ إذَا تَلِفْتِ لَنَا
خَيْرٌ وَلَا لِلْعَيْشِ مِنْ طَعْمِ

٣٤ ـ وَلَـمَّـا بَقِيتِ لَيَبْقَيَـنَّ جَـوًى
بَيْنَ الجَـوَانِـحِ مُضْـرِعٌ جِسْمِـي

«مُضرِع» مُضْعِفٌ، و «قدْ أضرعه»، إذا أضعَفَه[1].

٣٥ ـ فَـاسْتَيْقِنِي أَنْ قَـدْ كَلِفْتُ بِكُمْ
ثُمَّ افْعَلِي مَـا شِئْتِ عَـنْ عِلْمِ[2]

* * *

ـ ١٨ ـ

وقال أبو صَخْرٍ أيضاً:

١ ـ إِذَا نُفِسَ المَنْفُوسُ مِنْ آلِ خَـالِـدٍ
بَـدَا كَـرَمٌ لِلنَّـاظِرِيـنَ مُـبِيـنُ

٢ ـ تَبَيَّنُ سِيمَـا سَـرْوِهِ قَبْـلَ سَبْعَـةٍ
تَـمَـامـاً وَوَجْـهٌ وَاضِـحٌ وَجَبِينُ

٣ ـ يَسُـودُونَ مُرْداً قَبْـلَ وَصْـلِ لِحَـاهُمُ
وَشَيْخُهُمُ طَـاحِي القِبَـابِ ثَخِينُ[3]

* * *

ـ ١٩ ـ

وقال أيضاً لسعيد بن عبد الملك بن مروان، وهو سَعِيدُ الخَيْر:

---

(١) «وقد أضرعه...»، زيادة من المخطوطة.

(٢) في هامش المخطوطة رواية أخرى: و«عِلْمِي».

(٣) في هامش المخطوطة تفسير «ثخين»: «جيد الرأي». هـذا والذي ورد: «رجـل ثخين»، حليم رزين ثقيل.

١ ـ سَعِيــدَ الـخَيْــرِ إنَّــا قَــدْ ضَـمِنَّــا
لَــهُ نُـصْحــاً وَوُدّاً لَـنْ يَبِيــدَا[١]

٢ ـ أَصَــابَ أَبُــو سَعِيــدٍ حِـينَ سَـمَّى
سَـعِيــداً حِـينَ سَـمَّــاهُ سَـعِيــدا

٣ ـ فَـمَــا طَلَعَـتْ كَـوَاكِبُــهُ بِـنَـحْسٍ
وَلـكِـنْ كُـلُّهَــا كَــانَـتْ سُــعُــودَا

٤ ـ فَـلَمَّــا قَــارَبَ العِـشْــرِيـنَ قَــادُوا
إلَـيْــهِ الأَمْــرَ مَيْـمُــونــاً رَشِيــدَاً

* * *

هذَا آخِرُ شِعْرِ أبي صَخْرٍ ، في رِوَايَةِ أَبِي عَمْرٍ

* * *

ـ ٢٠ ـ

وقال أبو صخر، في رواية أبي عبدالله:

١ ـ أَزَالَ العِـلاَجِيُّ ابْنُ يَحْيَى بْنُ رَاشِدٍ
فَجَرَّحَنِي إذْ لَمْ يَكُنْ بِيَ ذَا عِلْمِ[٢]

كأنه أراد: أزال الحُكْمَ، نسبه إلى بني «عِلاجٍ»، من ثَقِيفٍ.

٢ ـ وَلَـوْ تَمَّ فِي الأَعْيَـاصِ بَيْتُــكَ كُلُّهُ
عَدَلْتَ ابْنَ يَحْيَى فِي القَضَاءِ وفِي الحُكْمِ

(١) «سعيد» ضبطت في البقية بالضم والفتح.
(٢) هكذا ضبطت « بن راشد» في المخطوطة ولم تضبط في البقية.

٣ ـ أَوِ البِيضِ مِنْ آلِ المُغِيرَةِ لَمْ تَجُزْ
عَلَيْنَا صريحاً مِنْ فَصِيحٍ وَلَا عُجْمِ[١]

«تَجُزْ» و«تجِزْ» أي لم تُجِزْ شَهادَتَهُ.

٤ ـ أَفِي حُكْمِكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا مِنْ مُغَلِّسٍ
وَلَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي وَلَا مِنْ أَبِي سَهْم

* * *

هَذا آخِرُ شِعْرِ أَبِي صَخْرٍ، فِي جَمِيعِ الرِّواياتِ.

---

(١) «تَجُزْ»، كتبت بالتاء وتحتها نقطتان «يَجُزْ»، وفي تعليقات البقية: «لم يُجِزْ».

تخريج شعره

أبو صخر

- ١ -

التمام ١٧١ - ١٨١ (١. صدره ٥٠، ٣، ٤، ٦، ٧، ٢٦، ٤٣ - ٤٥، ٤٩. ٦٣، ٥٦، ٥٧، ٦١) معجم ما استعجم (قوس) (٤٣، ٤٧) و(عير) (٤٥، ٤٣) الأغاني ٢٣ : ٢٧٤ - ٢٧٥ (٢٧، ٢٩ - ٣٥، ٥٩، ٦٠، ٦٢ - ٦٤) معجم البلدان (العراق) (٤٢ - ٤٥، ٤٧، ٥٦) و(قوس) (٣٦، ٣٧) و(نقرى) (٥١، ٥٤).

٦ - التاج واللسان (شمس).

٧ - اللسان (طلل).

٩ - التاج واللسان (هضب).

١٢ - التاج واللسان (عزم) المحكم ١ : ٣٣٣.

١٣ - التاج واللسان (خلب).

٣١ - اللسان (هيم).

٤٠ - معجم ما استعجم ومعجم البلدان (عروان).

٤٣ - المرصع ١٨٥. التاج (قوس).

٤٥ - المرصع ١٦٢، التاج (حمص).

٤٦ - معجم البلدان (شعران).

٤٧ - معجم البلدان (المراكب).

٤٨ ـ معجم ما استعجم (عيس).
٤٩ ـ المخصص ١٠: ٩٢.
٥١ ـ معجم ما استعجم (نقرى).
٥٧ ـ اللسان (دعب) أساس البلاغة ١ : ٢٧١.
٦١ ـ اللسان والتاج (شهب) اللسان والتاج (زمم) عجزه «شاصب».

ـ ٢ ـ

المقاصد النحوية بهامش الخزانة ١: ١٦٢ ـ ١٦٣ (١ ـ ٨).
١ ـ التاج واللسانِ (تود) و (رخد).
٨ ـ اللسان والتاج (جود) صخر الغي.

ـ ٣ ـ

التمام ١٨١ ـ ١٨٥ (١، صدره، ٥، ٨، ١٠، ١٥، ١٦، ٢١، ٢٤)، حماسة البحتري الباب ١١٦: ٣٠٦ (١ ـ ٣، ٥ ـ ٨، ١٢، ١٣) الأغاني ٢٣: ٢٧٦ (١٧، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣).

١٠ ـ المحكم ٣: ١٥٤.
١٧ ـ التاج واللسان والتكملة (زغر) معجم البلدان (زغر).
١٨ ـ التاج واللسان (عصل) المحكم ١ : ٢٧٢.
٣٤ ـ التاج واللسان والتكملة (دغل).

ـ ٤ ـ

التمام ١٨٧ ـ ١٨٩ (١، ٣، ٧، ٨، ١٠).
٤ ـ التاج واللسان (شهر).
٩ ـ اللسان (برد).
١٤ ـ اللسان (حقد)، المحكم ٢ : ٣٩٥.

ـ ٥ ـ

التمام ١٩٠ (١، صدره، ٤، ٧، ٨).

٤ ـ المحكم ٣: ١٦٨.
١٨ ـ تفسير البحر المحيط ٢: ٤٢٩.

ـ ٦ ـ

التمام ١٩٢ ـ ١٩٤ (١، صدره، ٤، ٧، ١٠، ١٢، ١٤) شرح شواهد المغني ٢٢٠.

(١، ١٥، ١٦). الأغاني ٢٣: ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ (١، ٣، ٥، ٧، ١٠، ١٦)، وانظر ديوان مجنون ليلى ٤٦ وتزيين الأسواق ٦٦ والعيني ٤: ٤٧٠ وشرح نهج البلاغة ٤: ٤٣٨ وعيون الأخبار ٣: ٣١ وسرح العيون ٢: ١٢١ والزهرة ١٣٧، ٣٣٣، والأغاني ٢: ٢٠ دار الكتب، والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ١١٠، معجم البلدان (عنبب) و(نقيع) (٧، ٨).

٦ ـ التاج واللسان (ورغم).
٧ ـ معجم البلدان (قناة).
٨ ـ معجم ما استعجم (الخبيت).
٩ ـ التاج واللسان (غسق).
١٠ ـ التاج واللسان (غلل).

ـ ٧ ـ

التمام ١٩٤ ـ ٢٠٢ (١، ٤، ٦، ٩، ١٠، ١٣ «حساد»، ١٤، ٢٦، ٢٩، ٥٢) نسب قريش ٢٩١ (٢٠، ٢١، ٢٩، ٣٠، ٥١) التكملة واللسان والتاج (زغد) (٤٩، ٥٠).

١ ـ التاج واللسان (ثنى).
٢٥ ـ معجم ما استعجم (أجياد) عجزه، معجم البلدان (مبعوق).
٢٦ ـ التاج واللسان (طلى) المخصص ١٥: ١٢٧.
٢٨ ـ اللسان والتاج (ريد) معجم البلدان (فرد).
٢٩ ـ واللسان (رسم).

التمام ٢٠٢ ـ ٢٠٥ (١٤، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٣١، ٣٦) حماسة ابن الشجري ١٠٧ (٢٩، ٣٠، ١٧).

٢ ـ التاج (فيض) معجم البلدان (الفيض).

٣ ـ معجم ما استعجم ومعجم البلدان (لفت).

١٢ ـ التاج واللسان (خطط).

١٤ ـ اللسان (طلل).

٢٣ ـ التاج (سمر) أبـو ذؤيب، اللسان (سمر).

٢٤ ـ أساس البلاغة ٢ : ٤٣ «نسبه للسهمي».

٢٧ ـ الموازنة ٢٨٦.

٣٦ ـ معجم ما استعجم (حضرموت).

ـ ٩ ـ

التمام ٢٠٦ ـ ٢١١ (١، ٣، ٩، ١١، ١٥، ٢١) نسب قريش ١٩١ (٢٧، ٢٨) الأغـاني ٢٣ : ٢٧٣ (١٩، ٢٥، ٢٧ ـ ٢٩) معجم البلدان (المرتمى) (١ ـ ٣) و (قراس) (٨، ١٠).

٩ ـ المخصص ٣ : ١٠٢ اللسان (هدر) عجزه.

٢٢ ـ التاج واللسان التكملة (رهف).

ـ ١٠ ـ

التمام ٢١٢، ٢١٤ (١، صدره، ١١، ١٢، ١٤، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٨) الأغاني ٣٣: ٢٧٠ ـ ٢٧٢ (١، ٣، ٥، ٦، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٢ باختلاف وزيادة بيت الهامش الأول، ٢٣، ٢٠ وزيادة بيت الهامش الثاني، ٣٠، ٢٩، ٢٧).

١ ـ التاج واللسان (عصل) و (ضحو)، المحكم ١ : ٢٧٢.

٥ ـ التاج واللسان والتكملة (بند).
٧ ـ اللسان والتاج (ردع) صخر، المحكم ٢ : ٩.
١١ ـ المخصص ١٦ : ٤٧.
٢٢ ـ المخصص ١٠ : ٧١ اللسان (علم).
٢٣ ـ التاج واللسان (طحو) صدره «طاحى الضفاف».

ـ ١١ ـ

هذه قصيدة فيها زيادات واختلاف في الرواية في مراجعها

مسالك الأبصار ٩ : ١٦١ (٨، ١٤، ٩، ١٠ «الذعر»، ٢٣، ٢٦، ١٥ ـ ١٧) شرح المرزوقي ١٢٣١ (٩، ١٠، ٢٣، ٢٦) نقد الشعر ٤٤ (٩، ١٥ ـ ١٧ مع ثلاثة أبيات، الأمالي ١ : ١١٨ ـ ١٢٠ قصيدة بزيادات واختلاف، الخزانة ١ : ٥٥٣ ـ ٥٥٤ عن الأمالي. ديوان مجنون ليلى ١٣٠ ومراجعه، الحماسة البصرية ١٥١ (٩ ـ ١١) وقبلهما بيتان و ٨ وصدره «وإني لتعروني لذكراك هزة»، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ١٥ ـ ١٧، ١٤) زهر الآداب ٣٥٢ (٢٩ ـ ٣١) وفي ص ٧٤٣ (١، ٢) وفي ٩٨٣ (٢٣) وقبله ثلاثة أبيات ليست في القصيدة، شرح شواهد المغني ٦٢ (١، ٢، ٧، ١٤، ٢٢ ـ ٢٦) الخزانة ٢ : ١٧٠ (٢٢، ٢٣)، المقاصد النحوية بهامش الخزانة ٣ : ٦٧ ـ ٦٨ (٢٦، ٢٣، ٢٢، ١١، ٨ مع اختلاف الصدر، ٩، ١٠) الخزانة ٣ : ٦١٧ (١٥ ـ ١٧) اللسان (رمث) (٩، ١٠، ٨، ١٤، ١١، ٢٣، ٢٦، ٢٩) عيون الأخبار ٤ : ١٣٨ ـ ١٣٩ (٩، ١٠، ٢٢، ٢٣ مع بيت، ٢٦، ٨ مع بيت الأغاني، ٢٣ : ٢٢٦ ـ ٦٧ (٢٦، ٢٢، ٢٣، ٩، ١٠) وفي صفحة ٢٧٨ ـ ٢٨٠ (١، ٣ ـ ٨، ١١. ١٢، ٩، ١٠، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٤، ١٧، ١٦، ١٤) وفي صفحة ٢٨١ (٨ ـ ١٠، ٢٣، ٢٦) معجم البلدان (رمان) ثلاثة أبيات هي في الأمالي وليست هنا وفي (البين) (١، ٢) وانظر ثمار القلوب ٤٧٦ اليتيمة ٤ : ٢٢٠ محيي الدين، ٢٠٦ مساوىء، وليس لها معزو، الكشاف، ١ : ١٣٨ (٩ صدره وبهامشه ٩، ١٠)

١ ـ التمام ٢١٤، الناج واللسان (سفر)، (جوش).
٢ ـ المنصف ٢ : ٢٢٩.
٣ ـ الخصائص ١ : ٣١٠، صدره.
٦ ـ الأغاني ١ : ٣١٩ بالطبعة الثانية الثقافة، التاج واللسان (ردد)
٧ ـ التاج والتكملة (طلع).

٨ ـ البحر المحيط ١ : ٤٨٣، الإنصاف ١١٤ وفي ١١٦ عجزه، الجرجاوي (ابن عقيل ١٢٩ قصة (ابن عقيل) ١٣٢ اليتيمة ٤ : ٢٨٥ (محيي الدين) ٢٦٨ (صاوي).

٩ ـ شرح المرزوقي للحماسة ٧٣٠، شرح المفصل ٨ : ١١٤ تبريزي حماسة ٢ : ١٢٦ جواهر الأدب للأربلي ١٦٧.

١٠ ـ الموازنة ٣٦٩ «لا يروعهما النفر» الأضداد لابن الأنباري ١٩٧ محاضرات الراغب ٢ : ٣١ «لا يروعهما الدهر».

١٤ ـ شروح سقط الزند ٢٢٦ ثمار القلوب ٤٧٦ العمدة ٢ : ٥٢.
١٩ ـ المحكم ٣ : ١٤٦.
٢١ ـ اللسان (ولى).
٢٣ ـ العمدة ٢ : ٩٧.

٢٦ ـ إنجاز القرآن ١٤١، رسالة العمران ٣٦١ المثل السائر ٢٥ «أبو كبير»، شرح العكبري ١ : ٥٨ شرح الواحدي ٤٧٣.

٢٩ ـ جمهرة ابن دريد ٢ : ٤١. المقاييس ٢ : ٤٣٧ / ٣: ٢٥٦ / ٦: ١٣٠. الصحاح والتاج (رمث) شرح العكبري ٢ : ١٦٩.

ـ ١٢ ـ

التمام ٢١٥ ـ ٢١٧ (١، ٢، ٣، ٩، ١٠، ١٨).

ـ ١٣ ـ

التمام: ٢١٨ ـ ٢٢٠ (٦، ٢٧، ١٧) نقد الشعر (٢، ٥)، معجم البلدان (طلال) (١٨، ١٩).

١٣ ـ أساس البلاغة ١ : ١٣٣.
١٨ ـ التاج (طلل).
٢٧ ـ التاج واللسان (رجز) أساس البلاغة ١ : ٣٢٤.
٢٣ ـ التاج واللسان (زهر).
٣٨ ـ التاج واللسان (فيض).

ـ ١٤ ـ

١٢ ـ اللسان (ربع) عجزه، منسوب لصخر، التكملة (ربع).
٢١ ـ التمام ٢٢٠.
٢٧ ـ معجم البلدان (حامد).

ـ ١٥ ـ

التمام ٢٢١ ـ ٢٢٣ (٦، ١٨، ١٧) نقد الشعر ١٣ (١٠ ـ ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ٢٠)، اللسان (بوب) (١١، ١٢، ١٤، ١٥).

٦ ـ التاج (شكم) و(ربل) اللسان (شكم).
١٠ ـ الصناعتين ٣٧٨.
١٤ ـ الملمع ٢١ ـ م.
١٨ ـ أساس البلاغة ٢ : ٥٣٠.

ـ ١٦ ـ

معجم ما استعجم (رهاط) (١، ٢) التمام ٢٢٣ ـ ٢٢٤ (٢، ٤) التاج (بيل) (١، ٢)، معجم البلدان (بابليون) (١، ٤) و(الضياع) (١، ٢).

١ ـ معجم البلدان (رحب).

٤ ـ معجم ما استعجم (أليون) «باب أليون» التاج (يون).

ـ ١٧ ـ

الأغاني ٢٣ : ٢٨٢ (٣١، ٣٢، ٣٥، ١٨) وفي ٢٨٣ (٣٥) وفي ٢٨٤ (٣٤، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٣، ٢٧ ـ ٣٠) وفي ٢٨٦ (٢١)، التمام ٢٢٤ ـ ٢٢٥ (١٥، ١٧، ٢١) مسالك الأبصار ٩: ١٦١ (١٦، ١٧، ٢٤، ٢٥، ١٨، ٣٤، ٣٥، ٣١). الحماسة البصرية ١٥٠ (٣١، ٣٢، ١٧، ٢٤، ٢٥، ١٨، ٣٤، ٣٥) شرح المرزوقي ١٢٣٢ (٣١، ١٦. ١٧. ٢٤، ٢٥، ١٨، ٣٤، ٣٥) معجم ما استعجم (جابة) (١ ـ ٤) التكملة واللسان والتاج (طوس) (٢٠، ٢١) اللسان والصحاح والتاج (هوى) (٢٤، ٢٥) معجم البلدان (فردى) (روضة الحزم) (١، ٢) وفي (نبوان) (١، ٤) وفي (برم) (١٣، ١٤).

١ ـ التاج واللسان (جوب).
٢ ـ معجم البلدان (بيغن) معجم (الجابتان).
٤ ـ الخزانة ١ : ١٨، التاج (نبو).
٨ ـ اللسان (وسم).
١٣ ـ التاج واللسان (برم).
١٨ ـ المثل السائر ١٠٧.
٣١ ـ أساس البلاغة ٢ : ٨٣.
٣٤ ـ اللسان والتاج (ضرع) صخر، المحكم ١: ٢٤٩.
٣٥ ـ الإنصاف ٩٠.

ـ ١٩ ـ

٣ ـ التمام ٢٢٥.

* * *

مليح بن الحكيم ٦٢

ـ ١ ـ

التمام ٢٢٧ ـ ٢٣٣ (١ صدره، ٤، ١١، ١٥، ٢٣، ٢٩، ٣٠، ٣٩، ٤٩، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٧٠).

٨ ـ اللسان والتاج (درج).

١٠ ـ اللسان والتاج (حطط) أساس البلاغة ١ : ١٨٢.

١٤ ـ المحكم ١ : ١٢٩.

١٧ ـ اللسان والتاج (بطن)، (نوى).

٢٣ ـ محاضرات الراغب ٢ : ٣٥ بتحريف وتغيير.

٢٧ ـ اللسان والتاج (رمى).

٣٢ ـ اللسان (حدق).

٣٩ ـ اللسان والتاج (أبط) «ترهق. ترهق».

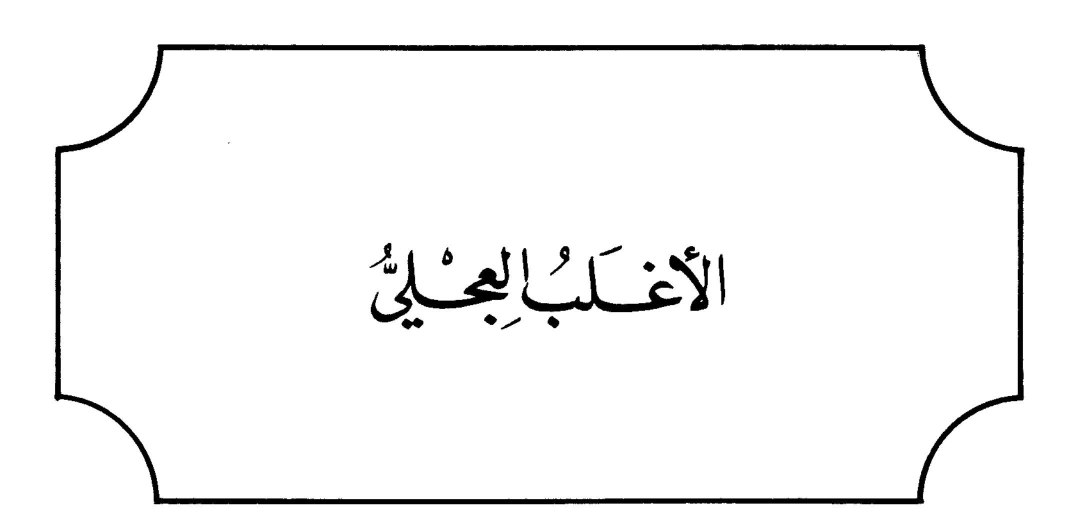
٥٨ ـ شروح سقط الزند ٢٠٠٣ عجزه.

٦٤ ـ اللسان والتاج والتكملة (غفق) «السليم المغفق».

ـ ٢ ـ

التمام ٢٣٣ ـ ٢٣٤ (١١، ٢٢، ٢٣) معجم البلدان (روضة عمق) (١، ٢، ٣) و(العراق) (٣، ٤) و(حومي) (٩، ١٠).





الأغلب العجليّ



حياته وشعره

لم تكن دعوة التحرير التي قادتها جيوش الدعوة الإسلامية دعـوة محدودة في إطار الجزيرة العربية، ولم يكن إيمان المحررين الذين حملوا مشاعل النور، وقدَّموا نفوسهم رخيصة في سبيل الله، إيماناً مجرداً، وإنما كانوا يحملون العقيدة التي تتهاوى أمامها كل الادعاءات، وينشرون الفكر الذي لا تنتهي عند حدوده أبعاد، ولا تقف في رحاب مسيرته حوائل، وقد مهَّدت لهذه الدعوة ممـارسة أصيلة، وأسلوب تـنـظيمي متَّقن، واستعداد للتضحية مُهيّأ، وإيثار فريد، وإيمان مطلق بقيادة الرسول الكريم الذي خلق في نفوس أصحابه من حب البذل وقدرة المجابهة وتحمل المسؤولية ما جعلهم قـادة الأجيال وروّاد الفكـر، وبناة الـدولة، وبقيت هـذه الأفكار السمحة، والعقيدة المخلصة تتوقَّد في نفوس المحررين الذين خرجوا من الجزيرة ليعيدوا للإنسان كرامته، ويحققوا للجموع البشرية مجالها الرحب في الحياة، وصورتها المشرقة في العمل، ودورها الحضاري في البنـاء الثقافي. وقد سجل أولئك الأبطال في أسفار التاريخ من خوالد الأعمال ما حفلت به الأخبار وتناقلته الأحداث حتى أصبح سيرة تقتدى ومنهجاً يُتّبَع، وصوتاً يُستجاب له. وقد سجل الشعراء الذين رافقوا تلك السرايا مواقف بطولية نادرة، وهم يدافعون عن الأرض، ويسجلون وقائع الأحداث، ويبثون في نفوس المقاتلين روح العـزيمة ويؤكـدون فيها قـدرة الثبات ونـوازع الانتصار ويتركون في نفوس أهالي الأرض المحرَّرة أطيب الأثر. فكان أبو محجن الثقفي والأغلب العجلي ومـالك بـن الـريب والمغيرة بن حبنـاء

والصمة القشيري وعشرات الشعراء الذين ماتوا في مواقع الفتح واستشهدوا في ديار الغربة وكتب عليهم الموت وهم يصارعون قوى البغي، ويدافعون عن كرامة الأمّة، ويرسمون لمستقبلها المشرق صورة الإنسان الجديد.

والأغلب العجلي يمثل هذه الصورة الجديدة التي حملت عطاء جيلين، وكشفت عن طبيعة التوجه الذي ترسّخت أصوله في نفوس المؤمنين، طبعهم الإسلام بقيمه السمحة، وأكّد في نفوسهم الأعراف العربية التي عاشت في حياتهم لوناً مميزاً ووجهاً مشرقاً وصورة فريدة.. والأغلب العجلي من الشعراء المغمورين الذين طمست معالم حياتهم، وضاعت أصول شعرهم، وتبدّدت فرائد أعمالهم التي قدموها عبر مسيرتهم الطويلة وهم يعاصرون أكبر دعوة في التاريخ، ويشهدون أروع تغيير اجتماعي استهدفت مبادئه أصول المجتمع وتحويل علاقاته الاجتماعية وبنائه السلوكي، إلى بناء يتّفق مع مبادىء الدعوة ويحقق في ظلّها دوره التاريخي، ويقدم من خلالها ريادته ورسالته وتجمع المصادر التي وقفت عند ترجمته على أنه ينتسب إلى عجل بن لجيم وهو بالتالي من وائل الذين امتدّت بهم رقعة السكن من اليمامة إلى البصرة[1] وهو الذراع الشرقي لجزيرة العرب التي كانت تتحرك فوقها مجموعة من القبائل وتتناثر فوق ساحلها جحافل البطون العربية وهي تزرع الأرض وفاءً، وتتعامل معها تعامل الأبناء البَررة الذين ظلوا أمناء عليها، مؤمنين بقدرتها الكريمة، ومباركين لها كل عطاء إنساني خيِّر. وقد بقي صوته القومي يجسد انتماءَه الذي يعدّه مفخرة، ويحقق شخصيته التي لا تجد لنفسها وجوداً إلا في حالة الانشداد إلى القوم، ولا ترى لوجودها ظلاً إذا لم يكن على صلة بكل الناس الذين يشاركونه وحدة المصير، ويؤمنون معه بالمهمة الجديدة التي بدأوا يضطلعون بها لحماية الذمام والدفاع عن الحمى والخوض في أتون المعركة الحاسمة. ولعلّ بدايته بالضمير نحن، وأسلوب مخاطبته بضمير

(١) البغدادي. الخزانة ١/٣٣٣ - ٣٣٤.

الجماعة والتزامه بهذا الإحساس المتميِّز يؤكد حقيقة المشاعر الجماعية التي كانت تتعالى في نفوس هؤلاء الشعراء وهم يتحدَّثون عن الحرب، والحرب لا يدخلها الإنسان أعزل، والحرب لا يقاومها الرجل الفرد، وإنما هي معركة فاصلة لا بدَّ أن تتجمع فيها القوى، ويتكاثر الأصحاب والأخوان، وتتحد الكلمة لتصبح قوية، ويتَّفق الجهد ليكون منتجاً، ويتلاحم الشعور لينطلق قدرة مؤثرة.

نحن بنو عجل إذا احمَرَّ الحَدَقْ
ولَبسَ الأبطال ماذيّ الحَلَقْ
وثارَ للحرب عَجاجٌ فَسَمَق
نحمي الذِّمَام حينَ لا يَحمي الفَرِق

فالجبان لا يمكن أن يدافع، ولا يستطيع الحماية، ولا تتهيَّأ له عوامل المقاومة، وعندها يعزل عن المعركة ليتولاها القادرون، ويخوض غمارها المؤمنون، وينبري لصيانتها من كتب عليه أن يرتبط بالمصير الواحد والهدف المطلوب والغاية التي تحقق للجميع العز والرفاه، ، والحق والحرية، والمجد والكرامة.

والأغلب اسم عرف به مجموعة من الشعراء ولكنهم لم يدركوا شأو صاحبنا ولم يصلوا إلى ما وصل إليه، ولم تكتب لهم الشهرة التي أدركها هذا الشاعر، فمنهم الأغلب الكلبي الذي ذكره الآمدي فقال: «لم أجد له في أشعار كلب شعراً واظن شعره دُرس، فلم يدرك»[1] ولعلَّه من الشعراء القدامى الذين ضاع شعرهم ضمن من ضاع.

أما الأغلب الآخر فهو من الأزد الذي «أنشد له يندار شعراً في معاني

---

(١) البغدادي. الخزانة ١/٣٣٣ ـ ٣٣٤.

الشعر ولم يرَ له الآمدي ـ كما يقول ـ ذكراً في أشعار الأزد ويظنّه إسلامياً متأخراً[1].

والأغلب العجلي عاش تسعين سنة واستشهد بنهاوند سنة (١٩ أو عشرين أو إحدى وعشرين)[2] مع من استشهد وقبره فيها مع قبور الشهداء.

ونهاوند لها في القلوب ذكرى، وفي التاريخ مجد، وفي امتداد الدعوة قدرة مؤمنة وعقيدة راسخة، وتضحية نادرة ففيها قتل النعمان بن مقرن فأخذ الراية بعده ففتح الله عليه، وعندما سمع عمر بن الخطاب (رضي) باستشهاد النعمان وضع يدَه على رأسه وجعل يبكي وقال يجيب عثمان النهدي عندما قال قُتل والله في آخرين لا أعلمهم، فأجابه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ولكن الله يعلمهم[3]. وكان الأغلب مع الذين يعلمهم الله في وقعة ذلك الفتح الذي أطلق عليه فتح الفتوح..

إن استشهاده في فتح نهاوند يؤكد أنَّ سبعين سنة من حياته قضاها قبل الهجرة، وهي سنوات مليئة بالأحداث، زاخرة بالوقائع إلا أن الضياع الذي لفَّ حياته الأولى قد حرمنا من أشعاره التي قالها، وأخباره التي كانت امتداداً لحياة طويلة. لم نوفق إلى تحديد ملامحها، ولم نستطع الوقوف على بعض مظاهرها. ولكنها تؤكد أنَّ التزامه بقضايا قومه كانت مسألة بارزة في حياته، والانتصار لهم كانت مسألة أساسية فيها، فقد خلَّد وقائعهم، وسجَّل أحداثهم، وشهد أيامهم، وكانت (ذي قار) يوماً مجيداً من أيامه الخوالد التي أرخ فيها لقومه وهم يقاومون جبروت الدولة الفارسية، ويحققون لأمتهم أروع انتصار، في أكبر مَعركةٍ، توحَّدت فيها القبائل، واتَّفقت فيها المشاعر، وتحدَّدت في إطارها مسؤولية الفرد والجماعة.

وعندما تعالى نور الإسلام، وبدأت بوادر الدعوة تشق دروبها في كل

(١) البغدادي. الخزانة ١/٣٣٣ ـ ٣٣٤.
(٢) البلاذري. فتوح البلدان ٣١٣ وسمط اللآلي ٢/٨٠١.
(٣) البلاذري. فتوح البلدان /٣١٢.

شعب من شعوب الجزيرة، وبدأت سماحتها تغمر كل قلب من تلك القلوب، كان الأغلب واحداً من أولئك الذين أدركوا الإسلام فأسلم وحسَّن إسلامه وهاجر[1]، ولا بدَّ أن تكون هجرته واحدة من تلك الهجرات التي حاول المسلمون الأوائل من خلالها أن يؤكدوا وفاءَهم للدعوة وإيمانهم بها، وجهادهم من أجل استمرارها، فكانت هجرة الحبشة وهجرة الرسول الكريم وهجرة الصحابة الأخيار إلى المدينة ولم تحدد لنا هجرة شاعرنا وهذا ما ذهب إليه ابن حجر[2].

وأرجح أن تكون الثالثة. ولم تكن الأولى لأن أسماءَ المهاجرين الأوائل معروفة، وهي لم تكن الثانية أيضاً وربما كانت تمثل الاتجاه الإسلامي الذي كان يلتزم به كل المسلمين الذين يستجيبون للدعوة ويجدون بقاءهم في مواضع سكناهم لا يجديهم نفعاً، لأن بقاءَهم يدفع المشركين إلى إيذائهم، والنيل منهم، والأغلب لم يكن من الشعراء الذين أوقفوا شعرهم للدعوة، ولا ممن وظف شعره لنشرها أو الدفاع عنها أو مجابهة من اعترض سبيلها، لأننا لم نجد في شعره ما يحقق ذلك، وربما كانت له محاولات في هذا الباب إلا أن شعره لم يصل إلينا، كما أننا لم نجد اسمه في عداد أولئك الشعراء الذين عرفوا بدفاعهم عن الدعوة، والتزموا بمواقف المناهضة التي حمل لواءَها شعراء الدعوة أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وغيرهم، إلاَّ أن ذلك لم يمنع الشاعر من الانتقال إلى الحياة الجديدة التي حمل إليها بقايا طبيعته الشعرية والمتمثلة في بعض أهاجيه التي يغلب عليها سمة الإقذاع[3]، ومن الطَّبيعي أن تظل هذه الخصيصة ملازمة له بعد أن أمضى في الجاهلية حوالي سبعين سنة ترسخت في تقاليدها عاداته، وتصلَّبت تراكيب أساليبه، وتحدَّدت صيغ مضامينه.

---

(١) ابن قتيبة. الشعر والشعراء /٦١٧.

(٢) ابن حجر. الإصابة ١/٥٦.

(٣) الآمدي. المؤتلف والمختلف /٢٣.

والأغلب ـ كما تؤكد كل المصادر ـ راجز جاهلي إسلامي، وهو أحد المعمرين عمَّر في الجاهلية، عمراً طويلاً وأدرك الإسلام فحسُن إسلامه[1] وللأغلب عقب لم نقف على أخبارهم، ولم تعرف أحوالهم، أشار إليهم في حديثه[2] عنه المرزباني فقال نقلاً عن الأصمعي: كان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه وقال الأصمعي: وكان من ولده إنسان يصدق في الحديث والروايات ويكذب عليه في شعره[3]، ولا بدَّ أن تختفي وراء هذه المقولة أمور كثيرة تتعلَّق بقدرة أبنائه على الشعر، واعتزازهم بأبيهم، وكثرة مفاخراتهم التي كانت تدفعهم إلى هذا الموقف، ومع هاتين المقولتين فإننا لم نقف على الطريقة التي كانت تتم بها الزيادة، والكيفية التي تستخدم بها.

والأغلب العجلي لم يكن الوحيد من الشعراء الذين صحبوا قوافل التحرير على الرغم من شيخوخته فقد كان هناك مجاميع أخرى، لكن بداية هذه الرحلة التي قطعها وهو في هذه السنّ تمثل إيمانه الذي دفعه إلى أن يخرج من جزيرة العرب ويحمل في قلبه حبّ الدعوة، ويطوي بين ضلوعه صدق الإيمان المطلق، ووجد في صفوف سعد بن أبي وقاص، القائد المظفر أصحاباً مؤمنين، رفعوا في ظلال الدعوة ألوية التضحية، ونزل مع من نزل الكوفة، واتَّخذ منها سكناً له[4].

ويعد الأغلب أرجز الرجاز وأرصنهم كلاماً وأصحهم معاني وقال ابن قتيبة هو أوَّل من شبَّه الرجز بالقصيد وأطاله وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة، إذا خاصم أو شاتم أو فاخر[5] وعدَّه ابن الأثير

---

(١) البكري. سمط اللآلي ٢/٨٠١.

(٢) المرزباني. الموشح /٢١٣.

(٣) المرزباني. الموشح /٢١٣.

(٤) البغدادي. الخزانة ١/٣٣٣.

(٥) ابن قتيبة. الشعر والشعراء /٥١١.

في أسد الغاية من الصحابة، وقال ابن حجر في الإصابة نقلاً عن ابن قتيبة أنه أدرك الإسلام فأسلم وهاجر، ثم كان ممن سار إلى العراق مع سعد نزل الكوفة واستشهد في وقعة نهاوند وقد استدركه ابن الأثير(١) وقال المرزباني في معجمه هو مخضرم(٢)، والغريب أن ابن قتيبة لم يذكر هجرته كما نقلها صاحب الخزانة في الشعر والشعراء. وقال ابن سلام وكان مقدِّماً يقال أنه أول من رجز(٣) وذكر صاحب الأغاني نقلاً عن ابن سلام أنه أول من رَجز الأراجيز الطوال من العرب(٤) ويبدو أن مسقطاً أصاب النص فجاء على هذه الهيئة، وقد التفت إلى ذلك محقق كتاب الطبقات في هامش الصفحة وقال ابن حبيب، كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة، وما جرى هذا المجرى، فتأتي منه بأبيات يسيرة، فكان الأغلب من قصد الرجز ثم سلك الناس بعده طريقته(٥).

إنَّ هذه الإشارات التي وقفت عندها هذه الكتب، وسجَّلها هؤلاء النقَّاد تمثل دلالة واضحة من دلالات قدرة هذا الشاعر على استخدام الرجز وتشبيهه بالقصيد والإطالة بنظمه، وتطويره وفق الصيغة التي أرادها، والشكل الذي رغب فيه، وهذا يعني أنه من أوائل الرّجاز الذين وجَّهوه وجهة جديدة، ووضعوه في قالب مخالف لما كان عليه، وفي ذلك تتجلَّى قدرة هذا الشاعر المتميِّز، وتتَّضح براعته التي جعلت النقَّاد الأوائل يذكرونه بهذه الصفات، ويدَّعون له هذه الادعاءات.

لقد كان للشاعر موقف محدَّد من مسيلمة وسجاح تجسّد في هجائه المقذّع لهما، وقد حمل هذا الهجاء الآمدي على أن يقول «وله في

(١) البغدادي. الخزانة /٣٣٣.
(٢) البغدادي. الخزانة ١/٣٣٣.
(٣) ابن سلام. طبقات فحول الشعراء /٧٣٧.
(٤) أبو الفرج. الأغاني ٢١/٢٩.
(٥) الأغاني ٢١/٢٩.

المفاحشات ما ليس لشاعر[1]، إن ضياع ديوان الشاعر قد حرمنا من خصائص شعره التي تميز بها، ومع ورود بعض الإشارات التي تؤكد أن للأغلب العجلي ديواناً مكتوباً فقد مع كثير من دواوين الشعر التي فقدت فقد ذكرَه أبو الطيِّب اللغوي في كتاب الإبدال وهو يعلِّق على نسبة قطعة من شعره.

كانت تميم معشراً ذوي كرم..

فقال: وجدت هذا الشعر للأغلب العجلي في ديوانه كما ذكره الجوهري[2] ونقل صاحب الخزانة حديثاً جرى عن شعره قال «فقد نسبه غيره إلى الأغلب العجلي الراجز، ورأيته أنا في أول ديوانه[3].

ولعلَّ كتباً أخرى وقفت على الديوان، وأشارت إليه، وأخذت عنه، إلا أن العثور عليه لم يتحقَّق حتى وقتنا هذا وربما ستجود به الأيام ويقف عليه باحث أو محقق وقد اختفى في زوايا مكتبة مهجورة أو مجمع شعري أو خزانة كتب ما تزال غير مفهرسة، وعندها يصبح الحديث عن شعره متكاملاً، والوقوف عند خصائصه حقيقة، ودراسته مجالاً من مجالات الدراسة، وبقيت أشطار الاستشهاد المنتزعة من الديوان منثورة في كتب اللغة والأدب يعتمدها المؤلفون في تأكيد شاهد، أو استنتاج قاعدة أو تثبيت رواية، أو دعم حجة، وهي أدلَّة تؤكد الحقيقة الثانية التي تؤيد اقتطاعها من قصائد، وإن بقيتها قد ظلَّت حبيسة الديوان الضائع، والشعر المفقود الذي حمل مَضامين هذا الشاعر المبدع الذي قدَّم للرجز العربي صورة جديدة ولوناً فنِّياً متطوراً.

إنَّ إبداع الشاعر لم يقف عند حدود الرجز وإنما توزع بين القريض

---

(١) الآمدي. المؤتلف والمختلف /٢٣.

(٢) أبو الطيب اللغوي الإبدال ٢/٨٩.

(٣) البغدادي. الخزانة ٢/٢٥٩.

والرجز وفي إشارته عندما سُئل عن نظمه الشعر كان جوابه:

أرجزاً تريدُ أم قصيداً. .

يؤكد ولوجه باب هذين الفنين الشعريين، وقدرته على التعامل معهما بنفس الروح وبذات المقدرة[1] وفي إجابته الثانية عندما قطع عنه العطاء تأكيد آخر على براعته فيهما عندما قال:

فقد سألت هيّناً موجوداً

لقد وضع ابن سلام الأغلب على رأس الطبقة التاسعة من الرّجاز وجاء بعده أبو النجم العجلي والعجاج ثم رؤبة بن العجاج وهذا يعني تقدمه على طبقته، وفضله عليهم، ومنزلته في مقاييس ابن سلام، وأشار كذلك إلى أنه كانت للأغلب سرحة يصعد عليها ثم يرتجز وقد اختار له أربع مقطوعات. وفي كل هذه الدلائل إشارات واضحة على تقدمه ونبوغه وشهرته وفضله. ثم جاء بعده النقاد القدامى فأشادوا بفضله، وقدّموه على غيره، ومنحوه من الخصائص ما جعله في موضع متقدم، وبراعة وقدرة. وإنَّ هذا التقديم كان يستند في أقوالهم إلى مجموعة من الضوابط التي رفعته إلى هذا المقام، فالرجز له أبوابه وأغراضه، وله استعمالاته ومجالاته، فهو نشيد الحرب، وآداة التحريك في كل عمل. وعنصر الاستثارة في كل معنى متحرك، ووزن شعري سريع، وجرس لفظي سلس. لأنه من الأوزان العذبة التي يميل إليها السمع، ويقبلها الحس. ولأنه يعتمد الثروة اللغوية والخزين اللفظي الذي يمدّ الشاعر بالنفس الطويل، والتمكن وفي إشارة القلقشندي التي ذكر فيها ما كان يحفظه الأغلب من أرجاز بلغت أربعة عشر ألف أرجوزة[2] دليل على سَعة محفوظات الشاعر، وإشارة إلى ما كان يدخّره من النصوص، وهي بالتالي مادة جديدة، وصور جاهزة، وألفاظ وافرة، توفر

---

(١) أبو الفرج. الأغاني ٢١/٣١.
(٢) القلقشندي صبح الأعشى ١/٢٩٣.

عليه عناء البحث، وتيسّر له سبيل القول، وتقريب المآخذ التي كان يعالج بها موضوعاته.

لقد تميَّزت لغة الرجز عن غيره من الشعر بالغرابة، وحوشي اللفظ وقد حمل ذلك أبا العلاء المعري على أن يسكنهم ناحية حقيرة من جنته في رسالة الغفران، وقد احتجَّ على ذلك بأنَّ الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها وأنَّ الرجز من رديء الشعر وسفسافه[1]، ومن الطبيعي أن يكون المعري حانقاً على الرجز السقيم الذي تتصارع فيه الألفاظ، وتتجالد التراكيب، وترتطم الصور حتى تكاد تتداخل من حيث مقارب الحروف، أو تراكيب الدلالات. أما الرجز الذي كانت تتعالى منه المعاني العذبة، وتنساب فيه الصور الجميلة، والمشاعر الرقيقة والصور المتحركة فكان لوناً آخر استخدمه العرب في أيامهم وسيرهم، فجرى على السن الشعراء غناءً، وتداولته النفوس باستحسان.

ولا بدَّ لي وأنا أعرض لحياة هذا الشاعر من أن أؤكد الغرابة التي اعترت بعض أراجيزه وقد حملت هذه الغرابة بعض اللغويين على الابتعاد عن شعره، والتحرّج في روايته، فالأصمعي الذي عرف بحفظه للشعر لم يحفظ له سوى أرجوزتين ونصف من التي على القاف[2]، وامتنع خلف عن رواية شعره[3].

أما ظاهرة اختلاط شعره بغيره من الرجاز أو الشعراء فهي مسألة طبيعية يكاد يتَّفق فيها الرجّاز لأسباب تتعلّق بالشعراء أنفسهم وبالشعر ذاته والتشابه في المعالجة والغرض والمناسبة واختيار الصور تشكل النقطة التي يلتقي عندها الرجاز، وهذا ما جعل شعرهم تشابهاً تتدافع فيه النسبة ويختلف فيه الرواة فالعجاج ورؤبة وأبو النجم ورشيد بن رميض ومنصور بن

---

(١) أبو العلاء المعري. رسالة الغفران /٢٩٨.

(٢) البغدادي. الخزانة ٢/٢٥٨.

(٣) المرزباني. الموشح /٢١٣.

يحيى ودكين كلهم من الرجاز والشعراء الذين اختلطت أشعارهم، واضطربت النسبة إليهم. وهذا ما جعل شاعرنا يتعرَّض لمثل هذا الاختلاط الذي أوشك أن يُصبح صورة لكثير من مقطوعاته. على أن هذه الظاهرة لم تحل دون الانتفاع من شعره والاستشهاد به في مواضع الاستشهاد لأن اللغويين كانوا يجدون في شعره مادة غنية يعتمدونها في التدليل ويستخدمونها في مجال المعارضة، ويرتكزون عليها في حالات المفاضلة.

إن هذه الدراسة القصيرة التي وقفت عندها وأنا أجمع ما تشتت من شعره لا توضح البعد الحقيقي لحياته الطويلة التي استغرقها شاعراً له قدرته، ومجاهداً له فضله، وشهيداً له ثوابه ولكنها محاولة تقدم للدارسين نموذجاً من أولئك الشعراء الذين لم يبتعدوا عن ضمير أمَّتهم، ولم يعيشوا بعيدين عن أحداثها الكبار التي ظلَّت رمزاً من رموز الاعتزاز، وصورة من صور الفخر. فكانوا روَّاد فكر، وحماة عقيدة، ودعاة مجد مؤثل، وستظل لمحات هؤلاء الشعراء، والمضامين الاجتماعية والثقافية التي عبَّروا عنها تمثل التوجه الاجتماعي الذي كان المجتمع يشق طريقه إليها، كما كانت أعمالهم واجهة فكرية واضحة، ارتسمت من خلالها خطواتهم البناءة، وتحدَّدت في مجال أعمالهم أعلامها البارزة.

إن جمع رجز هذا الراجز يشكل إضافة أخرى إلى إضافات العمل الحقيقي لتراث الأمَّة الشعري، كما أنه يضيف علماً آخر من أعلام الشعراء الذين حملوا قدرهم مع قوافل التحرير ليمنحوا الإنسان حرية الحياة وسلامة الوجود، وقد أدَّى دوره الكامل في أعزِّ تضحية يقدمها وهي الاستشهاد في بقعة طاهرة سالت فوق روابيها دماء المحررين العرب. وهم ينقذون أبناء العراق من عبودية المجوسية وسلطة الغدر التي كانت تمدُّ سلطانها إلى كل مجال لإخضاع البشر واستعباد النفس، وطي معالم التحرير. وهو شهيد من اعداد كبيرة من الشهداء الذين حملوا الراية وأدُّوا الأمانة وحقَّقوا لأمتهم الخلود، ولعقيدتهم الوفاء والتضحية.



شعر الأغلب العجلي

ـ ١ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ الحلمُ بعدَ الجهلِ قد يؤوبُ[1]

٢ ـ وفي الزمان عَجَبٌ عجيبُ

٣ ـ وعبرةٌ لو ينفعُ التجريبُ

٤ ـ واللبُّ لا يشقى به اللبيبُ

٥ ـ والمرءُ مُحَصًى سعيُه مرقوبُ[2]

٦ ـ يهرمُ أو تعتاقُهُ شَعوبُ

٧ ـ وكلٌّ أقصى ربضه قريبُ

. . . .

١ ـ في أمالي اليزيدي ١٠٠ وفي الخزانة ١ : ٣٣٣ يثوب بدلاً من يؤوب.

٢ ـ في حاشية أمالي اليزيدي ١٠٠ أقصى بدلاً من محصى.

* * *

- ٢ -

قال الأغلب العجلي:

١ - جاريةٌ من قيسٍ ابنِ ثَعْلَبَهْ
٢ - كَرِيمةٌ أخوالها والعَصَبَهْ
٣ - قبّاءُ ذات سُرَّةٍ مقعَّبَهْ
٤ - كأنَّها حُقّةُ مِسْكٍ مُذهبَهْ[1]
٥ - ممكورةُ الأعلى رِداحُ الحجَبَهْ
٦ - كأنَّها حليةُ سيف مذهبه[2]
٧ - أهوى لها شيخٌ شديدُ العصَبهْ
٨ - خاظي البضيع أيره كالخَشَبهْ[3]
٩ - فضَرَبَت بالوَدِّ فوقَ الأرنبه
١٠ - ثمَّ انْثنتْ به فويقَ الرقبه[4]
١١ - فانصرفَتْ وهي حصانٌ مُغضَبَهْ

....

١ - وأراد بجارية امرأة من العرب اسمها كليسة كان بينهما مهاجاة.

٢ - في التاج للزبيدي مادة (حلي) بيضاء بدلاً من قباء، مقببة بدلاً من مقعبة.

٦ - في المستقصي في أمثال العرب للزمخشري ٢: ٢٢٩ وفي اللسان (خلل) خلة بدلاً من حلية.

٧ - في المستقصى للزمخشري ٢: ٢٢٩ غليظ الرقبة.

---

(١) القباء: الضامرة البطن، المقعبة: السرة التي دخلت في البطن.
(٢) الممكورة: المطوية، الحجبة: رأس الورك.
(٣) الخاظي: المكتنز، البضيع: اللحم.
(٤) الأرنبة: طرف الأنف.

١٢ ـ فـأعلنتْ بصـوتهـا أنْ يـا أبـه
١٣ ـ [كـلُّ فتـاةٍ بـأبيهـا مُعْـجَبَـهْ]

....

١٢ ـ في فصل المقال للبكري ١٨٣ ورجعت من صوتها هيا أبـه، وفي المستقصى للزمخشري ٢ : ٢٢٩ وصرخت منه وقالت يا أبه.
١٣ ـ الشطر كما ينسبه الميداني والزمخشري في أمثالهما المجموعة إلى العجفاء ويبدو لي أن الأغلب ضمنه شعره تضميناً.

* * *

ـ ٣ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ إذا لـقيـت واحـداً مِـنْ ضَـبّـهْ
٢ ـ . . . عـشـراً في سـواء الـسّـبـهْ
٣ ـ غَمـزَ العـبـاديٍّ عفـاصَ الـدَّبّـهْ

* * *

ـ ٤ ـ

وقال الأغلب في الإبل:

١ ـ عـلى قـلاصٍ يـعـمـلاتٍ قَـبٍّ
٢ ـ وهَـنَّ يـمـصـعـنَ امتصاع الأظـبِ
٣ ـ مُتّـسِقـاتٍ كـضـلوعِ الـجـنـبِ

....

٢ ـ في المعرب مادة (مصع) عن التكملة جوانح يمحصن محص الأظب.
٣ ـ في المعرب واللسان مادة (مصع) كاتساق.

* * *

ـ ٥ ـ

قال الأغلب يصف فحلًا:

١ ـ وهـو إذا جـرجـر بعـد الهبِّ[1]
٢ ـ جـرجـر فـي حنجـرَةٍ كـالحُبِّ
٣ ـ وهـامـةٍ كـالمـرجـلِ المنكب

....

٢ ـ الجرجرة: الصوت والجرجرة تردد هدير الفحل.
في جمهرة اللغة لابن دريد ١٥٣ جرجر في شقشقة.
ينسب الصاغاني هذه القطعة خطأ إلى دكين وهي للأغلب نظراً لإجماع الرواة عدا الصاغاني على نسبتها له ولغتها الشعرية تنسجم ولغة الأغلب في الصياغة.

* * *

ـ ٦ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ كـأنَّ صـوتَ نـابِـهِ الأَذَبِّ
صـريـفُ خـطَّافٍ بَقَـعْـوٍ قَـعْـبِ

....

* يرويه الزبيدي في تاج العروس مادة (ذبب) إلى الأغلب وإلى دكين ويقول أنه موجود في أراجيزهما، ويبدو لي أنَّ الشعر للأغلب وليس لدكين.

* * *

(١) في المعرب مادة (جلع) عود إذا جعجع.

ـ ٧ ـ

١ ـ مـاضٍ أمـام الـركـب مـذلعـبَ

....

١ ـ في اللسان عن التكملة للصاغاني مجلعب ـ مادة (ذلعب).
أرى أنَّ القطع ٤، ٥، ٦، ٧ مع أشطار أخرى مفقودة تشكل قصيدة واحدة إلا أنني لم أهتد إلى رواية تجمعها فآثرت إبقاءها على هيئتها. حرصاً على المنهج العلمي الذي التزمت به.

* * *

ـ ٨ ـ

قال الأغلب:

١ ـ مـا زلت يـوم البين الـوي صَلبي
٢ ـ والـرأسَ حتى صـرْتُ مّـل الأغلب

* * *

ـ ٩ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ كمـذلعبِّ الفـرسـك المهـالب[1]

* * *

ـ ١٠ ـ

قال الأَغلب:

١ ـ تخـطو على خَـدَلّـجِ الأنبـوب[2]

* * *

(١) الفرسك: ضرب من الخوخ ليس ينفلق عن نواة.
(٢) الخدلجة: الممتلئة.

- ١١ -

١ - أشــرفَ ثــديــاهــا على التــريُّبِ

٢ - لم يعـدوا التَّفليـك في النَّتــوُّبِ[١]

....

١ - في تاج العروس مادة (نتب) التربب وهو تصحيف.

٢ - في الحور العين ٩ والتنوب.

* * *

- ١٢ -

قال الأغلب:

١ - رُبَّ غُـلامٍ قَـدْ جَـرى في فِقْـرَتِـهْ

٢ - مــاءَ الــشبــابِ عـنفــوانَ سَـنبـتِــهْ

٣ - أَتْعَظَ حتـى اشتــدَّ سَـمٌّ سُـمَّـتِــهْ

....

١ - في معجم مقاييس اللغة ٢ : ٣٨٧ رأت غلاماً.

٢ - في معجم مقاييس اللغة ٢ : ٣٨٧ شرته بدلاً من سنبته، وقد نون (عنفوان) بالرفع.

* * *

- ١٣ -

كان للأغلب سرحة يصعد عليها ثم يرتجز فقال:

١ - قَـدْ عَــرَفتني سَــرْحَتي فــأطَّتِ[٢]

---

(١) التفليك من فلك الثدي.

والتريب: ما بين الثديين والترقوتين. والنتوب: النهود وهو ارتفاعه.

(٢) الأطيط: صوت الجوف من الخواء وحنين الجذع.

٢ ـ وَقَدْ شَمِطْتُ بعـدَهـا واشْمَطَّـتِ

* * *

ـ ١٤ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ كم بَعْـدَهـا مِنْ وَرْطـةٍ وَوَرَطَـةِ

٢ ـ دافعهـا ذو العـرش بعـد وَبْـطَتي

٣ ـ ودافَـع المكـروةَ بَعْـدَ قَعْـطَتي(١)

* * *

ـ ١٥ ـ

١ ـ وتـارة يـكـدُّ أنْ لـم يُـجـرَحْ

٢ ـ عَـرْعَـرَةَ المتـكِ وكينِ المشـدَحْ(٢)

* * *

ـ ١٦ ـ

١ ـ بـيـن طـريٍّ سـمـكٍ ومـالـح

٢ ـ ولُـقَّـح وصـامـدٍ مـجـالـح(٣)

* * *

(١) القعط: الشدة والتضييق يقال قعط فلان على غريمه إذا شدد عليه في التقاضي.

(٢) المشدح: الحر.

(٣) ناقة صمدة وصمدة: حمل عليها فلم تلقح.

ـ ١٧ ـ

١ ـ تخالُهُ مِن كَرْفِهِنَّ كالحا

٢ ـ وافْتَرَّ صاباً ونَشُوقاً مالحاً

....

١ ـ في تاج العروس (ملح) كربهن وهو تحريف.

اعتقد أنَّ هذه القطعة جزء من قصيدة وصفية مفقودة فالوصف في هذين الشطرين واقع لواحد منهما وقد تكون القصيدة لوحة صيد بقي منه هذا الوصف الموجز لحركة واحدة من الحمار.

* * *

ـ ١٨ ـ

١ ـ أبو عِيالٍ يَكْدَحُ المَكادِحَا(١)

* * *

ـ ١٩ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ حَيَّاكَةٌ عَنْ كَعْثَبٍ لم يُصْمِحِ(٢)

* * *

ـ ٢٠ ـ

كتب عمر إلى عامله: أنْ سل لبيدا والأغلب ما أحدثا من الشعر في الإسلام؟

فقال الأغلب:

---

(١) يكدح لعياله ويكتدح أي يكتسب بهم.

(٢) الحياكة: تمشي مفرجة بين أرجلها، يصمح صماح العرق: الكريه الرائحة.

١ ـ أرجَــزاً تُــريــدُ أم قَصِيـــدَا؟
٢ ـ لَقَــدْ سَــأَلْـتَ هَـيِّـنـاً مَــوْجــودا

. . . .

١ ـ في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١١٣ أرجزاً سألت.
٢ ـ في طبقات الجمحي ١١٣ فقد وفي الإصابة ١ : ٢٦ وفي الخزانة ١ : ٣٣٧ وفي الفرائد الغوالي ١٢٩ لقد طلبت.

ورد الشطران بروايات مختلفة من حيث الترتيب. ففي أمالي اليزيدي ١٠٠ وفي إحدى روايتي الأغاني ٢١ : ٣٣ وفي الخزانة ١ : ٣٣٧ جاء في جميع هذه المصادر معكوساً فالصدر عجز والعجز صدر.

* * *

ـ ٢١ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ لا يُـحْسِـنُ التـحـمـيضَ إلّا سَــرْداً

. . . .

١ ـ التحميض: الإقلال من الشيء.

* * *

ـ ٢٢ ـ

قال الأغلب العجلي: (من البحر الطويل)

١ ـ فَمَـا تُرْبُ أَثْـرَى لو جَمَعْتَ تُـرَابَها
بـأكثـرَ مِنَ حَيّيْ نـزَارٍ على العَـدِّ

. . . .

١ ـ أثرى: اسم موضع.

* * *

ـ ٢٣ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ قـال لهـا في بعضِ مـا يُسَـطِّرُهْ
٢ ـ وهـي تنـادي تَـحْـتَـهُ وتَـذْمـره
٣ ـ وهـو شـديـدٌ لـفـظُهُ وذَكـرُهْ
٤ ـ مَنْ يشـتـري سيـفي وهـذا أَثَـرُه

. . . .

١ ـ في هامش فصل المقال ٥٥ قالت له في بعض ما تسطره.

* * *

ـ ٢٤ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ مـا إنْ رأيـنـا مـلكـاً أغـارا
٢ ـ أكـثـرَ مـنـهُ قـرَّةً وقـارا[1]
٣ ـ وفـارسـاً يَـسْـتَـلِبُ الـهـجـارا[2]

* * *

ـ ٢٥ ـ

قال الأغلب:

١ ـ بَـلَّتْ بـه عُـلا بـطامِئـرًا[3]

---

(١) القـرة والقار: الغنم.
(٢) الهجار: طوق الملك بلغة حمير.
(٣) المئر: كثير النكاح، الأر: إيقاد النار.

٢ ـ ضَخْمَ الكراديسِ وأي زِبَرَّا

* * *

ـ ٢٦ ـ

وأنشد ابن بري للأغلب العجلي شاهداً على مال خَيَر بفتح الحاء أي كثير):

يا مَنَ رأى النعمان كان خَيَرا

من كُلّ شيء صالحٍ قد أكثرا

* * *

ـ ٢٧ ـ

وأنشد ثعلب:

ثُمْتَ خَلّهُ المُمَرَّ الأسمرا

لو مَسَّ جَنْبي بازلٍ لَجرْجرا(١)

* * *

ـ ٢٨ ـ

وله (للأغلب):

١ ـ نحنُ جَلَبنا الخيل مِنْ غَوَّارِ

٢ ـ شوازبا يَقْذِفْنَ بالأمهارِ

٣ ـ تَرْدي بنا طوامِحَ الأَبْصَارِ

٤ ـ يحْمِلْنَ تَحْتَ الرَّهَج المُثارِ

---

(١) اللسان: (جرر).

٥ ـ كُلَّ كـريم في الـوغى مهصـارِ
٦ ـ أهـلِ النَّـدى والحِلْمِ والـوَقـارِ
٧ ـ كـمْ فـيهـم مـن بـطلٍ مِغْـوَارِ
٨ ـ أشْعَـث قَـدْ لِيَـحَ مِـنَ الـغـوارِ
٩ ـ تَـنـشَـقُّ عَـنْـهُ ظُـلَمُ الـغِـمَـارِ
١٠ ـ تَمَـزُّقَ الـليـلِ عــنِ النَّـهَـارِ

* * *

ـ ٢٩ ـ

قال الأغلب العجلي:

إذا انـجلى فـاثـور عـين الـشمس[١]

* * *

ـ ٣٠ ـ

قال الأغلب العجلي: ـ

١ ـ كـأَنَّ تـحتَ خُـفِّهـا الـوهـاصِ
٢ ـ مـيـظبَ أكـم نِـيْطَ بالمــلاصِ[٢]

* * *

ـ ٣١ ـ

قال الأغلب:

١ ـ صَلْتَ الجبينِ ظـاهـرَ الشيـراصِ[٣]

* * *

(١) الفاثور عند العامة الطست. والبيت في اللسان (فثر).
(٢) الوظب: الوطء، الأملاص: الحبال المحكمة.
(٣) الشرصتان: ناحيتا الناصية وهما أرقها شعراً.

- ٣٢ -

قال الأغلب:

١ - فهي على ما كان من نشاصِ

٢ - بظربٍ الأرضَ وبالدلاصِ[1]

....

أعتقد أن القطع ٣٠، ٣١، ٣٢ تشكل مع أشطر مفقودة أخرى قصيدة في وصف الناقة إلا أننا لم نعثر على سند أو نص يقرر هذه الحقيقة لذا ارتأينا كتابتها على هذه الهيئة.

* * *

- ٣٣ -

قال الأغلب العجلي:

١ - أصبحت لا يحمل بعضي بعضي

٢ - منقّهاً أروحُ مثلَ النقض

٣ - طول الليالي أسرعتْ في نفضي

٤ - حنين طولي وطوين عرضي

....

٣ - في (المعمرون) للسجستاني ٨٧ إن الليالي، وفي البيان والتبيين أرى الليالي ولم ينسبه لأحد. وفي الأغاني ٢١ : ٢٨ إن الليالي. وفي الخزانة ٢ : ١٦٩ على زعم الأعرابي أنه من شوارد الرجز لا يعرف قائله وقد ورد على روايته: حر الليالي.

٤ - في المعمرين ٨٧ وفي البيان والتبيين ٣: ٥٨٦ وفي المقتضب ٤: ١٩٩ -٢٠٠. أخذن بعضي وتركن بعضي. ونسب في المقتضب إلى العجاج خطأ حيث تتبعت ديوان العجاج تحقيق عزة حسن صفحة صفحة فلم أجده له في شعره.

(١) الدلاص. الملساء.

٥ ـ ثم انتحَيْنَ من عـظامـي مَخـضي
٦ ـ أقعـدْنَنـي من بـعـدِ طـولِ نَهـضي

وفي شرح شواهد المغني ٢ : ٨١١ منقول عن شرح سيبويه للزمخشري طوين طولي وحنين عرضي، وفي شرح شواهد المغني ٢ : ٨١١ وخزانة الأدب : ٢ : ١٦٩ نقضن كلي ونقضن بعضي، وفي الخزانة رواية أبي محمد الأعرابي الذي يعتبره من شوارد الرجز لا يعرف قائله: طوين طولي وطوين عرضي.

٥ ـ في الخزانة رواية أبي محمد الأعرابي ٢ : ١٦٩ : ثم التحين.

٦ ـ في البيان والتبيين ٣ : ٥٨٦ النهض.

* * *

ـ ٣٤ ـ

وقد فرّق الأغلب العجلي بين الرجز والقريض.

أرجـزاً تـريـدُ أم قـريـضـا
كـليهـمـا أجِـدُّ مسـتـريـضـا[1]

* * *

ـ ٣٥ ـ

قال الأغلب العجلي يصف شاباً جامع امرأة:

١ ـ لـو أنَّهـا لاقت غـلامـاً طـائـطا
٢ ـ ألـقى عـليهـا كَـلْكـلاً عـلابـطا

* * *

---

(١) اللسان (قرض).

ـ ٣٦ ـ

قال الأغلب فيما أنشده أبو سعيد:

١ ـ طَلسةُ شيخٍ أرْسَحٍ زحَنْقَفِ[1]
٢ ـ له ثنايا مِثْلُ حَبِّ القَلَفْ
٣ ـ فبصرَتْ بناشىءٍ مُهَفْهَفِ

* * *

ـ ٣٧ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ يا ربَّ حَرْبٍ ثَرَّةِ الأَحلافِ

* * *

ـ ٣٨ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ نحنُ بنو عجلٍ إذا احمَرَّ الحَدَقْ
٢ ـ وَلَبِسَ الأبطالُ ماذيَّ الحَلَقْ
٣ ـ وثارَ للحربِ عجاج فَسَمَقْ
٤ ـ نحمي الذمار حين لا يحمي الفرِقْ

* * *

ـ ٣٩ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ المرءُ تَوَّاقٌ إلى ما لم يَنَلْ

(١) قال أبو زيد: الزحنقف: الزاحف على أسته.

٢ ـ والـمـوتُ يتـلوه ويـلهـيـه الأمَـلْ

* * *

ـ ٤٠ ـ

١ ـ وشَـرٌّ ما رامَ امـرؤٌ مـا لم يَنَـلْ[١]

* * *

ـ ٤١ ـ

١ ـ كُـلُّ شيءٍ مـا خـلا جـاري جَلَلْ

* * *

ـ ٤٢ ـ

١ ـ فـالـويـلُ لـو ينجيه قـول الـويـلْ

٢ ـ يـسـعـى بـيـدٍ وذيـل (كـذا)[٢]

* * *

ـ ٤٣ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ إذا رأوا حَـوْمَ المنـا لم يـرحلوا

٢ ـ أخـرى ولـم ينبـوا ولـم يـهـللوا

٣ ـ يـا لـيتـني أسـالـي يـفـعَـلُ

---

(١) يضرب في طلب المتعذر.

(٢) فإنما أراد الرجل فجعل الذيل مكانه للقافية / ينظر مقاييس ابن فارس ٢ : ٣٦٦.

٤ ـ ضرباً وطعناً أو يموتَ الأعجلُ[١]

....

٤ ـ في مقاييس اللغة لابن فارس ١ : ١٥٩ جاء هكذا: يا ليتني أسالي يفعل بنا كذا حتى يموت الأعجل.

* * *

ـ ٤٤ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ عهدي بقيس وهي من خير الأُمَمْ

٢ ـ لا يطأون قدماً على قَدَمْ[٢]

* * *

ـ ٤٥ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ يا ربَّ شيخٍ مِنْ لَكيزٍ كَهْكَمِ[٣]

قَلَّصَ عن ذاتِ شبابٍ خِدلمِ[٤]

* * *

ـ ٤٦ ـ

قال الأغلب:

١ ـ فَبَصَرتْ بَعَزَبٍ مُلأَّمِ

(١) لفظه: ليتني وفلاناً يفعل بنا كذا حتى يموت الأعجل / ينظر مقاييس ابن فارس ١ : ١٥٩.

(٢) أي هم رؤساء ليسوا اتباعاً يطأون أعقاب غيرهم.

(٣) الكهكم: الذي يكهكه في يده.

(٤) الخدلم: الممتلئة الساقين.

٢ ـ فَأَخذت من رادنٍ وكركم[١]

....

٢ ـ في مقاييس اللغة ٢: ٥٠٥ وأخذت.

* * *

ـ ٤٧ ـ

قال الأغلب:

١ ـ إن قابل العرسَ تشكّى وخَضَم

....

١ ـ اللسان (خضم).

* * *

ـ ٤٨ ـ

قال الأغلب:

١ ـ بعد شميم شاغفٍ وفَغْمِ[٢]

* * *

ـ ٤٩ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ وواجهْتهُ بعظيم الحجم

أبيضَ رابي الربلتين ضَخْمِ

* * *

ـ ٥٠ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ خوارسٌ وحرشفٌ كالدِّيمِ

---

(١) الرادن: الزغفران.

(٢) في اللسان (فغم).

٢ ـ لا تـتـأنَّـى حَـذَرَ الـكُـلُومِ

* * *

ـ ٥١ ـ

قال الأغلب العجلي :

١ ـ ينفيهمُ عن كَلإٍ غِمّيمِ
٢ ـ ضَرَبَ القُدار نيقَةَ القِدِّيمِ
٣ ـ يفرق بين النفس والنسيمِ[1]

* * *

ـ ٥٢ ـ

قال الأغلب العجلي :

١ ـ إنّا على التشواقِ منا والحزَنْ
٢ ـ ممّا نَمُدُّ للمطيِّ المستفنْ
٣ ـ نسوقها سَنّاً وبعضُ السوقِ سَنْ
٤ ـ حتى نراها وكأَنَّ وكأَنْ
٥ ـ أعناقُها ملزَّزاتٌ في قَرَنْ
٦ ـ حتى إذا قضوا لُبانَاتِ الشجنْ
٧ ـ وكلُّ حاجٍ لفلانٍ أو لهن
٨ ـ قاموا فَشدُّوها لما يشقى الأرَن
٩ ـ ورحلوها رحلةً فيها رعن[2]

(١) أراد بالنفس جسم الإنسان أو دمه وبالنسيم الروح / ينظر التاج (نسم).
(٢) قوله رحلة فيها رعن أي استرخاء ولم يحكم شدُّها من الخوف والعجلة.

١٠ ـ حتى أنخناها إلى مَنٍّ ومَن

* * *

ـ ٥٣ ـ

قال الأغلب:

١ ـ فَبِتُّ أمريها وأدنو للثّنَنْ

٢ ـ بقارح الجلزمتينِ كالرسن

....

٢ ـ في اللسان (نتن) قاسم الجلزمتين، الثنة: الشعرات التي في مؤخر رسغ الدابة.

* * *

ـ ٥٤ ـ

قال الأغلب:

١ ـ ليس مِنَ اللائي تُسوَّى بالغَمَنْ

* * *

ـ ٥٥ ـ

قال الأغلب العجلي يذكر وقعة يوم ذي قار:

١ ـ قد علموا يومَ خُنابزينا

٢ ـ إذْ مالتِ الأَحياءُ مقبلينا

٣ ـ إنا بنو عِجْلٍ إذا لقينا

٤ ـ نمنع مِنّا حدَّ مَنْ بَلينا

٥ ـ ما منه قبحُ فعله يرينا

٦ ـ [نحنُ منعْنا جوف والغينا *

....

٦ ـ في معجم البلدان ٤: ٨٩٥ نحن هبطنا بطن والغينا.

* البيت المتكون من الشطرين السادس والسابع وجدته منفرداً ولصلته =

٧ ـ وقـد تـدلّـى عِـنـبـا وتـيـنـا]
٨ ـ أمـا الـجـبـايـاتِ فـقـد غـشـيـنـا
٩ ـ وقـد ولـجـنـا جـوف مُـولـعـيـنـا
١٠ ـ بـفـاقـراتٍ تـحـتَ فـاقـريـنـا
١١ ـ يـتـركْـنَ مَـن نـاحـيـةٍ رهـيـنـا
١٢ ـ نـقـارعُ الـسـنـيـنَ عـن بـنـيـنـا
١٣ ـ الـغـمـرات حـتـى يـنـجـلـيـنـا
١٤ ـ ثَـمّـتَ يَـذْهِـبْـنَ ولا يَـجـيـنـا
١٥ ـ لـو كُـنَّ صُـمَّ جـنـدلٍ يـلـيـنـا

....

= الوثيقة بالقطعة وزناً وقافية وغرضاً رجحت أنه جزء من القصيدة قد شذَّ عنها فأثبته في هذا التسلسل وحصرته بين قوسين.

١٢ ـ في ديوان العجاج رواية الأصمعي ٣٤: يقاتل.

١٣ ـ في شرح ديوان العجاج ٣٤: (في الغمرات ثم ينجلينا) وفي معجم مقاييس اللغة ١: ٤٥ (فغمرات) وفي المقاييس أيضاً ٤: ٣٩٣ (الغمرات) وفي معجم ما استعجم للبكري ٤٠٥ (الغمرات ثم) وفي المستقصي للزمخشري ٢: ١٧٨ (والغمرات) وفي الإصابة ١: ٥٦ (الغمرات).

١٤ ـ في الإصابة ١: ٥٦ تذهبن... تجينا وهو تحريف.

* * *

ـ ٥٦ ـ

١ ـ فـانـطحْ بـفـودي رأسـه الأركـانـا[1]

* * *

(١) الفود: ناحية الرأس، والفودان: قرنا الرأس وناحيتاه، ويقال بدا الشيب بفوديه.

ـ ٥٧ ـ

قال الأغلب العجلي يصف فرساً:

١ ـ أغرُّ من خيلِ بني ميمونِ

٢ ـ بين الجميلياتِ والحرون[1]

....

٢ ـ في التاج مادة حسل (الحميليات) وهو تصحيف بين.

* * *

ـ ٥٨ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ فيا شمالي زواجي يميني

٢ ـ وإنْ كرِهْتِ عشرتي فبيني

٣ ـ فإنما يُضنُّ بالضَّنينِ[2]

* * *

ـ ٥٩ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ أقبلَ في ثوبٍ معافريٍّ[3]

٢ ـ بين اختلاطِ الليلِ والعشيِّ

٣ ـ ماضٍ إذا ما همَّ بالمضيِّ

---

(١) جميلَ فرس لبني عجل من نسل الحرون.

(٢) ومعناه: تمسك بإخاء من يتمسك بإخائك، وشر الناس صحبة والأمهم إخاء من يرى لنفسه من الحق ما لا يرى عليها.

(٣) المعافري: حي من همدان تنسب إليهم الثياب المعافرية، والماضي الذي لا يتوانى ولا يكل في أمر إذا هم به.

٤ ـ قـال لهـا: هــلْ لـكِ يــا تــافيٍّ

٥ ـ قـالت لـه: مـا أنتَ بـالمــرضيٍّ *

....

٤ ـ في الخزانة ٢: ٢٥٨ يا ناقي وهو تصحيف بين.

* يقول: قال لها ذلك الرجل الماضي بلب هذه المرأة هل لك رغبة في قالت له لست بالرضي فيكون لي رغبة فيك.

* * *

ـ ٦٠ ـ

قال الأغلب في سَجاحِ لما تزوجت مسيلمة الكذاب:

١ ـ قـد لقيتْ سَجاحِ من بعـدِ العمى

٢ ـ تــاح لهــا بعــدكَ حِنــزابٌ وزى

٣ ـ مُلوَّحــاً في الـعيـنِ مجـلوزَ القَــرَا

٤ ـ مثــلَ الفَنيقِ في شبــابٍ قــد أنى

٥ ـ مِنَ اللجيميِّيــن أصحــابِ الـقُــرى

٦ ـ لــيسَ بــذي واهــنــة ولا نــســا

٧ ـ نشــا بخبــزٍ وبلحــمٍ مــا اشتـهى

....

١ ـ في الأغاني ٢١: ٣١ لقد في مختار الأمالي ٢: ٣٧ لقد. في اللسان مادة ـ وزى ـ قد أبصرت. في التاج مادة ـ حنزب ـ قد أبصرت.

٢ ـ في التاج مادة ـ وزى ـ عن القالي: قد علقت بعدك حنزاباً وزى.

٣ ـ في الأغاني ٢١: ٣١ مثل العتيق وفي مختار الأغاني ٢: ٣٧ مثل فنيق.

٧ ـ في الأغاني ٢١: ٣١ ومختار الأغاني ٢: ٣٨ نشأ بلحم وفي تاج العروس ـ حنزب ـ دام له خبز ولحم ما اشتهى.

٨ - حتى شتا ينتج ذفراهُ الندى

٩ - خاظي البضيع لحمُهُ خظابظا

١٠ - كأنَّما جُمِّعَ من لحم الخُصَى

١١ - إذا تمطَّى بين بُردَيه صَأى

١٢ - كأنَّ عرقَ أيرِهِ إذا ودى

١٣ - حبلَ عجوزٍ ضَفَّرَتْ سبع قوى

١٤ - يمشي على قوائمٍ له زكا

١٥ - يرفع وسطاهُنَّ من بردِ الندى

١٦ - قالت: متى كنت أبا الخير، متى؟

١٧ - قال: حديثاً، لم يغيرْني البِلى

١٨ - ولم أُفارقْ خُلَّةً لي عن قِلى

١٩ - فانتفشَتْ فَيشَتُهُ ذاتُ الشوى

٢٠ - كأنَّ في أجيادها سبع كُلى

٢١ - ما زال عنها بالحديثِ والمنى

٢٢ - والخُلُقُ السفسافُ يردي في الردى

. . . .

٨ - في طبقات الجمحي ٥٧٤ تنتح.

١٢ - في توجيه إعراب أبيات ملغزة الأعراب ١٠٤ عضوه. وفي فصل المقال ٢٢٠ عرق فعله.

١٤ - في طبقات الجمحي ٥٧٤ له حسا. وفي الأغاني ٢١ : ٣١ وفي المختار ٢ : ٣٨ - خمس زكا.

٢٠ - في الأغاني ٢١ : ٣١ والمختار ٢ : ٣٨ كأن في أجلادها.

٢٢ - في جمهرة العسكري ٢ : ١٨٥ والحلف، وهو تصحيف وتحريف.

٢٣ ـ قــال: ألا تــريْنَــهُ قــالت أَرَى

٢٤ ـ قــال: ألا أُشيمُـهُ؟ قــالت: بلى

٢٥ ـ فشـامَ فيها مثـلَ محـراثِ الغضـا

٢٦ ـ يقـول: لما غـابَ فيهـا واستـوى

٢٧ ـ لمثلهــا كنتُ أُحسيــكِ الحُسَــا

٢٨ ـ يبـرى لها كينـا كـأطـرافِ النـوى

٢٩ ـ وقــد تــطلَّتْ حيـن هَـمَّ وأدَّنـى

٣٠ ـ من طيبِ مصانَ الذي كان اشترى

٣١ ـ تقــذفُ عينـاه بِعِلْكِ المُصْــطَكى

....

٢٣ ـ في أضداد أبي الطيب اللغوي ١: ٣٨٧ ـ لما رأى من فرجها ما قد ترى.

٢٤ ـ في الأغاني ٢١: ٣١ قال ألا أدخله. وفي جمهرة العسكري ٢: ١٨٥ (قلت) في سطري البيت وفي كتاب فصل المقال ٢٢٠ (قـال ألا ألجمه؟) وفي المختار ٢: ٣٨ (أدخله).

٢٦ ـ في جمهرة العسكري ٢: ١٨٥ تقول. وفي مستقصى الزمخشري ٢: ٢٩٦ تقول وكذلك في المختار ٢: ٣٨.

٢٧ ـ في جمهرة العسكري لمثل ذا ٢: ١٨٥ أحسيك وفي المستقصى ٢: ٢٩٦ وفي المختار ٢: ٣٨ أحسيك.

٢٨ ـ في جمهرة العسكري ٢: ١٨٥ يبرى لها كبناً وهو تصحيف ظاهر.

٣١ ـ في جمهرة العسكري ٢: ١٨٥ تنطف في فصل المقال ٢٢٠ عينه بمثل المصطكى.

قال ابن سلام عن الأصمعي (أنَّ هذه القصيدة في الجاهلية لجشم بن الخزرج) وهذا وهم لأن زواج مسيلمة في صدر الإِسلام.

* * *

قال الأغلب العجلي:

١ ـ قد سرَّني الشيخ الذي ساء الفتى

٢ ـ إذ لم يكن ما ضم أمساد الغفى *

* اعتقد أن هذا البيت هو جزء من المقصورة السابقة ـ ٥٤ ـ لكني لم أهتد إلى تسلسلها فيها فأوردته على حاله حرصاً على الأمانة العلمية.

* * *

الشعر الذي يُنسَبُ له ولغيره

ـ ١ ـ

وأنشد للأغلب:

١ ـ إذا تخازرت وما بي من خزرْ

٢ ـ ثم كسرْتُ الطرف من غير صورْ

٣ ـ وجدتني ألوي بعيدَ المستمر

٤ ـ أحملُ ما حملتُ من خير وشرْ

٥ ـ أبذا أذى بوذيت من كلْبٍ ذكر

٦ ـ أسودَ فَزّاحٍ يعوِّي في السحرْ

٢ ـ في حيوان الجاحظ ٢: ٢٨٠ (كسرت العين) وينسب محقق الكتاب الأستاذ عبد السلام محمد هارون القطعة لعمرو بن العاص، وأعتقد أنَّ القطعة للأغلب اعتماداً على رواية أبي محمد (ابن الأعرابي) التي استشهد بها الجواليقي في (شرح أدب الكاتب) ص ٣٢١، حيث

قال: ـ قال أبو محمد «وتأتي تفاعلت بمعنى إظهارك ما لست عليه مثل تغافلت وتجاوزت» وأنشد للأغلب.

* * *

ـ ٢ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ أعابرانِ نحنُ في العبّارِ

٢ ـ أم غابرانِ نحنُ في الغُبّار

....

١ ـ في أضداد أبي الطيب اللغوي: أغابران.... الغبار ـ وقد نسبها للأغلب العجلي وفيها تصحيف. وقد وجدتها في ديوان العجاج رواية الأصمعي بتحقيق الأستاذ عزة حسن، فهي للعجاج وليست للأغلب وتسلسل هذين الشطرين في الديوان (٢٧، ٢٨) ص ٨٧.

* * *

ـ ٣ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ أرجزاً تريدُ أم قريضا

٢ ـ أم هكذا بينهما تعريضا

٣ ـ كلاهما أجيد مستريضا

....

في اللسان (روض) ينسبها خطأ لحميد الأرقط بينما ينسبها التبريزي في كتاب شروح سقط الزند ٢: ٦٧٧ إلى الأغلب، ونسبها للأغلب أيضاً الطوسي في تفسير التبيان ٧: ٢٠. وأرجح نسبتها للأغلب لما لها من علاقة بقصة الشاعر مع الخليفة عمر بن الخطاب (رض). ويجعلها الدكتور علي جواد الطاهر من ضمن شعر الأغلب.

* * *

قال الأغلب العجلي يذكر يوم الزورَين:

١ ـ إنْ سَـرَّكَ العـزُّ فجخجخْ بجُشَمْ[1]

٢ ـ أَهـلِ النبـاة والعـديـدِ والكـرم

٣ ـ جـاؤوا بـزَوْرَيهم وجئنـا بـالأَصَمْ[2]

....

١ ـ في الشعر والشعراء ٦١٧ وفي الكامل ١: ٦٠٥ فجحجح.

٣ ـ في النقائض شرح أبي عبيدة ١: ٢٥٩ ساقوا زويريهم، وفي العقد الفريد ٥: ٢٠٧ جاؤوا بزوربهم، وفي شرح القصائد السبع للأنباري ٤٩٢ جاؤوا بشيخيهم، وفي حماسة ابن الشجري ١: ١٤٤ جـاؤوا بشيخيهم) وفي الكامل ١: ٦٠٦ بزويريهم.

---

(١) فجخجخ: ناد فيهم وتحول إليهم، أو ادع بها تفاخر معك.

(٢) وهذا الرجز يقوله في يوم الزويرين حرب كانت بين بكر وتميم. وقوله وجئنا بالأصم يعني رئيسهم يومئذٍ أبا مفروق عمرو بن قيس بن عامر الشيباني، كان يلقب بالأصم، وانهزمت يومئذٍ تميم لا يلوي والد على ولد وأخذت بكر الزويرين / ينظر السمط ٢: ٨٠١.

والزورين: قال أبو عبيدة وهما بكران مجللان قد قيدوهما وقالوا هذان زورانا أي الأهانا حتى يفرا / ينظر شرح القصائد السبع شرح الأنباري ص ٤٩٢.

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم (الزويرين) لا سيما الأغلب العجلي فمن ذلك أرجوزته التي أولها: إن سرَّك العز فجخجح بجثم / ينظر الكامل لابن الأثير ١: ٦٠٦ في القصيدة ـ ٤ ـ اضطراب واختلاف كبير في مصادر تخريجها من حيث النسبة وترتيب الأبيات واختلاط قسم من أبياتها مع أبيات لشعراء آخرين.

ففي الأغاني طبعة دار الثقافة ١٥: ١٩٩ تنسب بعض الأبيات التي أوردها ابن الشجري في قصيدة الأغلب إلى رشيد بن رميض العنزي، كذلك الحال عند التبريزي في شرحه لحماسة أبي تمام ١٨٤ ـ ١٨٥ وأكَّد تلك النسبة لرشيد البصري في حماسته ٢١٧. وهذه رواية الأغاني للقطعة المختطلة مع قصيدة الأغلب، والشطر الثامن من حماسته أبي تمام.

=

= ١ ـ هكذا أوان الشد فاشتدي زيم
٢ ـ ليس براعي إبل ولا غنم
٣ ـ ولا بجزار على ظهر وضم
٤ ـ نام الحداة وابن هند لم ينم
٥ ـ بانت يقاسيها غلام كالزلم
٦ ـ خدلج الساقين خفاق القدم
٧ ـ قد لفها الليل بسواق حطم
٨ ـ من يلقني يود كما أودت إرم

وابن الشجري في حماسته ١: ١٤٤ ضم بعضاً من هذه الأبيات إلى قصيدة الأغلب العجلي. وقد ارتأيت حذفها من القصيدة لإجماع الرواة عداه على نسبتها لرشيد بن رميض العنزي كما أنَّ القصة التي رواها صاحب الأغاني حول ابن هند وغزوته لليمن والقصيدة قيلت فيه تؤكد نسبتها لرشيد لا إلى الأغلب.
ويروي أبو الطيب في كتاب الإبدال ٢: ٨٩ عن أبي عبيدة أنَّ قسماً من أبياتها يعود إلى يحيى بن منصور، وهذه هي الأبيات حسب رواية أبي عبيدة: ـ

١ ـ كانت تميم معشراً ذوي كرم
٢ ـ غلصمة من الغلاصم العظم
٣ ـ ما جنبوا ولا تولوا من أمم
٤ ـ قد قابلوا لو ينفخون في فحم
٥ ـ جاؤوا بزوريهم وجئنا بالأصم
٦ ـ شيخ لنا كالليث من باقي ارم
٧ ـ شيخ لنا معاود ضرب البهم

ويعترض ابن بري على رواية أبي عبيدة فيقول «وقد وجدت هذا الشعر للأغلب في ديوانه كما ذكره الجوهري» / ينظر الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢: ٨٩ وعند تثبيت القصيدة معزوة إلى الأغلب أخذتها برواية ابن بري لأنه قرأ ديوان الأغلب واطلع عليه بنفسه ووجد تلك الأبيات له. أما ما خالف رواية ابن بري وجاء على رواية أبي عبيدة فقد احترزت من نسبته للأغلب واعتبرت رواية أبي عبيدة ونسبته تلك الأبيات إلى يحيى بن منصور قد تكون سليمة لأنه في النقائض يجوز تتبع أبيات الشاعر وتثبيتها في نقيضتها مع الرد وهذا ما وقع ليحيى فيجوز أنه تتبع أبيات الأغلب وثبت =

٤ ـ شيـخ لنـا كـالليثِ من بـاقي إرم

٥ ـ قـد كـدمَ الشيـبُ قفـاه فـكـدم

٦ ـ شيـخ لنـا معـاودٍ ضَـرْبَ البُهَمْ

٧ ـ مـؤيـدِ الـخُـلْقِ إذا هَـمَّ عَـزَمْ

٨ ـ يُمكِّنُ السيف إذا الـرمـحُ انفصمْ

٩ ـ كـهـمّـةِ الـليـث إذا ألـليـث هَـمْ

١٠ ـ فـدىً لـه من طـالبٍ خـالي وعم

١١ ـ إذ ركبت ضـبّـةُ أعجـازَ الـنّعَـمْ

١٢ ـ فلم تـدعْ سـاقـاً لهـا ولا قـدَمْ

١٣ ـ ولّـوا سـلالاً واتقـونـا بـالحُـرَمْ

. . . .

٤ ـ في العقد الفريد ٥: ٢٠٧ لنا قد كان من عهد ارم. وفي شرح الأنباري للقصائد السبع الطوال ٤٩٢ شيخ لنا كان على عهد ارم. وفي فصل المقال ٨٤ شيخ قديم العهد من عهد ارم وفي سمط اللآلي ٢: ٨٠١ شيخ لنا قد كان من عهد ارم.

٦ ـ في حماسة ابن الشجري ١: ١٤٤ قتل البهم.

٨ ـ في العقد الفريد ٥: ٢٠٧ فكر بالسيف. وفي الكامل ١: ٦٠٥ يضرب بالسيف. وفي السمط ٢: ٨٠١ يكر بالسيف إذا الرمح انقعم يكر بالرمح إذا الرمح انحطم.

= نقيضها من نظمه. والتضمين في الشعر جائز.

وفي الختام أعتقد أنَّ القصيدة رقم ـ ٤ ـ بجميع أبياتها المثبتة من (١ ـ ٢٠) تعود للأغلب العجلي لإجماع الرواة على نسبتها له. أما ما خالفها حسبما جاء في رواية ابن الشجري فهي ليست له، وكذلك بعض الأبيات على رواية أبي عبيدة هي ليست له أيضاً بل ليحيى بن منصور.

١٤ ـ واستمطروها ديماً بعد دِيَمْ

١٥ ـ يوماً فجاءتهم شآبيب بدم

١٦ ـ كانت تميم معشراً ذوي كرم

١٧ ـ غلصمة من الغلاصيم العظم

١٨ ـ هل غيرُ غار صكَّ غاراً فانهزم

١٩ ـ قد قاتلوا لو ينفخون في فحم

٢٠ ـ وصبروا لو صبروا على أَمَمْ

....

١٧ ـ في العقد الفريد ٥ : ٢٠٧ والإبدال ٢ : ٨٩ واللسان والتاج (غلصم) غلصمة من الغلاصم.

١٨ ـ في اللسان رقم، هل غير غار هد غارا فانهدم.

١٩ ـ في فصل المقال ٨٤ نفختم لو تنفخون في فحم، وفي شرح الصولي لديوان أبي تمام ٣٥٠ وماتلوا

* * *

ـ ٥ ـ

قال الأغلب العجلي:

١ ـ عند الصباحِ يحمدُ القومُ السُّرَى(١)

* * *

---

(١) ذكر أبو عبيدة أنَّ هذا المثل للأغلب.

وقال محمد بن حبيب وغيره من علماء البصريين أنَّ أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رحمه الله وهو باليمامة أن سر إلى العراق... وفي الليلة الرابعة من المسير قال رافع بن عمير الطائي: انظروا هل تروا سدداً عظيماً، ما إن رأيتموها وإلا فهو الهلاك ـ وبعد رؤيتها تجمعوا على الماء فقال خالد: ـ

١ ـ لله در رافع أنى اهتدى =



=

٢ ـ فوز من قراقر إلى سوى

٣ ـ خمساً إذا صار بها الجيش بكى

٤ ـ ما سارها من قبله إنس يرى

٥ ـ عند الصباح يحمد القوم السرى

٦ ـ وتنجلي عنهم غيابات الكرى

أعتقد أن المثل للأغلب لاشتهاره بالأمثال والحكم لا سيما في أخريات حياته ويجوز أن يكون خالد قد ضمَّنه القطعة التي رواها ابن حبيب.

تخريج القصائد والقطع

ـ ١ ـ

من ١ ـ ٧ في المؤتلف والمختلف ٢٣. والأشطار من ١ ـ ٦ في هامش كتاب الأمالي لليزيدي ص ١٠٠ وفي خزانة الأدب ١: ٣٣٣.

ـ ٢ ـ

الأشطار (١، ٢، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٢، ١٣) في المستقصي ٢: ٢٢٨ ـ ٢٢٩ منسوبة للعجفاء بنت علقمة خطأً. والشطران (١، ٢) في المقتضب ٢: ٣١٥ في المتن والحاشية وفي اللسان مادة (ثعلب). والأشطار (١، ٣، ٤، ٦) في التاج مادة (خلل، حلي). والشطران (١، ٣) في ضرائر الشعر ١٦٥ وفي التاج مادة قعب. والشطر (١) في الكتاب لسيبويه ٣: ٥٠٥.

والأشطار من (٢ ـ ١٣) عدا الشطر (١١) في الخزانة ١: ٣٣٢. والأشطار (١١، ١٢، ١٣) في فصل المقال ١٨٣ وينسبها مرة للأغلب وأخرى للعجفاء خطأً.

والشطر (١٣) في جمهرة الأمثال للعسكري ٢: ١٤٢ وينسبه للعجفاء وفي أمثال الميداني ٢: ١٣٤ وينسبه للعجفاء أيضاً.

ـ ٣ ـ

الأشطار كلها في الوحشيات ١٩٧.

ـ ٤ ـ

الشطران (١، ٣) في المعاني الكبير ٥٣، والشطران (٢، ٣) في المعرب واللسان (مصع).

ـ ٥ ـ

الأشطار (١، ٢، ٣) في جمهرة ابن دريد ١٥٣ وفي المعرب (جلع) واللسان (جَرَّ، جرر) وبين روايتي المعرب واللسان اختلاف وتنسب في المعرب برواية الصاغاني لدكين وهو وهم.

والشطران (٢، ٣) في معجم مقاييس اللغة (جرَّ).

ـ ٦ ـ

الشطران في التاج لمادة (ذبب) وينسب أيضاً لدكين.

ـ ٧ ـ

الشطر في اللسان مادة (ذلعب) ويرويه الصاغاني ببعض الاختلاف وينسبه لدكين.

ـ ٨ ـ

الشطران في جمهرة اللغة لابن دريد ٣١٨ وفي البارع في اللغة ٢٧٣.

ـ ٩ ـ

الشطر في التاج مادة (فكَّ).

ـ ١٠ ـ

الشطر في خلق الإنسان ٣٢١.

ـ ١١ ـ

الشطران في الحور العين ٩ وفي اللسان (ترب) وفي التاج (نتب) الشطر الأول (١) في مقاييس اللغة ١ : ٣٤٧.

ـ ١٢ ـ

الأشطر (١، ٢، ٣) في اللسان (صرى) والشطران (١، ٢) في مقاييس اللغة ٢ : ٣٨٧.

ـ ١٣ ـ

البيت بشطريه في طبقات ابن سلام ٥٧٢ وفي المعرب شمط وفي الأغاني ٢١ : ٣٢.

ـ ١٤ ـ

الأشطر (١، ٢، ٣) في اللسان (مقط) والشطر (٣) في المعرب (قعط).

وقال في اللسان (أطط) قال الأغلب وذكر الشطر الأول وقالٌ: قال ابن بري هو للراهب واسمه زهرة بن سرحان وسمي الراهب لأنه كان يأتي عُكاظ فيقوم إلى سرحة فيرجز عندها ببني سُليم قائماً فلا يزال ذلك دأبه حتى يصدر الناس عن عكاظ وكان يقول وذكر الشطرين.

ـ ١٥ ـ

الشطران في تاج العروس مادة (شدح).

ـ ١٦ ـ

البيت بشطرين في المعرب ـ صمد ـ

ـ ١٧ ـ

البيت في المعرب (كرف) وفي اللسان والتاج (ملح).

— ١٨ —

الشطر في اللسان (كدح).

— ١٩ —

الشطر في حيوان الجاحظ ٢ : ٢٨٠ وفي كتاب خلق الإنسان ٢٩٥.

— ٢٠ —

ورد الشطران مختلفين من حيث الترتيب فالشطر (١، ٢) في طبقات ابن سلام ١١٣ وشرح القصائد السبع للأنباري ٤٩٢ وفي رواية ثانية للأغاني ٢١ : ٣٣ وفي الإصابة ١ :٢٦ وفي الفرائد الغوالي ١٢٩. والشطران (١،٢) في أمالي اليزيدي ١٠٠ وفي الأغاني ٢١ : ٣٣ وفي الخزانة ١ : ٣٣٧.

— ٢١ —

الشطر في اللسان مادة (حمض).

— ٢٢ —

البيت في التاج مادة (ثرى).

— ٢٣ —

الأشطر (١، ٢، ٣، ٤) في المستقصى للزمخشري ٢ : ٣٦٣ والشطران (٤، ٥) في فصل المقال المتن والهامش ٢٢٠.

— ٢٤ —

الأشطار (١، ٢، ٣) في السمط ٢ : ٩٣٦ وفي المعرب واللسان (وقر، قور، هجر) والشطران (١، ٢) في المعاني الكبير ٤٧٥ ومقاييس اللغة ٥ : ٨٠ وفي المخصص ٧ : ١٣٣ وفي اللسان والتاج (انن) و (وكر).

- ٢٥ -

الشطران في مقاييس اللغة ١: ١٢ وفي المعرب (أرَّ) واللسان (أرر).

- ٢٦ -

الشطران في اللسان (حير).

- ٢٧ -

الشطران في اللسان (جرر).

- ٢٨ -

الأشطار بأجمعها من (١ - ١٠) في الحماسة الشجرية ١: ١٤٦ ومنه أخذ عمر فروخ في كتابه تاريخ الأدب العربي ٢٧٤.

- ٣٠ -

الشطر في اللسان (فثر).

- ٣١ -

الشطر في اللسان (شرص).

- ٣٢ -

الشطران في المعرب واللسان مادة (دلص).

- ٣٣ -

الأشطر (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦) في شرح شواهد المغني عن شرح الزمخشري لكتاب سيبويه ٨١١. والأشطار نفسها في الخزانة رواية ابن الأعرابي اعتبرها من شوارد الرجز ٢: ١٦٩. والأشطار (٣، ٤، ٥، ٦) في المعمرين ٨٧ وفي البيان والتبيين ٣: ٥٨٦ وفي الأغاني ١٨: ٢١. والشطران (٣، ٤) في المقتضب ٤: ١٩٩ - ٢٠٠ ينسبها خطأ للعجاج وفي

شرح شواهد المغني برواية البكري ٨٨١.

ـ ٣٤ ـ

الشطران في اللسان (قرض).

ـ ٣٥ ـ

الشطران (١ ، ٢) في جمهرة اللغة لابن دريد ١٨٤ ، والشطر (٢) في المعرب (علط).

ـ ٣٦ ـ

الأشطار (١ ، ٢ ، ٣) في المعرب (زحف).

والأول والثاني في اللسان (زحنقف).

ـ ٣٧ ـ

الشطر في الكامل لابن الأثير ١ : ٦٠٦.

ـ ٣٨ ـ

الأشطار (١، ٢، ٣، ٤) في الحماسة الشجرية ١ : ١٤٢ ـ ١٤٣ وعنه نقل عمر فروخ في تاريخ الأدب العربي ٢٧٤.

ـ ٣٩ ـ

الشطران (١ ، ٢) في الإصابة ١ : ٥٦. والشطر (١) في فصل المقال ٣٢٣. ٣٦.

ـ ٤٠ ـ

الشطر في جمهرة الأمثال ١ : ٢٦٤ وفي أمثال الميداني ١ : ٥٠٢ وفي المستقصى للزمخشري ٢ / ١٣٠.

ـ ٤١ ـ

الشطر في أضداد أبي الطيب اللغوي ١: ٤٩.

ـ ٤٢ ـ

الشطران في مقاييس اللغة ٢: ٣٦٦.

ـ ٤٣ ـ

الأشطار (١، ٢، ٤) في المستقصى للزمخشري ٢: ١٤٢.
والشطران (٣، ٤) في معجم مقاييس اللغة ١: ١٥٩ مع وجود اختلاف في الراوية.

ـ ٤٤ ـ

البيت بشطريه في المعاني الكبير ٥٣٥.

ـ ٤٥ ـ

البيت بشطريه في اللسان (خدل).

ـ ٤٦ ـ

البيت بشطريه (١، ٢) في التاج (ردن) والشطر (١) في مقاييس اللغة ٢: ٥٠٥.

ـ ٤٧ ـ

الشطر في اللسان (خضم).

ـ ٤٨ ـ

الشطر في اللسان (فغم).

ـ ٤٩ ـ

البيت بشطريه في كتاب خلق الإنسان ٣١٣.

البيت في اللسان (دوم).

ـ ٥١ ـ

الشطران (١،٢) في كنز الحفاظ ٨٨والشطران (١، ٣) في اللسان مادة (نسم) وفي التاج (دوم، نسم) والشطران الثاني والثالث في اللسان (نسم).

ـ ٥٢ ـ

الأشطار كلها في اللسان مادة (رعن).

ـ ٥٣ ـ

الشطران (١، ٢) في كتاب خلق الإنسان ٢٨٦ وفي اللسان (ثنن).

ـ ٥٤ ـ

الشطر في اللسان (غمن).

ـ ٥٥ ـ

الأشطار (١، ٢، ٣، ٤، ١٢، ١٣) في الفاخر ٢٥٦.

والشطران (٥، ١٣) في معجم مقاييس اللغة ١: ٤٥، ٤: ٣٩٣ وفي فرائد اللآلي ٤٥، والشطران (٦، ٧) في المعرب (ولغ)، والأشطار (٨، ١٠، ١١) في معجم البلدان ٢: ١٣. والأشطار (٩، ١٠، ١٣) في معجم ما استعجم البكري ١: ٤٠٥ والأشطار (١٣، ١٤، ١٥) في المستقصى للزمخشري ٢: ١٧٨ والشطران (١٣، ١٤) في الإصابة ١: ٥٦، والشطر (١٣) في شروح سقط الزند ٧١٤.

— ٥٦ —

الشطر في اللسان (فود).

— ٥٧ —

الشطران في المعرب (غرر) وفي التاج (حمل).

— ٥٨ —

في المستقصى للزمخشري الأشعار (١، ٢، ٣).
والشطر (٣) في جمهرة الأمثال ١ : ٤٩ وفي أمثال الميداني ١ : ٧١

— ٥٩ —

الأشطار (١، ٢، ٣، ٤، ٥) في ضرائر الشعر المتن والهامش ٢٠١ وفي الخزانة ٢ : ٢٥٨ والشطران (٤، ٥) في معاني القرآن للفراء ٢ : ٧٦ في شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ٢ : ٧٧٦ وفي الضرائر ٢٠١.

— ٦٠ —

الأشطار من (١ - ٣١) في طبقات فحول الشعراء ٥٧٣ و ٥٧٤، والأشطار (١، ٢، ٣، ١٢، ١٣) في اللسان (ودى - وزى) والأشطار (١، ٢، ٥، ٧، ٩، ١٢، ١٣) في التاج (ودى، وزى) والأشطار (١، ٣ إلى ٢٦) في الأغاني ٢١ : ٣١ وفي المختار ٢ : ٣٧ - ٣٨. والشطران (٩، ١٥) في جمهرة ابن دريد ٣٠١. والأشطار من (١٢ - ٢٧ - ٣١) في فصل المقال ٢٢٠ والأشطار (١٢، ١٣، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١) في جمهرة الأمثال للعسكري ٢ : ١٨٥. والشطر (١٢) في توجيه إعراب أبيات ملغزة الأعراب ١٠٤. والأشطار (٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣١) في أضداد أبي الطيب اللغوي ٣٨٧. والأشطار (٢٥، ٢٦،

٢٧) في المستقصى ٢: ٢٩٦ والشطران (٢٥، ٣١) في المعرب مصك والشطر (٣١) في اللسان (صطك).

— ٦١ —

الشطران في اللسان (غفا).

(تخريج الأبيات في القصائد والمقاطع المنسوبة له ولغيره).

— ١ —

الأشطار (١، ٢، ٣، ٤) في شرح أدب الكاتب ٣٢١.

والأشطار (١، ٢، ٥، ٦) في حيوان الجاحظ ٢: ٢٨٠ منسوبة في الهامش إلى عمرو بن العاص.

— ٢ —

الشطران في ديوان العجاج وهما في شعره تحت تسلسل ٢٧، ٢٨ ص ٧٨ وفي كتاب الأضداد لأبي الطيب اللغوي ١: ٥٣٠ منسوبة خطأً للأغلب.

— ٣ —

الأشطار (١، ٢، ٣) في شروح سقط الزند ٢: ٦٧٧ وفي همع الهوامع المتن والهامش ٢: ١٦. والشطر (١) في تفسير التبيان ٧: ٢٠ وفي متن همع الهوامع ٢: ١٦.

— ٤ —

الأشطار (١، ٢، ٣، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠) في اللسان (فجخجخ) زور، غلصم، فحم والأشطار (١، ٣، ٤، ٦، ٨، ١٨) في الكامل لابن الأثير ٦٠٥ـ٦٠٦ مجلدا الشطر (١) في الشعر والشعراء ٢: ٦١٧ وفي المعارف ١٠٩ غير منسوب، وفي المقاييس ١: ٤٧. والأشطار (٣٤، ٥)

في شرح القصائد السبع للأنباري ٤٩٢.

والأشطار (٣، ٤، ٦) في الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢: ٨٩ والأشطار (٣، ٤، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠) في العقد الفريد ٥: ٢٠٧ والأشطار (٣، ٤، ٨) في السمط ٢: ٨٠١ والشطر الذي يليه مكرر عنه عدا كلمة الرمح مكان السيف في الشطر الأول.

الأشطار (٣، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٩) في الحماسة الشجرية ١: ١٤٤ مع أبيات أخرى اختلطت بالقصيدة وهي ليست للأغلب فأخرجتها من القصيدة. والأشطار (٣، ٦، ١٩) في شرح الصولي لديوان أبي تمام ٢: ٣٥٠ والشطر الثالث في اللسان (زور) منسوب للأغلب العجلي، وقال صاحب اللسان، قال ابن بري قال أبو عبيدة معمر بن المثنى إن البيت ليحيى بن منصور وأنشد قبله أربعة أشطار.

والشطران (١٦، ١٧) في اللسان (غلصم) منسوبان للأغلب والأشطار (١٨، ١٩، ٢٠) في اللسان (فحم) منسوبة للأغلب.

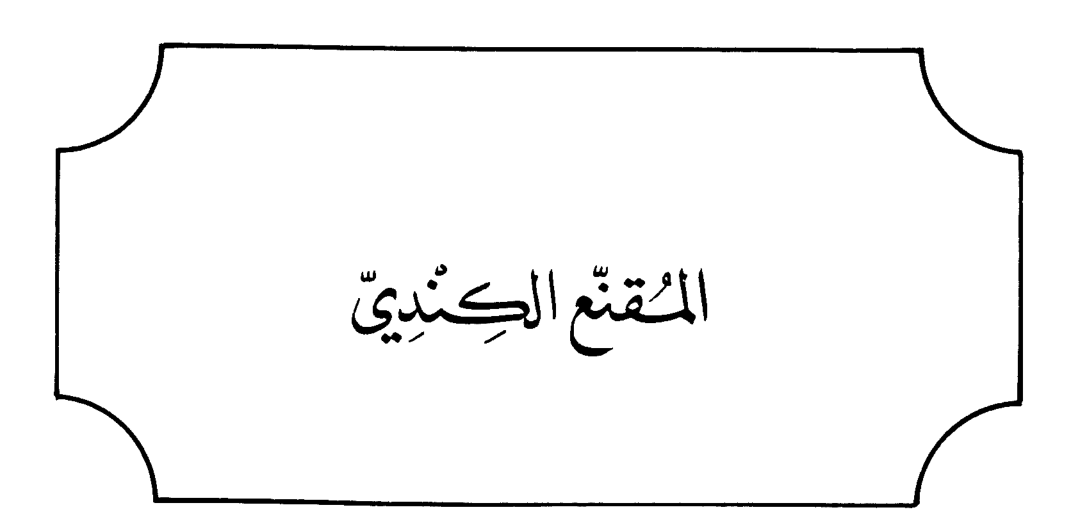
وفي شرح التبريزي لنفس الديوان ٣: ١٨٨. الشطر (٦) في كتاب المعاني الكبير ٨٢٦ والأشطار (١٦، ١٧، ١٩، ٢٠) في التاج (غلصم، فحم).

— ٥ —

الشطر في أمثال الميداني ٢: ١٧٤ غير منسوب وفي فصل المقال ٢٦٦ ثم يذكر برواية أبي عبيدة نسبة المثل لخالد بن الوليد مع الأشطر الخمسة الأخرى التي أثبتها في هامش المثل لعدم اتفاق القصة مع زمن الأغلب والحادثة وقعت بعد موته.

* * *





المُقنَّع الكِنْديّ



حياته وشعره

من الشعراء الذين غلبت عليهم ألقابهم وهم كثر شاعرنا المُقَنَّع الكندي الذي أجمع مترجموه على أنه لقِّب بهذا اللقب لأنه أحدُ ثلاثة كانوا لا يردون مواسم العرب إلا مُقنَّعين، يسترون وجوههم حذراً على أنفسهم من النساء وخوفاً من العين وهم أبو زبيد الطائي والمقنع الكندي ووضَّاح اليمن[1] ويدخل أبو زبيد الطائي وهو أحد الثلاثة الذين عرفوا بهذه الصفة في دائرة أخرى ومع مجموعة ثانية في صفة مشتركة تقرب من هذه الصفة في بعض جوانبها، فقد ذكر المبرد أنه كان موصوفاً مع جماعةٍ قد بذوا الناس طولاً وجمالاً، منهم العباس بن عبد المطلب رحمه الله وولده، وجرير بن عبدالله البجَلي، وزيد الخيل بن مُهلهل الطائي. ثم يقول: وكان أحد هؤلاء يُقبل المرأة على الهودج، وكان يقال للرجل منهم مُقبِّل الظُعُن[2].

ويشير ياقوت إلى طوله فيقول: وكان أبو زبيد طوالاً من الرجال ينتهي إلى ثلاثة عشر شبراً ويذكر حسن شكله فيقول: «وكان حسن الصورة فكان إذا دخل مكة دخلها متنكراً لجماله[3]. وقال ابن قتيبة: كان المقنع الكندي

---

(١) ابن معصوم أنوار الربيع ٢/٣٥٧.

(٢) انظر المحبر لابن حبيب /٢٣٢ والكامل للمبرد ٢/٤٥٩.

(٣) ياقوت إرشاد الأديب ٤/١٠٧.

من أجمل الناس وجهاً وأمدّهم قامةً وكان إذا سفر عن وجهه لُقِعَ: أصيب بالعين، فكان يتقنّع دهره فسمي المقنع[1].

وتبقى الصفة الجمالية لهذا الشاعر ولغيره من الشعراء تتحكم في ذوق قارئية إعجاباً وتطلعاً، وتبقى معها أخبار الإعجاب، ومبالغات الأقوال، وزيادات الروايات مصاحبة لهذه الصفة ولغيرها من الصفات لتنطلق أخباراً عريضة، وقصصاً مروية وحكايات طويلة تستغرق أحداثاً، فتعلق في ذهن الأجيال حكاية المقنع وما يمكن أن يتعرض له من مضايقات أو تفرض عليه من التزامات حرصاً عليه من جانب، وحماية للمجتمع من جانب آخر، وصوناً لما يمكن أن يصان من تقاليد. ولكن المقنّع الكندي وكل الذين دخلوا في دائرة الحديث عن هـذه الصفات، يـظلون محكمين بضوابط الحفـاظ على مـا يقيهم أخـطار رفـع القنـاع، ويلحقهم من أذى بسبب العين التي تصيبهم. إذا سفروا اللثام عن وجوههم.. والمقنّع شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية. كان له محمل كبيرُ وشرف ومروءة وسُؤدد في عشيرته.

فالشاعر في حدود الخصائص التي وصف بها تدل على جمال في الشكل وكمال في الخلقة وحسن في الوجه وهي تتعلّق بالجانب الشكلي والجمالي، وإذا رجعنا إلى منزلته وجدناها تنسجم مع كل هذه الخصائص فهو صاحب مروءة وشرف وله مكانة مرموقة في عشيرته. وكلها توحي بهذا التوافق.

إن إجماع المصادر التي ترجمت له على تأكيد هذه الصفات والاكتفاء بهذه الصيغة من الترجمة تؤكد اعتماد الكتب التي ترجمت له على مصدر قديم هو كتاب الشعر والشعراء الذي اختزل حياته بسطرين فقال:..

هو محمد بن عُمَيْر من كندة وكان من أجمل الناس وجهاً، وأمدّهم

---

(١) وينظر الأغاني ١٧/ ٦٠.

قامةً فكان إذا كشف عن وجهه لُقِعَ، أي أصيب بالعين فكان يتقنّع دهرَه فسمّي المقنّع[1] وقال أبو الفرج.. المقُنّع لقب غلب عليه لأنه كان أجمل الناس وجهاً، وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين[2] ثم قال: كان المقنَّع أحسن الناس وجهاً وأمدَّهم قامة وأكملهم خَلْقاً، فكان إذا سفرَ لُقِعَ أي أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت، فكان لا يمشي إلا مقنعاً.

وتأتي ترجمته في الوافي بالوفيات[3] مطابقة إلى حدٍّ بعيد لترجمته في الأغاني إلا في بعض الزيادات التي لا نراها في نسبه عند صاحب الأغاني.

وتظل بقية الكتب التي تترجم له أو تقف عند بيت أو قطعة تستشهد بها مكتفية بلقبه وببعض الجمل القصيرة التي لا تخرج عن الجمل التي ترجمت له في المصادر الأساسية[4]، وإذا تجاوزنا اسمه وهو محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر إلى عبدالله بن الحارث الذي سمِّي با (الولّادة) لكثرة ولده، انتهت قائمة الأسماء بيعرب بن قحطان، وهو من بيت شرف وسؤدد. مُعمير جده سيد كندة، وكان عمه عمرو بن أبي شَمر ينازع أباه الرياسة ويساجله فيها فيقصّر عنه. وهي إشارة تحدد لنا بيته الذي نشأ فيه، ومجده الذي لازمه.

وهنا تسقط بعض الترجمات أسماء في نسبه وتختلف في بعضها الآخر ولكنها تجمع على أنه من كنده، وهو من بيت له مكانته وجدُه سيدها[5]، وينقل صاحب الأعلام رواية[6] فريدة عن كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين

(١) ابن قتيبة. الشعر والشعراء /٧٢٩.

(٢) أبو الفرج. الأغاني ١٧/٦٠.

(٣) الصفدي. الوافي بالوفيات ٣/١٧٩.

(٤) ينظر خزانة الأدب للبغدادي وشرح شواهد المغني ٣/١٠٣.

(٥) ينظر الشعر والشعراء /٧٢٩ والأغاني ١٧/٦٠ وسمط اللآلي ١/٦١٥ والصفدي ٣/١٧٩ وشرح شواهد المغني ٣/١٠٤.

(٦) الزركلي ٦/٣٢٠.

ينسبه فيها إلى حضرموت وأن مولده كان في «وادي دوعن».

ويشير في الهامش نقلاً عن المصدر نفسه وكانت ولادته سنة خمس وستين ووفاته نحو سنة مائة وثمان وعشرين وهي رواية أخرى فريدة لا يمكن الاعتماد عليها لأن الأحداث التاريخية تؤكد وفاته قبل هذا التاريخ، وقد أشار إلى هذا الوهم الأستاذ الزركلي في الهامش وقال كلا التاريخين خطأ. وفسّرت بعض مصادر شعره لقبه تفسيراً لغوياً بحتاً فذكروا أنَّ المقنَّع هو الرجل اللابس سلاحه، وكلّ مغطٍّ رأسه فهو مقنع وهذا لا يعني أن اللقب اقترن بهذه الصفة ولكن شرَّاح أسماء شعراء الحماسة وخاصة ابن جنى ومن أخذ عنه صنعوا في هذا الضرب كتاباً عرضوا فيه لشرح الأسماء شرحاً لغوياً فنقله التبريزي وهو يقدم لقصيدته[1] ولكنه لم يغفل السبب الحقيقي الذي ذكره فقال وزعموا أنه كان جميلاً يستر وجهه لجماله فقيل له المقنع[2]. وعرض لهذا الشرح اللغوي صاحب التاج وأوجز نسبه[3].

إنَّ انتساب الشاعر إلى كندة ونشوءَه في أسرة لها مقام الرئاسة، وفي بيت عرف المجد والسؤدد، لا بد أن يكون له أثره في تربيته وسلوكه، طبائعه وخلقه. ولعلَّ صفة الكرم التي عرف بها، وسماحة اليد التي حالت دون تحقيق أمله في الظفر بمن أراد الاقتران بها ـ كما تقول الروايات ـ واستجابته لكل سائل، وإتلافه كلّ ما خلّفه له أبوه من مال، هذه الصفات التي نشأت مصاحبة لنشأته ومتوافقة مع ميوله وسلوكه كانت وجهاً آخر من وجوه شهرته، وسبباً من أسباب اتجاهه الشعري الذي فجَّر في نفسه أسباب الدفاع عن هذا السلوك، وعوامل المواجهة لمن يلومه عليه فكانت قصيدته التي يردّ فيها على الذين ينعون عليه سرفه في الإنفاق،

---

(١) التبريزي. شرح ديوان الحماسة ٣/١٠٠.

(٢) التبريزي شرح ديوان الحماسة ٣/١٠٠.

(٣) تنظر مادتي [فرع] و[قنع] في التاج.

وتخرّقه في الإفضال، وتجاوُزُه ما تُساعِدُه به حاله، وتتسعُ له ذات يده إلى الاستقراض وبذل الوجه في الأدِّيان لأنه يؤمن بأن الأموال التي يصرفها هي مصروفة في وجوهٍ مُؤَنُها عليه أو جمالُها لهم، وإن قضاءَها في أنفسِها يَلزَمُه هو، ومحامدُها موفَّرة عليهم، وهو يؤكد أن وجوهها حقوق يُخلّون بها ويضيِّعونها عجزاً عن الوفاء بواجبها، فينبري لسدِّ ثغورها، وإقامة فروضها، فداره مهينة لاستقبال الضيفان، وقدورها مُشبَّعة موفورة، وجفانُها مُعَدَّة منصوبة، لا يُمنع منها طالب، ولا يُحجب عنها رائد، ومن كرم نفسه وعلو خلقه، جعلها لُحمها إكليلاً لجفناته بعد أن نُمِّق ثريدها، وهي فلسفة سبقه إليها حاتم الطائي، وعروة بن الورد وكل الرجال الذين آمنوا بفضيلة الكـرم خلقاً، والجود عطاءً، ورفع الحيف عن كل محتاج واجباً إنسانياً. على أنَّ هذه الخصال كانت تكمل بواجهة أخرى من واجهات الفروسية وهي الحديث عن فرسه الذي أعدَّه للمهمات، وخصَّه بفيض من كرَّمه موفَّر عليه من يخدمه ويتفقده، زيادةً في الحرص عليه واستكمالاً لمستلزمات الفرسان.

ويتصل بهذا السبب سبب آخر يشغل جانباً من حياته، فالروايات تذكر أنه هوى بنت عمه عمرو فخطبها إلى أخوتها فردُّوه وعيَّروه بتخرّقه وفقره وما عليه من الدين، والرواية تحتاج إلى تأمل لأن التعبير بهذه الصفة غير وارد، والذم بالفقر وهو من أبناء عمومتهم غير مألوف ومحاولة استنباط حياته من خلال مفردات القصيدة وتحديد علاقته بأبناء عمه في ضوء الاعتبارات التي وقف عليها محاولة فيها تعسف. لأن ظاهرة الحديث عن ابن العم وفي إطار هذه المعاني، ليس مسألة جديدة في الشعر العربي، وقد اتخذوا من هذه الصورة واجهة للحديث عن إحساس نفسي وتعبير اجتماعي، ووضع تقليدي التزم به الشعراء وعبَّروا عنه، وأفرغوا فيه كثيراً من معاناتهم النفسية وقد وجدوا في ابن العمّ الصورة المطلوبة والسند المعتمد لمخاطبته، وقد بذل الشعراء مجهوداً في تأكيد صفة الالتزام عندهم وجردوا مخاطبيهم منها وفي قصيدة (ذو الإصبع العدواني) التي نسبت إلى خفاف بن ندبة خطأً وغيرها

من القصائد التي نحا فيها الشعراء هذا المنحنى دليل على هذا الاتجاه الشعري الذي أصبح صورة للتعبير عن الذات.

وفي قصيدة الزبرقان بن بدر التميمي[1] وقصيدة معن بن أوس المزني[2] وإسماعيل بن يسار[3] إشارات واضحة إلى هذا الاتجاه والشعراء فيها يسلكون هذا المسلك وأبناء العم هم المقصودون في أحاديث الشعراء وهذا ما حملني على أن أذهب في تفسير الظاهرة هذا المذهب. وأفرد البحتري في حماسته أربعة أبواب مخصَّصة لهذا الباب[4] وفيها أحاديث قريبة أو مفصلة لما وقف عنده المقنع في قصيدته. وإذا كان المؤرخون القدامى قد فسَّروا مناسبات القصائد وقدموا لها بمقدمات تاريخية، مستمدين مادتهم التي قدموا بها من المعاني التي أوردها هؤلاء الشعراء، وبنوا عليها آراءهم وحدَّدوا معالم حياتهم في ظل المعاني الواردة، فإنَّ النتيجة التي ينتهي إليها الباحث في بعض الأحيان تكشف أنَّ هذه المقدمات لا تتطابق من حيث التوجه أو السلوك أو المجرى العام لحياة الشاعر مع ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون.. والأرجح أنها مقدمات تاريخية اضطر إلى تقديم القصائد بها بعد أن ذهب الزمن بالمناسبة ـ إن وجدت ـ ونحن نعلم أنَّ كثيراً من هذه القصائد كانت تعبيراً عن إحساس داخلي وتعبيراً وجدانياً تجد في هذه القنوات تنفيساً عن كُربها، ومجالاً للتعبير عنها.. فالضياع الذي يلف هذه المناسبة أو يبعدها عن عصر التدوين أو يطويها عن أنظار الرواة تركت الخيال مفتوحاً أمام تقديمها بهذه المناسبة التاريخية التي تعطي الحدث صورة من الوجاهة، وتضيف إلى حياة المؤرخ له لوناً يضفي عليها تألقاً وحركة.. إن محاكمة المناسبة التي تقدم بها بعض هذه القصائد تكشف عن

---

(١) البحتري. الحماسة /٢٣٩.

(٢) شعر معن بن أوس.

(٣) البحتري. الحماسة ٢٤٢، ٢٤٣.

(٤) تنظر الأبواب ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.

اختلال الموازنة، وتسقط أحداثها وتوضِّح حالة التضاد التي تعتري هذه الحياة..

إنها حالة تستحق المناقشة، وفكرة توجب على الدارسين أن يعطوا لها ما تستحق لأن أحكاماً كثيرة في إطار حقيقتها تسقط.

والمقنع كما تجمع مصادر ترجمته شاعر مقلٌ، وكما تؤكد هذه الحقيقة مصادر الأدب التي ترجمت له أو استشهدت بشعره أو وجدت في بعض أغراضه توافقاً مع نمط التآليف التي أخذت به. وقد انحصرت أغراضه في بعض قصائده المشهورة أو بعض إحساساته بالشيب والكبر ومعالجته لحالات نفسية كان يعانيها ويشعر بضغطها عليها وهو يعاني تجربة الحياة.. وفي إشارة البغدادي وهو يعقب على بيته المشهور..

نزل المشيب فأين تذهب بعده..

بأنه لم يقف على شعر المقنع من غير طريق أبي تمام. وهي صورة تكشف عن انحسار دائرة شعره بسبب قلَّته من ناحية وضيق محيط الاستشهاد به من ناحية أخرى. ومثل ما بقيت معالم شعره غير واضحة إلاَّ في هذه القطع المتناثرة التي ترسم قدرته الشعرية وتحدِّد وجوه إبداعه فيما قدَّمه فإن حياته الأسرية وتفاصيلها لم تعرف.

إن صيحاته الشعرية التي تحدث فيها عن «صاحب السوء»، و«دار الهوان» و«صالح الأعمال» و«أهل البخل» و«الشيب الثقيل» و«الجود الذي يُعطى من القليل» ترمز إلى قوة التأثير النفسي الذي تتركه هذه الصيحات في أعماقه لتتحول إلى مقطعات تتسرب من خلالها حالاته الحادة، ومشاعره الدافقة.. وهي تتبلور في إطار قصيدته الدالية التي بقيت صوتاً من أصوات الاستشهاد ونموذجاً من نماذج الشعر التعبيري عن دواخل الإنسان وهو يحس بالمرارة ويتجرَّع غصص التنكُّر.. وإذا كانت هذه القصيدة قد أوجد لها الرواة سبباً أو مقدمة استنبطوها باعتبارها حالة معاشة وهي ليست

كذلك، فإنَّ بقية قصائده جاءت خالية من هذه المقدمات، وخالية من المناسبة.

وتبقى قصيدته في مديح الوليد بن يزيد علامة بارزة في متاهات حياته التي لم تتميَّز فيها إشارة، ولم تتضح فيها رؤية محدَّدة.. فهو من شعراء الدولة الأموية. وإنه قالها بعد وفاة هشام والمعروف أنَّ هشام بن عبد الملك توفي سنة مائة وخمس وعشرين وهي السنة التي تولَّى فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك. إنَّ هذه السنة أو هذه المناسبة تعطي المؤشر الواضح في تحديد حياة المقنع. وتسكت الأخبار الأخرى عن إيضاح آيَّة إيماضةٍ تتعلَّق بحياته أو اتصالاته أو أفراد أسرته وهي حالة ليست غريبة بالنسبة لكثير من الشعراء الذين سكتت عنهم المصادر واكتفت بالحديث عن نسبهم والاستشهاد ببعض مقطعاتهم.

ولا بدَّ أن تأخذ قصيدة الشاعر التي مدح فيها الوليد بن يزيد اهتمام الباحثين لأن مقدمة القصيدة فريدة في بابها والموضوع الذي مهّد به لقصيدته أكثر غرابة، وأنَّ مقدمة القصيدة لا تمثل بدايتها وقد انفرد بذكرها الجاحظ وابتدأ بذكر الخط والحديث عنه وفي عشرة أبيات المقدمة يتحدَّث الشاعر عن الخط وجودته ومداده وأنواع أقلامه ووصف كل نوع منها ووسمه للحروف والرسم بالنقاط وهي إشارات أوَّلية إلى قواعد الخط العربي وأشكاله وطرق استخدامه وهيئة كل قلم، وإنَّ الحديث عن الهيئة الفنيَّة للخط العربي في هذه المرحلة يعطي صورة واضحة لما كان عليه الخط العربي والأنواع المستخدمة وهيئة النقاط التي تحدِّد قواعد الكتابة ويعرض الشاعر في البيت الرابع وما بعده إلى (الطرَّة) التي تستخدم في الكتابة فيذكر الصوف والسخام الذي يستخدم في المداد وبري القلم وقط الزوائد وشق الطرف المدبب شقاً ملائماً والمعروف أنَّ أنواع القط تحدد نوع القلم وما يكتب به لأن لكل قاعدة قلماً معيَّناً. وهذا ما عرفه أصحاب هذه الصنعة، ثم يتطرق إلى الحديث عن المستعجم الفصيح وهي كناية عن

القلم وأسرار قدرته على الإفصاح وأخيراً يلغز باسمه فيقول:

وهـــجــاؤه قــاف ولام بـــعــدهــا
ميـم مـعـلقــة بــأســفــل لامــه

والانتقال من هذا الحديث الفني الرائع والبراعة الذكية التي أرّخ فيها للنمط الخطي الذي عرف في بداية القرن الثاني. إلى الحديث عن المقنع. والناقة التي وهبها الوليد برحلها والفرس بسرجها ولجامها والقصيدة التي أهداها الشاعر إلى الوليد كالسيف حدَّةٍ وقطعاً بعد أن أضفى عليه من المآثر التي عرفت في قريش وولايته الخلافة بعد موت هشام.. هذه الانتقالات السريعة والتجميع الذي يبدو في حالاته غير متجانس تعطينا الفكرة التي أراد الشاعر أن يجمع فيها رموزه الذكية للتعبير عن إحساسه وهو يذكر الخليفة وامتلاكه لقدرة القلم بكل ما عرف عنه من ضروب وفنون وكرم ومآثر. ولكن تبقى المقدمة الفنيَّة التي تبدو لأول وهلة منقطعة عن الأصول، وغريبة في السياق الفني لقصيدة المديح ملفتة للنظر ومدعاة للدراسة لأنها صورة جديدة من صور الشعر العربي، ومطلع متفرد من مطالع قصيدة المديح في هذه المرحلة.



شعر المقنع الكندي

ـ ١ ـ

قال صاحب الأمالي: وقرأت على أبي بكر بن دريد للمقنَّع الكندي:

١ ـ يُعــاتبُني في الـدِّين قَــوْمِي وإنَّمـا
دُيُـونيَ في أشيـاءَ تكْسبُهُمْ حَمْـدا

٢ ـ ألم يَـرَ قـومي كيف أُوسِـرَ مَـرَّة
وأُعسِـرُ حَتَى تَبْلُغَ العُسْرَةُ الجَهْـدا

٣ ـ فمـا زادني الإقتـار منهم تَقَــرُّبـاً
ولا زادني فَضْلُ الغِنى منهُم بُعْدا

٤ ـ أسُــدُّ بـه مـا قـد أخَلُّوا وَضَيَّعــوا
ثُغُـورَ حقوقٍ مـا أطاقـوا لها سَـدًّا

٥ ـ وفي جَفْنَـةٍ مـا يُغْلَق البـابُ دونهـا
مُكـلَّلةٍ لــحـمــاً مُــدَفَّـقــةٍثَــرْدا

. . . .

١ ـ تكسبهم حمداً: أي تجلب لهم الحمد.

٤ ـ ثغور حقوق: أي مواضع الحقوق ومعناه: ضيعوا الحقوق نفسها.

٥ ـ مُكلَّلة أي عليها من اللحم مثل الأكاليل والدفق: الصبّ.

٦ ـ وفي فَـرَسٍ نَهْـدٍ عَتِيقٍ جَعلتُـه
حِجَابـاً لبيتي ثم أخْـدَمتُـه عَبْـدا

٧ ـ وإن الـذي بينـي وبيـن بنـي أبي
وبين بني عَـمِّي لَـمُخْـتَلِفٌ جِـدًّا

٨ ـ أراهم إلى نَصْـري بِـطاءً وإنْ هُمُ
دَعَـوْني إلى نَصْـرٍ أتيتُهُـم شَـدّا

٩ ـ فـإنْ يأكلوا لحمي وَفَـرْتُ لحُـومَهُمْ
وإنْ يَهْدِموا مَجْدي بنيتُ لهم مَجْدا

١٠ ـ وإنْ ضَيَّعوا غيبي حَفظْتُ غُيوبَهَمْ
وإن هُمْ هَوَوا غيِّي هَويتُ لهم رُشْدا

وليسـوا إلى نصـري سـراعـاً وإن هُمُ
دَعـوْني إلى نصـرٍ أتيتُهُـم شـدًّا

١١ ـ وإنْ زجَروا طيراً بنحسٍ تمـرُّ بي
زَجَـرْتُ لهم طيراً تمـرُّ بهم سَعْدا

١٢ ـ وإن هبـطوا غَـوراً لأمـرٍ يَسُؤني
طلعتُ لهم مـا يسـرُّهُمُ نـجـدا

١٣ ـ فـإن قدحـوا لي نارَ زنـدٍ يَشينُني
قَـدَحْتُ لهمْ في نار مكـرُمةٍ زَنْـدا

١٤ ـ وإنْ بـادَهـوني بـالعـداوةِ لم أكُنْ
أبـادهُهُمْ إلَّا بمـا ينعت الـرُّشـدا

---

٦ ـ النهد: الفرس العظيم. جعلته حجاباً لبيتي: إنه نصب عينيه وأكبر همه.

١٥ - وإنْ قَطعُوا منِّي الأواصر ضَلَّةً
وَصَلتُ لهم مُنِّي المحبة والودّا
١٦ - ولا أحملُ الحقدَ القديم عليهم
وليس كريمُ القوم من يَحملُ الحقدا
١٧ - فذلك دأبي في الحياة ودأبُهُمْ
سَجيسَ الليالي أو يُزيُرونني اللَّحدا
١٨ - لهمْ جُلُّ مالي إن تتابَعَ لي غنىً
وإنْ قَلَّ مالي لم أُكلِّفهُمْ رِفْدا
١٩ - وإني لَعْبدُ الضيفِ ما دامَ نازلاً
وما شيمةٌ لي غيرها تُشبهُ العَبْدا
٢٠ - على أنَّ قومي ما ترى عين ناظرٍ
كشيبهم شيباً ولا مُردهم مُرداً
٢١ - بفضلٍ وأحلام وجود وسُؤدد
وقومي ربيع في الزمان إذا شَدّا

. . . .

الأبيات ١ - ٩، ١٠، ١١، ١٦، ١٩ في أمالي القالي.

والأبيات الأول والثاني والثالث والسادس في السمط ١/٦١٥.

والأبيات ١، ٧، ٩، ١١ - ١٧ في حماسة البحتري /٢٤٠.

والأبيات ١، ٤، ٥، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٦، ١٨، ١٩. في شرح الحماسة للتبريزي ٣/١٠٠ - ١٠١.

والأبيات ١، ٤، ٥، ٦، ٩، ١٠، وبيت الزيادة ١١، ١٦، ١٨،

= ١٩ في بهجة المجالس ١/٧٨٢ ـ ٧٨٣ ورواية الخامس ولي جفنة لا يُغلق.

والسادس: ولي فرس.

والتاسع في كثير من الروايات.. إذا أكلوا لحمي... وإن هدموا..

والحادي عشر.. وإن زجروا طيري.

والأبيات ١، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١ في الحماسة البصرية ٢/٣٠ ـ ٣١. ونسب الأول في بهجة المجالس ١/٢٩٩ إلى المقنع الكندي. والبيتان [١١، ١٦] في عيون الأخبار والسابع في معجم الشعراء /٣٣٣ ونسب إلى مُحرز بن شريك بن ذي الكلاع الحميري وعقب عليه المرزباني. وهي للمقنع الكندي.

* * *

ـ ٢ ـ

وقال المقنَّع الكندي.

١ ـ ولي نَشْرةُ ما أبْصَرَتْ عينُ ناظرٍ
كصُنعِ لها صُنْعاً ولا سَرْدها سَرْداً

٢ ـ تلاحَمَ منها سَرْدُها فكأنما
عيونُ الدَّبا في الأرض تجرُدها جَرْدا

البيتان في حيوان الجاحظ ٥/٥٦٠ وربما تكون جزءً من داليته المشهورة.

* * *

ـ ٣ ـ

قال المقنَّع الكندي:

١ ـ أُبْلُ الرجالَ أردتَ إخاءَهُمْ
وتَوَسَّمَنَّ فَعَالَهُمْ وَتَفَقَّدِ

٢ ـ فإذا ظَفرْتَ بذي اللَّبابةِ والتُّقَى
فيه اليَدَين قريرَ عَيْنٍ فاشْدُدِ

٣ ـ وإذا رأيتَ ولا مَحَالةَ زَلَّة
فَعَلَى أخِيكَ بِفَضْلِ حلْمِكِ فارْدُدِ

٤ ـ ودع التذلُّلَ والتَخَشعَ تبتغي
قربَ الذي إنْ تدنُ منه يبعد

....

الأبيات [١ ـ ٣] في أمالي القالي ٢/٢٠٣ ولباب الآداب.

والأبيات [١ ـ ٤] عدا الثالث في بهجة المجالس ١/٦٥٠ بلا نسبة ونسب الأول والثاني في حماسة البحتري ٥٨ إلى عبدالله بن معاوية وروايته الأول في البهجة.

وتوسَّمنَ أمورَهم..

والثاني فإذا رأيت أخا العفافة والهنى..

* * *

ـ ٤ ـ

وقال المقنَّع أظنه:

وذادت عن هواه البيض بيضٌ
لها في مَفْرِق الرأس انتشار

جــديــدٌ والــلـبــيسُ أعــزُّ مــنــه
وأحــرَى أنْ يُـنــافسَــهُ الـتـجــارُ

البيتان في ديوان المعاني ٢/١٥٦.

* * *

قال المقنع الكندي.

١ ـ لا تضجــرَنَّ ولا تـدخُلكَ معجــزةُ
فالنُجُحُ يَهلِكُ بين العجز والضجر

البيت في الصناعتين ١/٣٥٦.

* * *

ـ ٥ ـ

قال المقنع في هجاء البخل.

١ ـ إني أحــرِّض أهـلَ البخــلِ كُلِّهُم
لو كان ينفع أهلَ البخلِ تحريضي
٢ ـ مــا قـلَّ مــاليَ إلاَّ زادني كــرمــاً
حتى يكـونَ بـرزقِ الله تَعــويضي
٣ ـ والمــالُ يـرفــع مَنْ لـولا دراهمُــهُ
أمسى يُقَلِّبُ فينا طرفَ مَخفـوضِ
٤ ـ لن تُخرج البِيضُ عفـواً من اكفِّهمُ
إلا على وَجَــعٍ منهم وتَمْــريضِ

٥ ـ كـأنَّهـا من جلود البـاخلين بهـا
عنـد النوائب تُحْـذَى بالمقـاريضِ

الأبيات [١ ـ ٥] في الأغاني ٦١/١٧ والوافي بالـوفيات ١٨٠/٣ وهي في مختار الأغاني ١٥٥/٧ ورواية الرابع . . إلا على وَجَل منهم .

* * *

وقال المقنع الكندي :

١ ـ وكُنْ مَعدِناً للحلم واصفحْ عن الأذى
فـإنَّـكَ راءٍ مـا علمتَ وسـامـعُ
٢ ـ وأحببْ إذا أحببتَ حُبَّـاً مـقـاربـاً
فـإنـك لا تـدري متى أنت نـازعُ
٣ ـ وابعض إذا انعِضت غيـرَ مُبـاعِـدٍ
فـإنك لا تـدري متى أنت راجـع

الأبيات [١ ـ ٣] في الموشَّى /٣٣.
نسبت الأبيات [١ ـ ٣] في الموشى إلى المقنع والثاني والثالث بلا نسبة في بهجة المجالس ٦٦٥/١ ونسبا في أمـالي القالـي ٢٠٤/٢ إلى هدية بن الخشرم وينظر تخريجهما في ديوانه وهما في العقد ٢٨٦/٢ بلا نسبة . .

* * *

ـ ٦ ـ

قال المقنَّع الكندي :

١ ـ نَـزَلَ المَشيبُ فـأينَ تـذهبُ بَعْـدَهُ
وقـد ارعويتَ وحـانَ منـكَ رحيـلُ

٢ ـ كان الشبابُ خَفيفةً أيَّامُه
والشيبُ مَحْمَلُهُ عليك ثقيلُ
٣ ـ ليس العطاءُ من الفُضُولِ سَمَاحَةً
حتى تجودَ وما لديك قليلُ

. . . .

الأبيات [١ ـ ٣] في حماسة أبي تمام (المرزوقي) ٤/١٧٣٤.

والبيت الثالث من أبيات الاستشهاد النحوي على أنَّ حتى فيه بمعنى «إلا» ووقف البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب ٣/١٠٠ ـ ١٠٣ عند اختلاف النحاة فيه بعد أن عرض لأبي حيان في التسهيل وابن هشام والدماميني واستقصى شرح المعنى ثم قال:

والبيت ثالث أبيات ثلاثة للمقنع الكندي، أوردها أبو تمام في باب الأضياف والمديح من الحماسة وهي.. وذكر الأبيات وقال:

وكذا أوردها حسن بن صالح العددي اليمني «في كتاب العُباب شرح أبيات الآداب» وروى السيوطي البيت الأول كذا:

ذهب الشباب فأين تذهب بعده
نزل المشيب وحان منك رحيلُ

وأما العيني، فقد قال: هذا البيت لم أقف على قائله ولا على تتمته. ثم قال:

ولا يخفى أنَّ البيت الشاهد، لا مناسبة له بالبيتين قبله وكأنَّ أبا تمام حذف ما قبله المناسب له على حسب اختياره كما فعل في غيره، لكن شراحه لم ينبهوا عليه، وأنا لم أقف على شعر المقنع من غير طريق أبي تمام..

* * *

ـ ٧ ـ

وقال المُقَنَّع الكندي:

١ ـ وإذا رُزِقْتَ من النوافل ثروةً
فامنَحْ عشيرتَكَ الأداني فَضْلَها

٢ ـ واستبْقِها لدفاع كُلِّ مُلِمَّةٍ
وارْفُق بناشِئها وطاوعْ كَهلَها

٣ ـ واحلَمْ إذا جَهلَتْ عليك غُواتُها
حَتَّى تَرُدَّ بفضل حِلْمِكَ جَهْلَها

٤ ـ واعلَمْ بأنَّك لا تكونُ فَتاهُمُ
حتى تُرى دَمِثَ الخَلاَئِق سَهْلَها

....

الأبيات [١ ـ ٤] في الحماسة الشجرية ١/٤٨٨ ونسبت في نسخة من نسخ الحماسة البصرية إلى عبدالله العبلي، وفي النسخة المعتمدة والمطبوعة للمقنَّع ورجَّح محقق الحماسة البصرية نسبتها إلى المقنَّع في الجزء الثاني /٤.

ورواية الأول فيها: الأقارب فضلها.

والثالث: بفضل علمك جهلها.

والرابع: واعلم بأنك لا تسود عشيرة..

* * *

ـ ٨ ـ

وقال المقنَّع الكندي:

١ ـ ولا تجعلِ الأرضَ العريضَ مَحلُّها
عليك سبيلاً وَعْثَةَ المتنقَّل

٢ ـ وإن خِفْتَ من دارٍ هـوانـاً فَـولِّهـا

سـواكَ وعن دار الأذى فَتَحـوَّلِ

٣ ـ ولا تـكُ ممَّن يُغلقُ البـابَ دونَـه

عليـه بمغـلاق من العجـزِ مُقْفَـل

٤ ـ ومـا المرءُ إلَّا حيثُ يَجْعَـلُ نفسَـهُ

ففي صالح الأعمال نفسك فاجعلِ

نسبت الأبيات [١ ـ ٤] في نسخة مخطوطة من الحماسة البصرية للمقنَّع الكندي (الجزء الثاني هامش الصفحة /٣ وفي الأصل المعتمد في التحقيق ٢٣/٢ نسبت الأبيات عدا الأول إلى أبي المياح العبدي وبإضافة بيتين واختلاف في ترتيب الأبيات ورواية بعض الألفاظ نسبت في أشباه الخالديين إلى أبي الميّاح العبدي وينظر هامش الأشباه ١٥٨/٢.

* * *

ـ ٩ ـ

ومما قالوا في الخط ما أنشدنا هشامُ بن محمد بن السائب الكلبي قال: قال المقنَّع الكندي في قصيدةٍ له، مدح فيها الوليد بن يزيد:

كـالـخطِّ في كُـتُـبِ الـغـلام أجـادَه

بـمِـداده وأسَـدَّ مـن أقـلامـه

قـلمٌ كخَـرطُـوم الـحمـامـةِ مـائـلٌ

مُـستَـحـفِظٌ لـلعـلم من عـلاَّمِـهِ

يَـسِمُ الـحـروفَ إذا يشـاءُ بـنـاءَهـا

لبيـانـهـا بـالنَّقْط من أرسـامِـه

من صـوُفـةٍ نفث المِـداد سُخـامـه
حتى تغيَّـرَ لـونُـهـا بسُـخـامِـهِ
يَـخْفَـى فيُـقْصَـمُ من شَـعـيـرة أنـفـه
كقُـلاَمَـةِ الأُظْفُـورِ مـن قـلاَّمِـهِ
وبـأنـفـهِ شِـقٌّ تـلاءَم فـاسـتـوى
سُقِي المدادَ فزاد فـي تَـلآمِـهِ
مُسْتَعجِمٌ وهـو الفـصيـحُ بِكُـلِّ مـا
نـطَق اللسانُ بـه على استعجامِـهِ
ولـه تـراجِـمـةٌ بـألـسـنـةٍ لـهـمْ
تبيـانُ مـا يَتلُونَ من تَـرْجـامِـه
مـا خطَّ مـن شـيء بـه كـتّـابـه
مـا إن يبـوحُ بـه على استكتامـه
وهـجـاؤه قـاف ولام بـعـدهـا
مـيـم مـعـلَّقـةٌ بـأسـفـلِ لامـه

ثم قال:

قـالتْ لجـارتـهـا الغـزِّيـلُ إذ رأتْ
وجـهَ المقنَّـع من وراء لِـثـامِـهِ
قـد كـان أبـيضَ فـاعـتـراه أُدْمَـةٌ
فـالعينُ تُنكـرهُ من أدْهِـيمـامـه
كـم من بُـويـزل عـامِـهـا مهـريّـةٍ
سُـرُحُ اليدين ومن بُـويـزل عـامـه

وَهَبَ الوليدُ برَحْلِها وزمامها
وكذاكَ ذاك برَحْلِهِ وزِمامِهِ
وقُويرحٍ عَتَدٍ أُعِدَّ لِنيِّهِ
لبنُ اللَّقُوحِ فَعادَ مِلءَ حِزامه
وهبَ الوليد بسَرْجها ولجامِها
وكذاكَ ذاكَ بِسَرْجِه، ولجامِهِ
أهدى المقنَّعُ للوليدِ قصيدةً
كالسيفِ أُرهِفَ حدُّهُ بحُسامِه
وله المآثِرُ في قريشٍ كلِّها
وله الخِلافةُ بعد موت هشامِهِ

الأبيات في حيوان الجاحظ ١/٦٥ ـ ٦٦.

* * *

ـ ١٠ ـ

وهو القائل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

١ ـ إن علياً سادَ بالتكرّم
٢ ـ والحلمِ عند غاية التحلّمِ
٣ ـ هَداهُ ربي للصراطِ الأقْوَمِ
٤ ـ يأخذه الحِلَّ وترك المحَرمِ
٥ ـ كاللّيث بين الكبواتِ الضَيْغَم
٦ ـ يُرضِعْنَ أشبالاً ولما تُفْطَمِ

الأشطار الستة في الوافي بالوفيات ٣/ ١٨٠.

وقال المقنع الكندي:

١ ـ وفي الظعائِن والأحـداج أحسنُ مَنْ
حَـلّ العِرَاقَ وحـلَّ الشـام واليمنـا

٢ ـ جنِّيَّــةٌ من نِســاءِ الأنس أحسنُ مِنْ
شمس النهار وبدر الليـل لَو قُـرِنا

٣ ـ مكتومة الذكر عندي ما حييتُ لَهـا
وقد لعَمْري مَلِلتُ الصَرَّمَ والحَزنَـا

وفيها يقول:

٤ ـ وصــاحبِ السَّوء كـالداء العيـاء إذا
ما ارْفَضَّ في الجِلد يجري ها هنا وهنا

٥ ـ يبـدي ويخبرُ عن عـورات صاحبـه
ومـا يرى عِنْـدَه من صالـحٍ دَفَنـا

٦ ـ كمهــر سَــوْءٍ إذا رَفَّعْتَ سيــرَتَــهُ
رام الجمـاحَ وإنْ أَخفضتـه حَـرَنـا

٧ ـ إن يَحْيَ ذاك فكُنْ منـه بمعـزلــةٍ
أو مـاتَ ذاك فلا تشهـد له جَنَنَـا

الأبيات [١ ـ ٧] عدا السـادس في الشعر والشعـراء ٧٣٩ ـ ٧٤٠
والأبيات [١ ـ ٣] في حيوان الجاحظ ٦/١٨٧ .
والأبيات [٤ ـ ٧] في الحيوان منسوبة إلى المقنع ٣/١٣٨ ـ ١٣٩ وفيها=

....

= اختلاف ونسبت في أمالي القالي ١٨٢/٢ إلى رافع بن هُريم اليربوعي.

ورواية الرابع.. كالداء الغميض.. يرفضُ في الجوف.

والخامس يبدي ويُظهر.. وما رأى من يغالٍ..

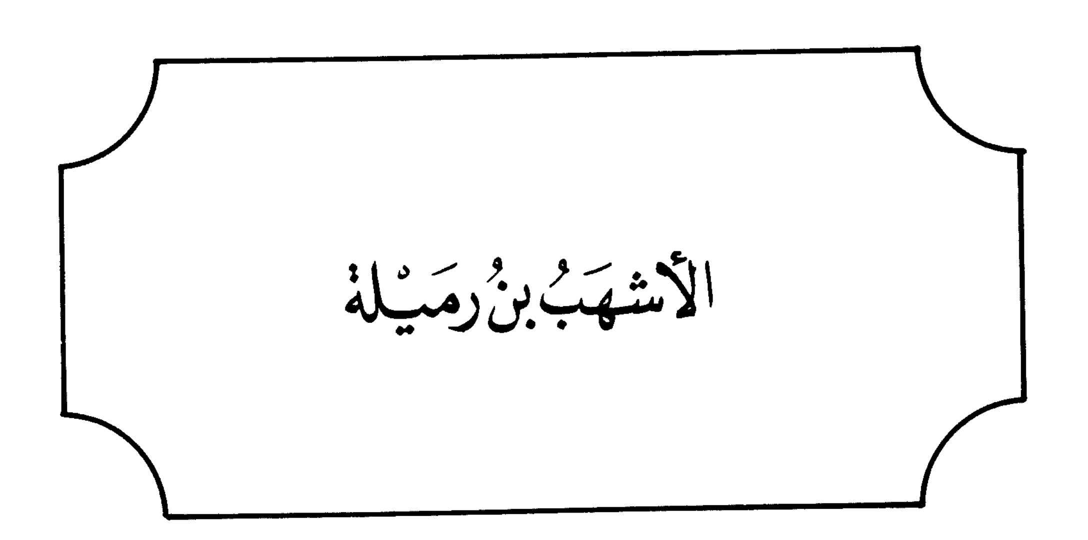
والسادس إذا سَكّنَت سيرته .. وإن رفعته سكنا.

والسابع إن عاش ذاك فأبعد عنك منزلة .. أو مات ذاك فلا تقرب..

وهي في ديوان المثقب العبدي /٣٣ ونسبت إلى المثقب في بهجة المجالس ٧٢٢/١.

* * *





الأشهبُ بنُ رمَيْلة



حياته وشعره

الحديث عن الشعر والشعراء لا يعني الحديث عن الأدب بالضرورة، ولا يقف عند المسألة الشعرية فحسب، وإنما هو حديث يخرج إلى معالجة الظواهر التي كان الأدب يعالجها، والأحداث التي يقف عندها، والأحاسيس التي تتفاعل مع هذه الأحداث من خلال التعابير والصيغ ووجهات النظر التي تُطرح في كل حالة. وهذا وحده يعطي أمثال هذه الدراسات مساحتها المطلوبة، ويحدد الآفاق التي كان الشاعر أو الأديب أو المؤرخ يتحرَّك في دائرتها ليرسم الصورة التقريبية لواقع الأمَّـة في تلك المرحلة، ومـواقف الإنسان منها، وتصوراته لها، ودوره في التأثر بها أو التأثير عليها. وقد بقيت هذه الصورة إلى حدٍّ ما بعيدة عن التناول في حدود الدراسات التي قُدِّمت للأدب بمعزلٍ عن التاريخ، وللشاعر خارجاً عن دائرة المؤرخ، وللمفكر معزولاً عن الواقع الاجتماعي والنفسي والثقافي، مما وضع الباحث في موقف لا يقدر فيه على تجاوز هذه الحدود، واستغرقه في إطار مقولات لا تبعده عن النقطة الضيِّقة التي ظلَّت الدراسات تدور فيها، أو تقف عندها أو تكرِّر أولياتها، وقد انعكست هذه الظاهرة على كثير من الدراسات، وربما بدأت تضيق مساحاتها إلى درجة اقتصرت فيـه على الحدث المنقـطع، والإحساس المحدود، والعبارة المُبْتسرة، والحكم المبتور، ولا بدَّ لمثل هذه الظاهرة أن تدرس في ضوء المُعطيات التي بدأت تحققها الدراسة الشاملة، وتضيفها الإحاطة الواسعة، وترفدها المحاولات التي يمكن أن تغني كل

واجهة من واجهاتها.. لأن كل جزء من أجزائها يقدِّم إضافة وكلُّ جديد يمنحها عَطاءً جديداً. وكل نص من النصوص يكشف عن حالة كان لها حضورها في الصورة الكبيرة.

إن تجربة الأمة واحتفاظها بالذخيرة الحيَّة لموروثها الحضاري، وتفاعلها الدائم مع كل عطاء قدم حصيلة وفيرة من الاستعداد لمواجهة الأحداث، وعاش وجوداً حيًّا في ذاكرة الإنسان، وحقَّق استجابة لمتطلبات الواقع كانت حالة متقدِّمة من حالات التواصل الحضاري والامتداد التراثي لكل الاعتبارات التي حملتها مطامح الأمَّة ونزعاتها المشروعة في الحياة والتقدم، وكان الشعر الذي عبَّر في كثير من أحواله عن تلك المطامح والنزعات وعاءً متناسباً من حيث الاتساع والتوصيل، وصوتاً متميزاً من أصوات التعبير.

وإذا كانت الأحكام التي قيلت بشأن الشعر مقتصرة على جوانب ضيِّقة، أو مجالات محدَّدة، فإن الوقت قد حان لإعادة النظر في ضوء التحليل الجديد والكشف عن النصوص التي تعطي العصر موقعه، وتترك له فرصة التعبير الحيّ عن ظروفه التي أحاطت به، ولا بدَّ لنا ونحن نعرض لهذه الحالة من الوقوف عند الجانب التاريخي الذي تجاوز مهمته فاعتمد اللغة والأدب حتى أصبحت مفرداته أساساً لغرس الإحساس الإنساني في نفوس دارسيه، ومادة في استثارة الشوق لمتابعة أحداثه، وبقي التاريخ في أسلوب سرده، وطريقة روايته يستخدم الجملة المؤثرة عن طريق الاقتباس المباشر أو الاستشهاد المناسب بأبيات الشعر التي توثق الخبر، وتحقِّق السند، وقد استطاعت هذه الطريقة أن تحدِّد المعنى الذي يجب أن يكون عليه الشكل الأدبي في العرض التاريخي بعد أن تمكَّنت من توجيه الكثير من الكتابات التاريخية وفق القنوات التي تترك فيها مجال التشويق قائماً، ومتابعة الأحداث جزء من الاهتمام بالحدث، وهنا كانت الأحداث التاريخية الكبيرة تتَّصف ببعض التأثيرات التي توحي بتمكن المؤرِّخ من القدرة على

استخدام الأسلوب المحكَّم والعبارة المشرقة والجمل التي تعطي الحياة نبضاً دافقاً من الحيوية والحركة ولعلَّ كتابات الطبري والبلاذري والمسعودي في هذا الباب تعدّ من النماذج المتقدِّمة من حيث التأثير الأدبي واعتماد الشعر، وتغليب الجانب الأدبي في بعض الحالات.

فالشعر كان يمثل التراث الأساسي لتاريخ الأمَّة ويعبِّر عن أحاسيس الإنسان وتطلعاته وخبرته في الحب والحياة، ويجسِّد طبيعة العلاقة التي كانت تشد بين الناس وأنماط السلوك الخاص والعام التي تتحكَّم في أشكال تلك العلاقة، وقد استطاع هذا الشعر أن يعبِّر عن اهتمام الشعراء بالأحوال والتقاليد الخاصة بحياة الناس، والتجارب المتنوعة التي أصبحوا عليها وهم يمرون من مرحلة إلى أخرى. ومن هنا كانت مضامينه وجهاً من وجوه المعرفة الدقيقة، والاتصال به يُضفي إلى المحاولات الجادة في تقويمه إضافات نافعة.

والشعر العربي الذي تكرَّر في كثير من أحاديثنا مقوَّلة ضياعه وفقدان أسفار كبيرة منه، صورة من صور هذا الضياع الذي ألقى حجاباً كثيفاً على إبداعات فنِّية بذل في تقديمها أصحابها جهوداً محمودة، وعبَّروا من خلالها عن دواخل إنسانية رقيقة، وسجَّلوا في نماذجها أعمالاً خالدة ومواقف لها دورها في حياة الإنسان.

وأصبح من المعروف أن الشعر العربي وكثيراً من المصادر المعرفية العربية قد ضاعت أو ما تزال بعيدة عن التناول بسبب وجودها في مكتبات العالم، وتوزعها في الخزائن الخاصة، وهي مراجع لها أهميتها في إثراء الفكر العربي، وإغناء المعرفة بروافد جديدة، وعلوم غنية.

وقد أدركت الأمَّة أهميَّة الرجوع إلى تراثها عندما تحيق بها الأزمات، وتتعرَّض لأسباب التحدِّي، وكثيراً ما كانت تدفعها هذه الأسباب إلى الانصراف إلى تراثها لإحيائه، والرجوع إلى مظانها لاستخلاص ما تجده

نافعاً في مقاومة القهر، وإسقاط عوامل التخلف، وإنهاء حالات التراجع والخنوع. وكانت تجد في هذا الإحياء قوَّة مغنوية، وقدرة ذاتية لاستكمال شخصيتها، واستيعاب دورها، واستعادة الموقع القيادي الذي تسنمته وهي تحقق للبشرية دواعي السعادة.. وقد شهدت حركة الإحياء هـذه ألوانـاً مختلفة من العلوم والمعارف وإن كان الاهتمام قـد انصرف إلى العلوم الإنسانية أكثر من انصرافه إلى العلوم البحتة وإذا كانت المؤسسات العلمية قد ساهمت في بعض هذا الإحياء، فإنها مدعوَّة في هذا الوقت إلى تخطيط واسع وتهيئة كاملة للنهوض بنشر ما قدَّمته عقـول العرب، وانتهت إليـه علومهم، ووقفوا عليه في تجاربهم..

وأدب العصر الإسلامي أدب ما تزال خطوطه غير واضحة، وسماته يعلوها كثير من الاضطراب وأحكامه يسودها التناقض على الرغم مما قيل بشأنه، ونشر في تقويم معانيه وأغراضه، أساليبه وألفاظه، وإن أعداداً من دواوين شعره ما تزال غير منشورة وأعداداً مضاعفة من الشعراء لم تجمع قصائدهم، أو يدرس شعرهم، أو توحَّد مقطوعاتهم وهي حالات تدل على اختفاء ظواهر بارزة في فترة من أخصب الفترات عطاءً، وأشدُّها تجاوباً، وأدقُّها تعبيراً عن مرحلة الانتقال التي قطعتها الأمَّة وهي تتجاوز عتبـات التمزُّق، وتتوحَّد في إطار الرسالة التي حملها المؤهلون من العرب، ليعيدوا لأبناء الأمم المقهورة إنسانيتهم ويمنحوهم الخصـائص التي حباهم بهـا الخالق.

والأشهب بن رميلة من أولئك الشعراء الـذين ضـاعت أخبـارهم، وتوزَّعت أشعارهم، ولم يُذكر في دراسة، أو يُستشهد به في غرض، أو يضم إلى فئة، أو يعرف في مجموعة أو يُحصر في اتجاه، فقد توزَّعت قصائده على الرغم من المنزلة الشعرية التي تمتع بها، فقد وضعه ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الإسلام، ومعه نهشل بن حري وحميد بن ثور وعمر بن لجأ التيمي وترجم له ترجمة موجزة ذكر فيها أن رُميلة أمُّه،

وقال عنه: كان شاعراً يهاجي الفرزدق، وكان له أخ يُدعى زَباباً، وكان من أشدِّ الناس وأخبثهم، وكان الفرزدق يَفْرَقُه فَرَقاً شديداً[1]. وتجمع المصادر على أن رُميلة هي أمه وأباه ثور[2] وينتهي نسبه بنهشل بن دارم، ونقل صاحب الأغاني عن أبي عمرو بأنَّ ولدها يزعمون أن رُمَيلة كانت سبية من سبايا العرب، فولدت لثور بن أبي حارثة أربعة نفر، وهم زباب وجحناء والأشهب وسويد، فكانوا من أشدِّ أخوة في العرب لساناً ويداً، وأمنعهم جانباً، وكثرت أموالهم في الإسـلام، وكان أبـوهم ثور ابتـاع رميلة في الجاهلية، وولدتهم في الجاهلية، فعزّوا عزّاً عظيماً، حتى كانوا إذا وَردوا ماءً من مياه الصمّان حظروا على الناس ما يريدون منه، وكانت لرميلة قطيفة حمراء، فكانوا يأخذون الهدب من تلك القطيفة فيلقونه على الماء، أي قد سبقنا إلى هذا فلا يردُّه أحد لعزهم فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويدَعون ما يستَغنُون عنه[3]. وكان يكنى أبا ثور[4]، وهو شاعر محسن متمكن[5]. وذكر صاحب المؤتلف والمختلف وهو يعرض لقصيدته (الدالية) واختلاف نسبتها بين الأشهب بن رميلة وابن رميلة الضبي أنَّ اتفاق الإسمين هو الذي أدَّى إلى هذا الاختلاف، ومن أجل هذا وما يقع فيه الغلط في مثل هذه الأسماء المتَّفقة ألَّف هذا الكتاب[6]. وكان بينه وبين الفرزدق لحاء وهجاء في أوَّل أمر الفرزدق، فغلبه الفرزدق، وقال الآمدي: إنه ذكر أخباره وأشعاره في كتاب الشعراء المشهورين، ولم يصل إلينا هذا الكتاب.

---

(١) ابن سلام. طبقات فحول الشعراء ٢/٥٨٥ وصوَّب محقق الكتاب اسم أخيه الذي ذكرته بعض الكتب باسم «رباب» وهو خطأ. ينظر كتاب معجم ما استعجم للبكري ١/١٩٥ والكتب التي أشار إليها الأستاذ المحقق وينظر فرحة الأديب ١٩٠.

(٢) أبو الفرج، الأغاني ٩/٢٦١ والآمدي في المؤتلف والمختلف ٣٧.

(٣) أبو الفرج الأغاني. ٩/٢٦١.

(٤) الأمدي /٣٧.

(٥) نفس المصدر /٣٧.

(٦) نفس المصدر /٣٨.

وفي حياة الأشهب حكاية غريبة، وتضحية نادرة، ذكرتها كتب الأدب فجاءت ناقصة ومبتورة، وحاولت أن أربط بين أجزائها وألم أشتاتها لِمَا فيها من وفاء، وما حملته من إيثار وفاءً لمصلحة قومية جليلة. والذي وجدناه من أخبار هذا الشاعر أنه وإخوته كانوا إذا وردوا ماءً من مياه الصمّان حظروا على الناس ما يريدونه منه فوردوا في بعض السنين ماءً، فأورد بعض بني قطن بن نهيك واسمه بشر بن صبيح، ويكنى أبا بذَّال، بعيره حوضاً فضربه (زباب) بن رميلة بعصا فشجَّه، فكانت بين بني رميلة وبين بني قطن حرب فأسر بنو قطن أبا أسماء أُبيّ بن أشيم النهشلي، وكان سيد بني جرول بن نهشل، وكان مع بني رميلة، فقال نهشل بـن حري: يا بني قطن، إن هذا لم يشهد شرَّكم فخذوا عليه أن ينصرف عنكم بقومه وأطلقوه، ففعلوا فذهب من قومه بسبعين رجلًا. فلما رأى الأشهب بن رميلة ذلك أصلح بينهم ودفع أخاه زباب بن رميلة إليهم، وأخذ منهم الفتى المضروب فلم يلبث أن مات عنده. فأرسل إلى بني قطن يعرض عليهم الديَّة، واستعانوا بعبَّاد بن مسعود ومالك بن ربعي ومالك بن عوف، والقعقاع بن معبد، فقالوا: لا نرضى إلا بقتل قاتله، وأرادوا قتل الزباب فقال لهم: دعوني أصلي ركعتين فصلَّى وقال: أما والله، إني إلى ربي لذو حاجة، وما منعني أن أزيد في صلاتي إلا أن يروا أن ذلك فرَقٌ من الموت، فدفعوه إلى والد المقتول، واسمه خزيمة، فضرب عنقه، وكان ذلك بعد مقتل عثمان بن عفان، فندم الأشهب على ذلك[1]، وبقيت هذه الندامة تتسرَّب إلى شعره، وتملك عليه جوانب حياته الطويلة، وهو في كل مرَّة يستذكر فيها دوره الإنساني الذي دفعه إلى اتِّخاذ هذا الموقف، دفعاً للشر، وإنهاءً لحالة التأزم، وإبعاداً لشبح الحرب، ووقفاً لسريان النزف، وقد استغرقت مراثيه لأخيه مساحة واسعة من شعره، حتى أوشكت أن تتميَّز ـ على الرغم من قلَّة شعره ـ عوامل الرثاء، وأسباب

(١) ابن حجر العسقلاني ١/١١٥ ووردت غير واضحة في الأغاني ٩/٢٦١ وفرحة الأديب للغندجاني /١٩١ ـ ١٩٤.

الندامة، وظهرت مشاعره وهي تتدفّق شعوراً بالأخوّة الصادقة، وإحساساً بالوفاء الكريم للبيت الذي ضُرب به المثل في الشدّة والمنعة والقوّة.

وتضحية الأشهب تضحية نادرة، دفعته إلى أن يقدم أخاه لتسكن الحرب، فتحمل الألم والأسى، وتجرع الغصص والحسرة، وهو يشعر بأنَّ الواجب يفرض عليه مثل هذه التضحية لتُحقن الدماء وتموت الأحقاد، وتخرس نزعات الشر، وتحمل وحده تبعات هذا الوفاء لأهله وعشيرته، ودفع من عواطفه وأحاسيسه الثمن الغالي، وانصرف إلى الشعر يبث من خلاله أحزانه، ويروي في عباراته وشجونه، فتعالت زفراته المكتومة، وتحدَّرت دموعه الصامتة، ونطقت كوامنه الصادقة، وهو يشعر بالفراق، ويعيش الوفاء والعفَّة والمنعة وبقيت هذه الخطرات تتأجج في جوانبه لهيباً، وأحسن التعبير عنه بقوله:

فلو كان قلبي من حديدٍ أذابهُ
ولو كان من صُمِّ الصَّفا لتصدَّعا

وأوشكت قصائده تصبح من البكائيات الخوالد لما أثار في نفسه قتل أخيه، وهو يعلم أنه كان السبب المباشر لهذا القتل، وإذا كان السبب المعقول الذي دفعه إلى مثل هذا العمل هو حجته في قناعته، فإن العواقب التي انتهى إليها (زباب) كانت مثيرةً لكل الدواعي في استثارة الهموم، واستذكار الآثام الغزيرة، وقد استطاع أن يلوِّن الصورة بكل الهواجس المؤلمة، ويضفي عليها كل الألوان القائمة، مستمداً ليالي الحزن من موروثه القديم، ومستعيناً بالصور المتراكمة التي استخدمها في التعبير، بعد أن بقيت الوحدة تلف حياته، والغُربة تطوي أيامه، واليأس يسد عليه كل نوافذ الحياة.

إنها صورة الإحساس بالإخفاق، والشعور بالخيبة، والبكاء على الجناية الظالمة التي ارتكبت، وصورة التسليم بالأمر الواقع، والانقياد لحالة

الذهول المتمكّنة التي بسطت سلطانها عليه، ومدّت ذراعها المتمكّن فوق أحلامه التي عاشت في ذهنه، وجهاً من وجوه الانتماء الأصيل لكل قيمة حيَّة، والارتباط الحي بكل ما يثير نوازع الإعجاب والإكبار.

والرثاء عنده لم يعد لوناً شعرياً عارضاً، ولم تعد معانيه صوراً تقليدية عابرة، وإنما هي صوت الإحساس بالمسؤولية، ووجه التفاعل الحي في إطار الانتماء القبلي الواعي، لأنه أدرك في معانيه قيمة المرثي، وعرف أصالة الوفاء التي يمكن أن يعبِّر بها الشاعر لهذا الإنسان الذي قدَّم أعزَّ ما يملك، وضحَّى بأغلى ما يمكن أن يجود به، وهذا وحده يكفي الإنسان تكريماً، ويضعه في المصاف الذي يمكن أن يوضع فيه، فالشاعر كانت له رسالة تمثَّلت في مجموع الصفات التي كان يراها في أولئك الرجال الذين عرفوا بوصال الخليل وإنْ نأى، وكتمان السر والشدِّ في احتدام المعارك، وقدِّ رؤوس الدارعين وضروب البطولة الأخرى التي كان يتفحَّص خصائصها، ويعرف خفاياها، وقد تجلَّت له بصورها الحادَّة، وعرفت في حالة المواجهة الحاسمة، فاندفع إلى تسجيل مآثرها، وكثيراً ما كانت الحماسة الواضحة تختلط في الرثاء أو يُصبح الرثاء حماسة في شعره لأنها تغطي دواعي الرثاء، وتستلب العواطف الهادئة لتستحيل إلى فخر متلاحق، وإعجاب متلازم، وتواصل في استدامة اللهيب المتأجج.

وعلى الرغم من شهرة الفرزدق الذي عرفته ساحات المفاخرة وشهدت له ميادين المناظرة فقد كان الأشهب نداً قوياً، وشاعراً يقاوي الفرزدق ويطاوله في المفاخرة والمنافرة، ويخاطبه بالأسلوب الذي يوحي بالاعتزاز، ويدعو إلى التفاخر. ويبدو ذلك في بعض مقطوعاته ونقائضه التي ناقض بها الفرزدق. ولم تقف نقائضه عند الفرزدق وإنما امتدَّت إلى البعيث الذي احترق بلهيب الهجاء. وهو في كل لون من هذه الألوان يعتمد الفخر أساساً، ويستمد من شرف قبيلته، ومكارم أيامه، وفضائل أمجاده وسيلة ومادة يجد فيها قدرة المجابهة، ويردُّ من خلالها على الأصوات التي كانت

تحاول الانتقاص منه، فهو فخر إنتمائي، وغرض دفاعي تولّى فيه الشاعر مهمّة الدفاع والرّد والمقاومة، واستلّ من خصائصه ما دفعه إلى تقديم هذه الصور التي وقف فيها يتحدّى الشعراء الكبار، ويدخل في معركة اشتدّ وطيسها، وارتفع شواظ لهيبها.

والأشهب بن رُميلة من شعراء الدولة العربية في العصر الأموي، صاغ قصائده في إطار القصائد الشعرية التي قيلت في عصره، واتّسمت أغراضه بالخصائص التي اتّسمت بها أغراض الشعر في مرحلته، وفي بقايا قصائده ومقطوعاته صورة من صور التقاليد الفنيّة التي أخذت حجمها في البناء الشعري. وحدّدت إطارها في التكوين الفني، فمديحه صوت للتقاليد المرسومة، وفخره وجه من وجوه المحاولات التي كانت تتجلّى فيها نماذج الاعتزاز، وتتجسّد في معانيها أصداء البطولات الخالدة التي عرفتها القبائل العربية وشهدتها الأيام الباسلة، وفي أبياته التي مدح بها أبا إسحاق بن البراء بن شريك الأنصاري مرَّ عبر القنوات الشعرية المستخدمة، وعبَّر من خلال العواطف الحادة، ويجد في البداية الغزلية الرقيقة إنسياباً هادئاً يمهد لدخوله الفني، ويوطىء للمعاني الإنسانية التي كان يحاول بثّها في مديحه لتأتي المقطوعة متّصلة الوشائج، متوافقة في الفكر، موحّدة في الإحساس.

وتختفي ملامح حياة هذا الشاعر في خضم الأحداث الكبيرة وتضيع تفاصيل حياته في أتون حياة الشعراء الكبار الذين استغرقهم تاريخ العصر وانصرف المؤرخون والنقّاد إلى البحث عنهم وتحليل نصوصهم. والذي يمكن حصره من حياة هذا الشاعر هو ما تحدّثنا به بعض مفاتيح قصائده فهو يهجو (البعيث) و (الفرزدق) وله خبر في يوم صفين ذكره الجاحظ في البيان والتبيين (٣/ ٢١١) وهو من شعراء الطبقة الرابعة الإسلاميين عند ابن سلام ومعه فيها نهشل بن حري وحميد بن ثور الهلالي وعمرو بن لجأ التيمي (طبقات ابن سلام ٢/ ٥٨٥) وقال عنه البكري في السمط (١/ ٣٥): وهو شاعر مخضرم. ولمحقق السمط حاشية نافعة (١/ ٣٤) واقتصرت ترجمته

على نتف من أخباره التي لم تترك للباحث مجالاً للاجتهاد، ولا فسحة لبيان الرأي، ويذكر الفرزدق مهاجاته للأشهب وهروبه إلى سعيد بن العاص وهو يومئذٍ والي المدينة من قبل معاوية سنة ٥٠ هجرية (الطبري ٥/٢٤١) ويمدح القباع (الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة وهو والي الكوفة سنة ٦٧ (الطبري ٦/١١٨).

هذه نتف من أخبار الشاعر الأشهب، وهذه أطراف من مقطوعاته أقدمها للباحثين لما تحمله من معانٍ تضيف إلى التراث الشعري لوناً جديداً وصوتاً إنسانياً كريماً.



شعر الأشهب بن رميلة

- ١ -

وقال الأشهب بن رُميلة:

١ - لله دَرّي أي نـظرةِ ذي هـوى
نـظرتُ ودونـي لـيـنـةٌ وكـثيـبُـهـا

٢ - إلى ظُعُنٍ قـد يَمَّمَتْ نحو حـائـلٍ
وقـد عَزَّ أرواحَ المصيف جنـوبُهـا

٣ - من الناضحاتِ المسكَ في كل ملعب
كنضْـح الـنـدى أردانُهـا وجُيُـوبُهـا

٤ - فـأصبـح بـاقي الـودِّ بيني وبينهـا
أحـاديث قـد تُثْني علينا ذُنُـوبُهـا

٥ - أبى الضيمَ أنِّي في أرومـةِ نَهْشـلٍ
طويلُ العَصَـا يوم الحِفـاظ صليبُها

٦ - تُشـاورني في مـا أرادت شَبـابُهـا
وتعرِف جَهلي - حين أجهلُ - شيبُهـا

الأبيات [١ - ٦] في المؤتلف والمختلف /٣٧. =

. . . .

= والبيتان [١، ٢] في بلدان ياقوت ٣٧٥/٤ ورواية الأول: ولله. . . أن نظرة.

* * *

ـ ٢ ـ

قال الأشهب بن رميلة يهجو البعيث:

أتاني ما قال البعيثُ ابن فَرْتَني[١]
ألَمْ تَخْشَ إذْ أوْعَدْتها أن تُكَذِّبا

. . . .

البيت في اللسان [فرتن].

* * *

ـ ٣ ـ

وقال الأشهب بن رميلة في قصيدة يمدح بها اسحاق بن البراء بن شريك الأنصاري. .

١ ـ ألا يا دِينَ قَلبُك من سُليمى
كما قد دِينَ قلبُك من سُعادَا

٢ ـ هما سَبَتَا الفؤادَ وأَصبْتاهُ
ولم يُدرِك بذلك ما أرادا

٣ ـ قِفا نَعرِفُ منازلَ من سُليمى
دَوارِسَ بين حَومَلَ أو عُرادا

---

(١) ابن فرتني: يقال للئيم، وفرتني: الأمة. وقيل: إن أم البعيث كانت حمراء من سبي أصفهان.

٤ ـ ذكــرتُ بهــا الشَّبــابَ وآلَ ليـلى

فـلم يَــرُدِ الشبــابُ بهــا مَــرادا

٥ ـ فــإن تَـشِـيـبِ الـذُّؤابــةُ أمَّ زيــدٍ

فــقــد لاقــيــتُ أيــامــاً شِــدادا

٦ ـ فــأبـليت الـحــروبَ إذْ ابـتـلتـني

عـلى مـكــروهـهــا حُـسْـنــاً وآدا

٧ ـ أحــاضَــرُ كــلَّ ذي أمــدٍ قــريب

وأُبــعــدُ إن أردتُ بهــا الـبِـعــادَا

. . . .

الأبـيــات [١ ـ ٥] فــي الأغــانــي ٩/٢٥٩ ـ ٢٦٠ [دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٥٧] وذكر صـاحب المؤتلف والمختلف /٣٨ الأول والخامس والسادس والسابع وفي رواية الأول والخامس اختلاف وقال هي تروى لابن رُميلة الضبي لاتفاق الإسمين في رُميلة وعقب على ذلك بقوله: ومن أجل ما يقع من الغلط في مثل هذه الأسماء المتَّفقة ألَّفت هذا الكتاب

* * *

ـ ٤ ـ

وقال:

١ ـ وإنَّ الــذي حــانت بفلج دمــاؤهم

هم القومُ كلُّ القوم يا أمَّ خالدِ(١)

---

(١) البيت من أبيات الاستشهاد على حذف النون من الذين لضرورة الشعر أو للتخفيف كما قال ابن بري [اللسان: فلج] و[لذا] والأصل فيه وإن الذين. وخفيَّة: مأسدة وهو غير مصروف وإنما يصرف في الشعر. وقوله: هم ساعدُ الدهر إنما هو مثل وهذا الذي تسميه الرواة البديع.

٢ ـ هُم ساعدُ الدَّهرِ الذي يُتقى به
وما خيرُ كفٍّ لا تَنُوء بسَاعدِ

٣ ـ أسُودُ شَرىً لاقتْ أسودَ خَفيَّةٍ
تسَاقَوْا على حَرْدٍ دماءَ الأساود

....

الأبيات [١ ـ ٣] في البيان والتبيين ٤/٥٥ وروايته وإن الأُلى. . في الخزانة ٢/٥٠٧ ـ ٥٠٨ وقال البغدادي: وروى أبو تمام البيت الشاهد (الأول) في كتاب مختار أشعار القبائل آخر أبيات خمسة لحريث بن محفض وينظر تخريجه واختلاف الرواية وعدد الأبيات في الخزانة وفهرست الشواهد /١١٤ والمنازل والديار /٤٤٣ والأول بلا عزو في حماسة أبي تمام شرح المرزوقي ١/٣٤ وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ١/٥٧٥ والثالث في كامل المبرد /٥٠ و /٧٢٤ والأول والثاني في بلدان ياقوت ٣/ ٩١٠ والثالث في معجم ما استعجم ١/٥٠٦ والأول في معجم ما استعجم /١٠٢٨ وينظر تخريجها في الحماسة البصرية ١/٢٦٩ والأبيات في السمط ١/٣٤ ـ ٣٥ والأول في اللسان [فلح] والثالث في اللسان [حرد] والأول في اللسان [لذا] والثالث في اللسان [خفي] وروايتها [على لوح دماء. . والأول في تأويل مشكل القرآن /٣٦١ وينظر تخريجه فيه والأول والثاني في المؤتلف والمختلف /٣٧ وعجز الثاني بلا عزو في اللسان [سعد].

* * *

ـ ٥ ـ

واستشهد معاوية بن أبي سفيان بشعر الأشهب بن رميلة الذي مدح به القُباع[1]:

١ ـ إذا متَّ مات الجودُ وانقطعَ الندى
من الناس إلا من قليل مُصرَّدِ

(١) القباع: الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع.

٢ ـ ورُدَّت أكفُّ السائلين وأمسكوا
من الدِّين والدنيا بخِلْفٍ مُجدَّد

البيتان في الطبري ٥/٣٢٧ وهما بلا عزو في كتاب المرائي للمبرد ٢٢٤.

* * *

ـ ٦ ـ

وقال الأشهب بن رُميلة النهشلي:

١ ـ وأنتِ رويبة قد تعلمين
فَضَلْتِ النساءَ بضيق وحَرْ

٢ ـ ويعجبني منك عند النكاح
حياةُ الكلام وموتُ النظر

البيتان في الحماسة البصرية ٢/٣٦٩ وإلى آخر في عيون الأخبار ٤/٩٦ وبلا عزو في العقد ٦/ ١٤٠. وروايته: حياة اللسان.

* * *

ـ ٧ ـ

قال الأشهب بن رُميلة يرثي مجَّاعَة بن نُشْبة بن مالك بن زهير:

١ ـ تصاممتُ عمَّا خَبّروا إذ سَمعْتُهُ
وفي السَّمْع مما خَبّروا غُدوةً وقْرُ

٢ ـ فلا يُبعِدْنَكَ الله من ذي حفيظةٍ
وذي سَاعدٍ عَبْلٍ إذا حَزَب الأمرُ

٣ ـ فقد كُنْتَ وَصّالَ الخليل وإنْ نأى
أميناً إذا ما السرُّ أسْلَمَهُ الصدرُ

٤ ـ شدَدتَ فلم تَنْكُلْ كما شدَّ خادِرٌ
من الأُسد وَرْدٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

٥ ـ تقدُّ رؤوسِ الدَّارعين كأنَّما
لسيفِك في تَفْليقِ هَامِهُمْ نَذْرُ

الأبيات [١ ـ ٥] حماسة ابن الشجري /٢٩٩.

* * *

ـ ٨ ـ

وقال الأشهب بن رُميلة:

١ ـ أرى العَيْنَ من ذكرى زَبَاب كأنَّها
بها رَمدٌ لا يَقْبلُ الكحلَ عاثرُهْ

٢ ـ جَزى الله قومي من شفيع وطالبٍ
جزاءَ مُسيءٍ حين تُبْلى سرائرُهْ

٣ ـ هُمُ فقأوا عَيْنيَّ لا العَرْي آمِرُ
بخيرٍ، ولا ذو الذَّنْبِ إذ كان غافِرُهْ

٤ ـ ولو رهطُ مرداس بن حيَّان أحدثوا
وعى العظمُ وانضمَّتْ عليه جبائرُهْ

٥ ـ فما كنتُ فيما نابني أولَ امرىء
جَنَى حَدَثاً أو أسلمْتُهُ عشائرُهْ

٦ ـ دعــا إذْ دعـا قــومٌ عليه أخــاهم
تمــاضـره إذْ أسلمَتــه تمــاضــره
٧ ـ ألا طــالَمــا رَجَّيْتُكُمْ وامتــدحْتُكُــمْ
فهــذا أوان الشَّتْمِ أشـأمَ طــائـره
٨ ـ فلم يُشْقِني ربي ولم يُجْـزِني أخي
إذا غـارَ نجمٌ من تِهـامـةَ غـائِــرُه
٩ ـ بَسَـطْتَ فلم تترك لنفسـك مَقْـدمـاً
سوى قرضِ بؤسي أنَّ ذا القرضِ ذاكره

الأبيات [١ ـ ٩] في فرحة الأديب / ١٩٥.

* * *

ـ ٩ ـ

وقال الأشهب يهجو الفرزدق:

يـا عجبـاً هــل يـركبُ القَيْنُ الفَــرَسْ
وعَــرَقُ القينِ على الخيــل نَجَسْ
وإنَّــمــا أداتُــه إذا جَــلَسْ
الــكـلبــتــانِ والـعَــلاةُ والــقَـبَسْ

الرجز في حيوان الجاحظ ١ / ٣١٥.

* * *

ـ ١٠ ـ

قال الأشهب بن رُميلة يرثي أخاه ويلوم نفسَه في دفعه إليهم لتسكُن الحرب، يرد على الفرزدق:

١ ـ أعينيّ قَلّتْ عَبْرة من أخيكما
بأن تَسْهَرا الليلَ التمامَ وتجزعا
٢ ـ وباكيةٍ تبكي زباباً وقائلٌ
جزى الله خيراً ما أعفَّ وأمنعا
٣ ـ وأضرب في الغُمَّى إذا حمي الوغى
وأطْعَمَ إذْ أمسى المراضيعُ جُوَّعا
٤ ـ إذا ما اعترضنا في أخينا أخاهم
رَوينا ولم نَشْفِ الغليلَ فَنَنْقَعا
٥ ـ قَروْنا دماً والضيف منتظر القرى
ودعوةَ داعٍ قد دَعَانا فأسمَعا
٦ ـ مدَدنا وكانت هفوةً من حُلومنا
بثَدْي إلى أولاد ضَمْرَةَ أقطعا
٧ ـ وقد لامني قومي ونفسي تَلُومُني
بما قال راءٍ في زَباب وضَيَّعا
٨ ـ فلو كان قلبي من حَديد لقد وهى
ولو كان من صُمِّ الصفَّا لتَصَدَّعا
٩ ـ قتلنا عميد القوم لا عِرْضَ دونه
ولم يَكُ بالأحجار مَنْعٌ فأمْنَعَا
١٠ ـ شَمِتَّ ابنَ قَيْنٍ أن أصابت مُصيبةٌ
كريماً ولم يترك لك الدهر مَسمعًا
١١ ـ بقتلِ امرىء أحْمَى عليك سِلاَحَهُ
وأنتَ ذليل مَنْبِتَ الحمضِ أجمعا

الأبيات [١ ـ ١١] في فرحة الأديب ١٩٤ وعدا التاسع والعاشر والحادي عشر مع اختلاف في الأغاني ٢٦٣/٩ و(٥، ٦، ٧، ٨) في ابن سلام، وقد اختلف ترتيبها وروايتها. والأول والثاني والسابع والثامن في الإصابة ترجمة رقم (٤٦٤) وفي رواية الأبيات اختلاف.

* * *

ـ ١١ ـ

تَعُــدُّون عَقْـرَ النيب أفضــلَ مَجــدِكُمْ
بَنى ضوطرى لـولا الكميَّ المُقنَّعا

نسب البيت إلى الأشهب بن رميلة، وإلى جرير في كامل المبرد ١/ ٢٣٩ وهو لجرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق. وبلا عزو في تأويـل مشكل القرآن / ٥٤٠ وينظر اختلاف روايته ونسبته فيه.

* * *

ـ ١٢ ـ

قال الأشهب بن رُميلة:

١ ـ قـال الأقـاربُ لا تَغْـرِّرْكَ كثـرتَنـا
وأغنِ نفسَـك عنَّـا أيُّهـا الـرجـلُ

٢ ـ عـلَّ بـنيَّ يَـشُـدُّ الله أعـظَمـهُـمْ
والنَّبـعُ يُنبتُ قضبـانـاً فيكتـهـلُ

البيتان [١ ـ ٢] في البيان والتبيين ٦٦/٣ والحيوان ١٠٩/١ ونسبا إلى نهشل بن حري في البيان والتبيين ٣٨/٣ وفي رواية الحيوان اختلاف.

* * *

قال الأشهب بن رُمَيْلة ينقُضُ قصيدة للفرزدق:

١ ـ إنَّ تميماً شرُّها وأذَلُّها
وألأمُها جيرانُ بَكرِ بن وائِل

٢ ـ ولَسْتُ بِرَوَّاغٍ يَروغُ لِظَهْرِه
إذا زَبَنَتْهُ الحربُ ذات التلاتِلِ[١]

٣ ـ وتسألني عِجْلٌ عليها جِعَالَةً
ولَمْ تَكُ تُسْقَى قَبْلَها بالجَعائِلِ[٢]

٤ ـ وقد كان يُروى أوَّلَ القوم فارِطي
إذا ظَمِئَتْ دَلْوُ اللئام التَّنابِلِ[٣]

٥ ـ ونبَّأها الرُّوادُ أنَّ بِلاَدَها
ألَثَّت عَلَيْها ديمَةٌ بعد وابِلِ[٤]

٦ ـ تُبَرِّكُ بالميث الدِّماث وتَتَّقِي
عِداها برأسٍ من تميمٍ وكاهِلِ[٥]

---

(١) التلاتل: الشدائد: يُعيّر الفرزدق بهربه من زياد واستجارته بغير قومه فيقول: لست ممن يروغ ويولي العدو ظهره.

(٢) يقول: لم تكن إبلي عُوِّدت أن تُسقى بالجعائل، ولكن بعزِّي ومنعتي كأنه ورد عليهم فقالوا: لا ندعُك تسقي إلا برشوة وهي الجعالة.

(٣) الفارط: الذي يتقدَّم القوم فيصلح لهم الدلاء والأرشيَة. التنابل: الذين لا خير فيهم.

(٤) ألثت: أمطرت.

(٥) الميث: الأودية السهلة.

٧ ـ إذا هي حلَّتْ بين سَعْد ومالِك
وجيدَ لها ما بَيْنَ فَلْجٍ وحائل[١]

٨ ـ يَظَلُّ يُراعيها وراءَ رعائِها
بنو كُلّ ميّاسٍ طويل المحامل[٢]

٩ ـ وإنّا لَنحْمي السّرْبَ من أرضِ مالكٍ
ونَمْنَعُ إن شِئنا عِدادَ المَناهِلِ[٣]

....

الأبيات [١ ـ ٩] في النقائض /٦١٤ ـ ٦١٥.

* * *

ـ ١٤ ـ

وقال الأشهب بن رُميلة النهشلي:

١ ـ وما نفى عنك قوماً أنت خائفهم
كمثل وقمك جهالاً بجُهّال

٢ ـ فاقعسْ إذا حدبوا وأحدب إذا قعسوا
ووازن الشرَّ مثقالاً بمثقالِ

....

البيتان في الحماسة البصرية ١/٢٦٩.

* * *

---

(١) سعد هو ابن يزيد. وجيد لها من المطر: الجود. فلج وحائل: موضعان.
(٢) الميَّاس: المختال.
(٣) السرب: الأموال يقول: نحن في أرض هي موارد الناس فإن شئنا منعنا الناس عن ورودها.

- ١٥ -

قال صاحب الإصابة وأنشد له ما قاله عند قتله أبا بَذّال:

قـلتُ لـه صـبـراً أبـا بَـذَّالِ
تَـعْـلَمْـنَ والله لا أبـالـي
أن لا تـؤوب آخـر الـليـالـي
صـبـراً لـه لـغـرَّة الـهـلال
أوَّل يوم لاح من شوَّال

....

الرجز في الإصابة /ترجمة رقم ٤٦٧.

* * *

- ١٦ -

وقال الأشهب يرثي مَنْ فقد من قومه ويذكر فقدهم:

١ - أرِقْـتَ ولـم تَـنَـمْ الـهـمـومُ
وعـادَ فـؤادَك الـطربُ الـقـديـمُ
٢ - تـمـارِسُ جَـوْزَ أدهم ذي ظِـلال
كـمـا يَـحْـتَـمُّ لـلَّيْـل الـسَّقـيـمُ
٣ - كـأنَّ نـجـومَـه آجـالُ عَـيْـنٍ
تَعَـرَّضُ في السماء ومـا تَـريمُ
٤ - فـهـل زالَ النـهـارُ فكـان لـيـلاً
وهـل تَـرَكتْ مَـطَالِعها النجـومُ
٥ - وكـم قـد فـاتني بَـطَلٌ شجـاعٌ
ويـاسـرُ شَتْـوَةٍ سَمْـحٌ هـضـومُ

٦ ـ وآبـاءٌ إذا مـا سِـيَـمَ خـسـفـاً
ألَـدُّ إذا تَـعَـرَّضـت الـخُـصـوم
٧ ـ مَضَـوا لسبيلهم وقَعَـدْتُ وحـدي
تـجـورُ بي الـمَنـونُ وتـسـتـقـيـم
٨ ـ كـأنَّ حـوادثَ الأيـام تـأتـي
عـلى خَلْقَـاءَ لـيس بـهـا كُـدوم
٩ ـ ألا أبـلغ بـنـي سـلْمَـى رسـولاً
فـلم يـكُ عنـدنـا مِنْهـمْ مُليـمُ
١٠ ـ هُمُ غضبـوا لنـا وَحنَـوا علينـا
كمـا تحنـو على الـبَـوِّ الـرَّؤومُ
١١ ـ فـإن تـكُ نَهْشَـلٌ ثَبَتَتْ فـإنـا
لـنـا منَّـا الـمـكـارمُ والأُرومُ
١٢ ـ لـيعلَم عـالمٌ مـا كـان فـيـنـا
لنـا البـأسـاءُ والسَّلبُ الـكـريمُ
١٣ ـ أحقُّ مـا يقـول بنـو صُبـيـح
فـتـعـلَمُـه قـضـاعـةٌ أو تـمـيـم
١٤ ـ ألا تـنـهـاهُـمُ أن يـظلِمـونـا
حـلومُـهُـمُ ولـيس لـهـم حـلومُ
١٥ ـ حَلفْتُ بِهـاجِرِينَ الغُسـل شُعْثٍ
ومـا جَمـع المشـاعِرُ والحـطيمُ
١٦ ـ لئِن جَمَعتْ جـوامـعُ بين قـومي
ـ وظلمُ الأصـل مَـرْتعُـهُ وخـيمُ ـ

١٧ ـ لَنَلْتَمِسنْ بأنفسِنا نساءً
تَبَيَنُّ في المَنَاكح أو تئيمُ
١٨ ـ وقتلى أجْهَضَ الأبطالَ عنها
ظِماءً في وجوهِهمُ سَهُومُ

....

الأبيات [١ ـ ١٨] في فُرحة الأديب / ١٩٥ ـ ١٩٦.

* * *

ـ ١٧ ـ

وقال الأشهب بن رُميلة:

١ ـ إني وإن كانتْ تميمٌ عمارتي
وكُنتُ إلى القُدْموس منْها القُماقِمِ
٢ ـ لَمثنٍ على أفناءِ بكر بنِ وائلٍ
ثَناءً يُوافي رَكْبَهُمْ في المواسمِ
٣ ـ هُمُ يومَ ذي قارٍ أناخوا فصادَموا
برأسٍ به تُرْدَى صَفاةُ المُصادِمِ
٤ ـ أقاموا لِكِسرى يَوْمَ جاشَتْ جُنُودُهُ
وبَهْراءَ إذْ جاءوا وجَمْعِ الأراقم
٥ ـ إذا فَرغوا من جانِب مالَ جانبٌ
فذادوهُمُ فيها ذِيادَ الحوائم
٦ ـ بِمَخْشُوبةٍ بيضٍ إذا ما تَنَاوَلت
ذُرى البَيْضِ أَبْدَتْ عن فِراخ الجَماجم

٧ ـ فما بَرِحوا حَتَّى تَهادَتْ نساؤهُمْ
بِبَطْحاء ذي قارٍ عيابَ اللُّطائِمِ
٨ ـ كفى بِهِم قَوْمَ امْرِءٍ يَمْنَعونَهُ
إذا جُرِّدَتْ أيمانُهمْ بالقوائم
٩ ـ أناسٌ إذا ما أَنْكَرَ الكلبُ أهْلَهُ
أناخوا فعاذوا بالسُّيوف الصَّوارم

....

الأبيات من [١ ـ ٩] في النقائض ٦١٥ ـ ٦١٦.

* * *

ـ ١٨ ـ

قال الأشهب بن رُمَيْلة يفخر على الفرزدق بقتلهما وبقتل بني نهشل خُليف بن عبدالله النميري بذي نَجَب:

١ ـ أَلَمْ تَسْأَلْ فتُخْبَرَ يا ابنَ قَيْنٍ
مَساعينا لذي المَلكِ الهُمامِ
٢ ـ ومَقْتَلَنا أبا الهِرْماسِ عَمْراً
ومَسْقانا ابنَ طَيْبَةَ بالسِّمامِ
٣ ـ ونحنُ عَشيَّةَ التَّرويح عَنْكُمْ
رَدَدْنا حَدَّ ذي لَجَبٍ لُهامِ
٤ ـ ونازَلْنا المُلوكَ ونازَلْنا
على الرُّكَباتِ في ضيقِ المُقامِ

٥ ـ وغـادَرْنـا بـذي نَـجَب خُـلَيْفـاً
عـليـه سَـائبٌ مثـلُ القِـرامِ[1]

....

الأبيات [١ ـ ٥] في النقائض /٧٠٢.

* * *

ـ ١٩ ـ

قال الأشهب بن رميلة:

١ ـ هَـرَّ المقـادةَ من لا يستقيـدُ لهـا
واعصوصَب السيرُ وارتـدَّ المساكينُ

٢ ـ من كُـلِّ أشعثَ قد مـالت عمامتُـهُ
كـأنَّـه من ضـرار الضيمِ مجنـونُ

....

البيتان في الحيوان ١٠٥/٣ ـ ١٠٦.

* * *

ـ ٢٠ ـ

وقال الأشهب بن رميلة:

١ ـ سـأجـني مَـا جَـنيت وإنَّ رُكْني
لـمعـتَـمـدٌ إلـى نَـضَـدٍ ركـيـن

* * *

....

البيت في الطبري ٥١٢/٦.

---

(١) القِرام: الستر الرقيق الأحمر.

وقال لما قُتل زباب بأبي بذَّال أنشد الأشهب:

ولمــا رأيت القــوم صُمّـت حبــالـهم
زبـاباً وقى شـري ومـا كـان وانيـاً

....

البيت في الإصابة ترجمة (٤٦٧) وقال وكان زباب جلداً من أشدِّ الناس.

* * *



الأبيرد بن المعذّر الرياحي



حياته وشعره

من شعراء الإسلام وأوّل دولة بني أمية الذين ما تزال أخبارُهم غير معروفة ومعالم حياتهم غير مدروسة شاعرنا الأبيرد بن المعذَّر بن قيس بن عتَّاب وينتهي نسبه بزيد مناة بن تميم[1]، وتميم هي القبيلة الكبيرة التي تضم بطن رياح بن يربوع التي عرف بها الشاعر، وفيه رؤساء وأمراء كثيرون. وقد استوطنت تميم أرض نجد ثم امتدَّت إلى العراق وانتشرت في اليمامة واتصلت بالبحرين وكانت مضاربها تستدير محاذية البحر الغربي وموغلة في بعض مناطق الجزيرة العربية، وهو شاعرٌ فصيح بدوي، ليس بمكة[2] ويؤكد أبو الفرج أنه ليس ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم[3] ولعلَّه يُريد أن بداوته كانت تحول بينه وبين وفوده إلى المدن، وربما كانت فصاحته التي أشار إليها أبو الفرج، وكونه بدوياً قد أوضحت الغرض الذي حمل صاحب الأغاني على أن يشير إلى هذه العبارة. وتذهب بعض المصادر إلى ذكر بعض أوصافه فصاحب الجمهرة يقول عنه: «كان جميلاً فصيحاً، وكان شريفاً كريماً[4] وقال عنه أبو الفرج: وكان الأبيرد شاباً جميلاً ظريفاً طريراً[5].

---

(١) ينظر في ترجمته. السجستاني، المعمرون /٧٥ وأبو الفرج. الأغاني ١٣/١٢٥.

(٢) أبو الفرج: الأغاني ١٣/١٢٥.

(٣) أبو الفرج: الأغاني ١٣/١٢٥.

(٤) ابن حزم الأندلسي. جمهرة أنساب العرب /٢٢٧ وابن ماكولا في الأكمال /١٠.

(٥) أبو الفرج. الأغاني ١٣/١٢٨.

وبقيت قصته وسعد العجلي مثار حديث طويل، وما أثارته هذه القصة من مواقف وادعاءات ومناقشات، ولكنها تكشف عن الصورة التي عُرف بها هذا الشاعر وهو يتّصف بالصفات الجمالية الظريفة، ويسلك سلوك الشعراء العشّاق، وهو يجيب أولئك الذين طلبوا منه الابتعاد عن امرأة العجلي.. وما بأس بذلك؟ وهل خلا عربي منه؟. ويبقى هذا الصوت الذي عبَّر عنه الشاعر هو الضمير النابض في خوافق الفتى العاشق، وهو الحكاية الحيَّة في رواية الأخبار وهي تجتاز الزمن وتعبر القرون الخوالي.

ويذكر أبو الفرج قصةً أخرى عن هوى الأبيرد وهو يهوى امرأةً من قومه، ويُجنُّ بها حتى شُهر ما بينهما، ولكنها حجبت عنه، وخطبها فأبوا أن يزوجوها إياه ثم خطبها رجلٌ من ولد حاجب بن زُرارة تزوجته.. وهي قصة بقيت أصداؤها تتردَّد في أحاديث الشعراء العشّاق الذين ملأوا الأدب العربي بأصواتهم العفيفة، ونشروا أعلامهم فوق ربوع المساحة الكبيرة التي وقف عليها هؤلاء الشعراء وهم يحقِّقون الوفاء الذي ظلَّ عالقاً في نفوسهم، ويقدمون أنفسهم نماذج للتضحية النادرة، والطهر النقي قد استبدَّت بهم نزعة الشوق، وتعالت في دواخلهم رغبات التطلُّع. فمجنون بني عامر الذي اختلف في اسمه ونسبه وشعره واحد من أولئك الذين أفرد لهم صاحب الأغاني ثمانين صفحة من مجلده روى فيه من الأخبار ما تستحق الدراسة، وقدَّم فيه من النماذج الشعرية ما يوحي بأصالة الروح الطاهرة التي امتلكت هذا الإنسان، ويقدم له بمثل قصة الأبيرد. فيذكر أبو الفرج أنه عشق امرأة من قومه والله ما كانت تطمح في مثله، فلما فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزَوِّجه إياها بعدما ظهر من أمرهما، فزوَّجها غيره[١]، ويستمر أبو الفرج في ذكر أخبار المجنون وقد أشفق الناس عليه وهو يهيم في البرية مع الوحش ولا يأكل إلّا ما ينبت في البريَّة من بقل ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردت مناهلها. حتى إذا طلب أهل الحي من أبيه أن يحج به إلى مكة وتعلق

---

(١) أبو الفرج. الأغاني ٢/١٦ (الثقافة).

باستار الكعبة ويدعو الله عزَّ وجل له أن يمن عليه بالشفاء ويسأله منّ العافية فيستجيب الشيخ، الكبير لهذه الدعوة ويتّجه صوب سور مكة ويطلب من ابنه العاشق أن يدعو الله أن يعافيه من حب ليلى ولكن الإبن العاشق يستجب لهذه الدعوة، ويراها فرصة للتعبير عن ذاته وهو يتعلّق بأستار الكعبة ويقول: اللّهمَّ زدني لليلى حباً، وبها كَلَفَا ولا تُنسِني ذكرها أبداً، فيزداد هيامه، وتتّسع أخبارُه، وتظل أخبار هذا العاشق الذي اشتدَّ به الأمر حتى جُنَّ كما تقول الأخبار وقيل له مجنون بني عامر تنقل عَبرَ أخبار الغزلين والعشاق وهو يأخذ حصته في التقويم وحجمه في المناقشة، وقدرته في الموقف الذي يمكن أن يتّخذه وهو يتبنّى فلسفة ذاتية، ويقدِّم نفسه ضحيَّة لمعتقد آمن به حرصاً على الوفاء النبيل، وتأكيداً لعفَّة طاهرة لا يريد لها أن تسقط في استجابة حسيَّة عابرة، أو تقتل في إثم ظلَّ كريماً في الحفاظ عليه.

وعندما يأتي على ذكر ليلى الأخيلية يقف عند خبر توبة بن الحُمّير، ويذكر تعشّقه ليلى وقوله الشعر فيها، وخطبتها إلى أبيها ويأبى عبدالله (أبو ليلى) أن يزوِّجه إياها ويزوجها لرجل من بني الأدلـع. وتتكرَّر الصـورة نفسها، وتوبة في قصائد ليلى صورة أخرى من صور الفتيان الذين عرفوا بعفَّة المئزر وجمال المنظر[1]، أو كما قالت عنه وتوبةُ أحيا من فتاةٍ حيية.

إن هذه الصورة بقيت تتكرَّر في ترجمة كثير من أولئك الشعراء الذين أغنوا الشعر الغنائي مجازات شعرية فريدة، وعبَّروا عن تجربة ذاتية صادقة، فكانت قصائدهم صوتاً حيَّاً من أصوات الوفاء والصدق.

إن حالة الحجب التي حالت بين الشاعر وحبيبته كما حالت بين كثير من العُشَّاق وأحبتهم قد تركت أمرها في شعره كما كانت آثارها بيِّنة في شعر الآخرين، وبقي هذا الضرب الشعري يمثل الاستجابة المقتدرة على التعبير والإحساس المباشر بكل نوازع الشوق والحرمان ولا بدَّ أن تكتسي ألوانه

---

(١) أبو الفرج. الأغاني ٢٢٢/١١.

بأردية العفَّة حفاظاً على نقاء الحب الطاهر، وحرصاً على العلاقة الرفيعة التي شدَّت بين قلوب العاشقين واستمراراً لأواصر الزهو التي عاشت في قلوبهما وهي تتذوَّق طعم الوصال، وترتشف كلمات الود، وتحيا حياة التواصل الدائم. وقد عرف الأدب العربي هذه النماذج التي تميَّزت فيها نفوس كريمة، وتضحيات خالدة، ووفاء أصيل، لم تحاول نزوة الحس أن تمتلكه، ولم تتمكَّن خوافق الآثام أن تتسرب إلى أحاديثه. ولكن الإغفال غير المتعمِّد قد حال دون وصول هذه النماذج، وانصراف المؤرخين إلى التفتيش عن ظواهر تستهويهم قد ألقت بحجابها الثقيل على هذه الوجوه المشرقة التي بقي لمعانها يلوِّح بزهو ذميّ، وألق سني، وعطاء رفيع.

فالوقوف على ظاهرة الحب عند الأبيرد، والتأمُّل في حالة التأزم التي يعاني منها الإنسان وهو يطوي صفحات الألم بعد أن استبدَّت به نشوة الأمل الممتد، ويتجرَّع مرارة الحرمان بعد أن ظل غارقاً في أحلام المستقبل، ومتصلاً بلذَّة الحديث المستطاب، كانت نموذجاً من نماذج الإنسان الذي عُرف بهذا الوفاء، وأدرك فلسفة العفَّة، واستوعب واقعية التفكير الخالد وحاول أن يعطي هذا الجانب أرقَّ ما يستطيعه من عطاء، وينمي في أوصاله نزعات الخلود الإنساني السامي، ليرفع عن وجوه الناس براقع الانزلاق في مواضع السقوط، ويرسم لهمَ الحدود الإنسانية كي تبقى فيه قدرة الإنسان أرفع من قدرة الوقوع في الخطأ أو الضياع في حومة الإثم.. ولا بدَّ أن تبقى هذه الصورة التي حمل لواءَها الأبيرد، وتجسَّدت في صورَ العشاق الآخرين متميِّزة في الأدب العربي لأنها قدَّمت حالات فريدة، وعَبَّرت وفق صيغٍ بلاغية، وعبارَات وجدانية تركت صداها في آثار الشعراء وأخبارهم وحفلت بها كتب الأدب التي أولت هذا الجانب اهتمامها. وسأعود لدراسة هذه الظاهرة دراسة مفصَّلة في بحث مستقل يفرد فيه باب لتحليل الجانب النفسي والاجتماعي بعد أن تكرَّرت النماذج واحتفظت الذاكرة العربية بصور أصيلة لأولئك الرجال الذين جمعوا بين

الوفاء الذاتي والحفاظ على الصلة الروحية التي دفعتهم لتقديم أصدق النماذج الشعرية وأدقِّها، وإذا تجاوزنا هذه الحالة المتميِّزة عند الشاعر وجدنا أنفسنا أمام مواقف أخرى لا تدخل في إطار هذه الأحداث لأنها تتَّصل بجوانب قد تكون إلى باب المنافرة أقرب، وبصورة المهاجاة ألصق: فقد اشتد هجاؤه لحارثة بن بدر وقال فيه ما قال من أوصاف، وتجرَّأ عليه بما تجرأ، وتختلف أسباب الإثارة فهي مرَّة تدخل في حديث الطلب الذي تقدم به الأبيرد لحارثة بن بدر ولإكسائه برُدينى يدخل بهما على الأمير يعني عبيدالله بن زياد الذي توفي عام ثلاثة وخمسين، فكساه حارثة ثوبين فلم يرضهما فقال فيه:

أحارث أمسك فضل بُرديك إنَّما
أجاعَ وأعرى الله من كنت كاسيا
وكنت إذا استمطرتُ منك سحابة
لتمطرني عادتَ عجاجاً وسافيا
أحارث عاوِدْ شُربَك الخمر إنني
أرى ابن زيادٍ عنك أصبح لاهيا

والأبيرد في هجائه لحارثة يقف مع كثير من الشعراء الذين عَيَّروه بشرب الخمرة، ولاموه عليها لأنها فضحته وأسقطت قدره وأفسدت مروءَته فقد عَيَّره أنس بن زنيمَ وغوث بن الحَباب والأحنف بن قيس ومخارق بن صخر[1] ولكن حارثة لم يستجب لهذا النصح وإنما كانت إجابته عنيفة لكل

---

(١) تنظر ترجمته في (شعراء أمويون) القسم الثاني / ٣٣١ ـ ٣٣٣.

الذين تذموا إليه هذه النصائح، ولم تزده إلَّا تحدِّياً وانغماساً في معاقرة الخمرة، وكما ردَّ على الأحنف بن قيس فقد ردَّ على الأبيرد فقال له[1]:

فــإن كنت عن بُـرديّ مستغنيــاً لقــد
أراكَ بـأسمـال المـلابِس كـاسيـا
وعشتَ زمــانــاً أنْ أعَـيِّنـكَ لـقُـوَّتي
قنعتَ بــأخـلاق وأمسيتَ عــاريـا
وبُــردين من حـوك العــراقِ كسـوتهـا
على حـاجـةٍ منهـا لأمِّـك بــاديـا

وأراد الأبيرد أن يؤذي حارثة وهو يرى عبدالله بن زياد يبدي جفوة تجاهه وكانت هذه المواقف تثير في نفس الأبيرد عوامل الانتقام، وتدفعه إلى الانتقاص من قيمته، وقد أسهم عبيدالله بن زياد إسهاماً واضحاً في إلهاب هذه المناقضات بعد أن وجد بقيَّة الشعراء هذا الإعراض من قبل الوالي وأنَّ عبيدالله نفسه كان يطلب من الشعراء الردّ، وإذا حاول أحدهما التنصل أكرهه على ذلك وأقسم عليه ليجنّنه، وعلى الرغم من المقطوعات الكثيرة التي هجا فيها الأبيرد حارثة بن بدر فإننا لم نجد لحارثة أكثر من ثلاثة أبيات يرد فيها على الأبيرد، وينصرف الشاعر مرَّة أخرى إلى المرد على شاعر آخر هو سلمان العجلي ويبدو أنَّ أسباب التباغض التي أثارتها علاقة الشاعر بسعد العجلي كانت من الحوافز المثيرة لدواعي الهجاء، فقد أجابه بقصيدتين، وتأتي أخبارُ متفرقة تؤكد صلته بعبيدالله بن زياد ومُرَّة بن محكان والأخوص وسُحيم بن وثيل الرياحي، ولكنها أخبارٌ لا تقدم الصورة المطلوبة ولا تدل على طبيعة العلاقة، ولا تحدد الصلة التي تشد بينه وبين هؤلاء.

---

(١) شعراء أمويون القسم الثاني /٣٦٦.

وتُعَدُّ مرثيته التي رثى بها الأبيرد أخاه بُريداً من جيد الشعر ومختار المراثي ويفتتحها بتطاول الليل الذي أمضاه بالتقلُّب فحال بينه وبين النوم وقد الحجر وهي صورة تذكِّرنا بليلة النابغة التي يقول فيها:

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبي
وليلٍ أقاسيه بطيءُ الكواكب

وتتعلَّق آمال الشاعر بنجوم ليل التمام وهو يطوف بأفكاره ويستعيد الذكرى، ويستلهم من سكونه العميق أحلام اللقاء والصحبة.. فتتجسَّد في فراقه صورة الموت، ووحشة الاغتراب، ووحدة الإنسان الذي تطبق عليه أحاسيس الخوف وبُريد في مرثية الشاعر لوحة متكاملة تتوفَّر فيها خصائص الكرم وأسباب المعالي وخيرة التبصر ووجاهة الرأي الحازم الذي تتطلع إليه عيون المترقبين، ولا بدَّ من الإشارة إلى أن الأبيرد كان يضفي على أخيه بُريد صفة (فتى) وهي إشارة كثرت في قصائد الشعراء واستخدمت في حالة الرثاء، تكرَّرت عند النابغة الجعدي وفي رثاء ليلى الأخيلية لتوبة بن الحُمَّير، وفي رثاء زينب بنت الطرْية لأخيها، وفي رثاء المرَّار لأخيه وفي رثاء أبي تمام لحميد الطوسي وفي رثاء كثير من الشعراء الذين حاولوا أن يصفوا المرثي بالصفات التي تجعله قوياً ومتمكناً وقادراً، وهي إشارة إلى إدراك هؤلاء الشعراء للدلالة المعنوية التي توحي بها هذه اللفظة على الرغم من تجاوز المرثي لمرحلة الشباب. ورثاء الأبيرد يكتسب طابع الحزن العميق، ويمثل اللوعة القاتلة وتلتقي في أهدافه معاني الرثاء التي وجدناها في الصور المألوفة التي وقف عندها الشعراء، ولم تكن هذه المعاني مريدة في أدب المراثي عند العرب وإنما هي أحاسيس يشترك فيها الناس حين تثيرهم دواعي الحزن، وتحرِّك وجدانهم أسباب الفرقة، وتحمِّلهم صور التفجُّع على أن يكونوا في مواقف يائسة لا تقوى على مجابهة الحدث، ولا تقاوم قدرة المأساة الهائلة، فالمرثي عزيز وغال له مكانته الكبيرة، ومقامه الرفيع ومركزه المرموق، وفقده يشكِّل فراغاً لا يعوَّض، ومكاناً لا يُسدّ، فهو

ملاذ لكل داع، ومُلَبٍّ لكل مستغيث، ومطعم لكل جائع. وهو بعد هذا يستحق البكاء، ولفقده تستجيب الدموع حتى تغنى، وتظل خصائص الشجاعة التي تتمثَّل في النموذج المقاتل هي الخصائص التي يتمتَّع بها المرثي وقيم الوفاء التي يتباهى بها الرجال هي القيم التي يتَّصف بها، بوجوده يحمي الحمى، ويُصان العرض، ويكثر العدد. ولا بدَّ أن تصاحب هذه الصفات عاطفة متأجِّجة يلهبها الودّ المحض، ومشاعر دامية يوقدها الإخاء الصادق والصحبة الدائمة، والرفقة الخالدة، لأنَّ فقدان الشخص الذي تمثل فيه هذه الصفات يُعَدُّ فاجعة لما يترتب عليه في عرف الشاعر، ! وما يوحيه هذا الفقد من دلالات، ولعلَّ روائع المراثي التي قدَّمت خلال العصور الأدبيَّة، وبقيت فرائدها الغوالي درراً في جيد الليالي يترنَّم بها المفجوعون، ويُنشدها المعذَّبون الذي تصيبهم الأيام بسهامها الملصمية، هذه المراثي كانت لوناً من ألوان التخفيف عن القلوب المفجوعة، وتعبيراً عن تراكم الألم الممضي الذي يطوي جوانح الإنسان فتستدّر بقسوته الدموع السخية ، وترتفع لخوافقه أصوات النواح المتهدجة. ويلازم الحزن بعض الناس أوقاتاً طويلة حتى يُضرب المثل بطول الحزن وامتداد التأثُّر واستدامة البكاء، ولهذا يمكن اعتبار هذا الغرض من الأغراض المؤلمة التي يُعبِّر فيها الإنسان عن المضامين الحقيقية للنفس عندما تُحس بالمصاب يقع، والفاجعة تنزل، والحياة المتآلفة تتبدَّد أحلامها. وقد تعوَّد الإنسان وهو يُجابه بحقيقة الموت والفرقة أن يقف مبهوتاً أمام هذه الظاهرة المروِّعة، حائراً لا يملك قدرة الردِّ، مذهولاً لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أمراً. فالموت في عرف الشعراء قضاء لا يمكن لهم أن يحولوا، دون وقوعه، وقدر لا مردّ لدفعه، وهنا يتملكهم اليأس، وتنتابهم الحيرة، ويعتريهم الذهول. وإظهار الفزع في مثل هذه الأحوال أبرز ظاهرة تتميَّز بها النفس عندما تتعرَّض لمثل هذا الامتحان. هذه العوامل الكامنة تتفجَّر في النفس، وتتناثر في طوايا المشاعر لتخلق منها مجموعة من العواطف تتعاون في إكمال الصورة المحزنة من دموع وحركات وصور وأشعار، وكلما كانت العوامل قويَّة ومؤثرة

كانت الدموع أغزر، والصور أروع والأشعار أدمى وأعنف.

والشعر في كثير من الأحيان أقدر على رسم الصورة، لأنهم يختزنون لوازمها، ويمتلكون القدرة على إظهار هذه اللوازم، ولهذا خلدوا بمراثيهم موتاهم على مرّ العصور، وكانوا وسائل تفريج لكثير من الناس الذين تخونهم أساليب التعبير عند فقدان عزيز، فدريد بن الصمة ولبيد بن ربيعة ومنمم بن نويرة والخنساء وكعب بن سعد الغنوي كانوا أمثلة لهذا التخليد ويأتي الأبيرد الذي فُجعَ بأخيه ضمن قائمة هؤلاء الشعراء لأنه بكّاهم بأرقّ الشعر، ونعاهم بأصدق ما يُنعى به إنسان ـ وتمثل لوحاته الشعرية الخالدة ألواحاً أخرى يمكن إضافتها إلى ألواح الرثاء الخالدة في الأدب العربي لما أظهره فيها من جزع، وأبداه من عواطف وأوضحه من صُور التفرُّق والتشتيت فهي مراث تصدر عن قلوب مفجوعة. ولهذا جادت معانيها وحسّنت ألفاظها، وهو كما كان الشعراء القدامى يبكون بموتاهم الصفات الحميدة والخصال المرموقة بكى أخاه ونعاه حتى كانت مرثيته من جيد الشعر مختار المراثي.

إنَّ ظاهرة التعبير عن الحزن، والإحساس بالألم، تؤكِّد أنَّ عاطفة الرثاء تنبعث من عاطفة الحب والحنين وتتوحَّد في قنوات التأثُّر والمشاركة الإنسانية، وتخضع لمؤثرات حسيَّة متشابهة وهذا يجعل أدبُ هذه الأغراض متقارباً من حيث المضامين والأشكال..

فجودة شعر الأبيرد ورقّته تمثّلت في هاتين الظاهرتين، وتجسَّدت في تأجيج هاتين العاطفتين اللتين مسَّتا أشدَّ المشاعر حسَّاً، وأرقِّها عاطفةً، وأكثرها توهجاً، حتى استثيرت في دواخله الكوامن، وتفجَّرت في أعماقه الخوافي، فقدم هذه النماذج، وإنَّ النماذج الشعرية التي بقيت من شعر هذا الشاعر تحمل هذا التصور الإنساني وتؤكد هذه النزعة الكريمة، ولا بدَّ أن تكون أشعاره الأخرى التي لم تصل أو ما تزال غير معروفة تحمل من هذه الأحاسيس ما يضيف إلى هذه الصور ألواناً جديدة، ومعاني جليلة..

والأبيرد مثل بقية الشعراء الذين ضاعت دواوينهم في خضّم الضياع المستمر الذي لاحق التراث العربي، فقد أشار إلى ديوانه الآمدي (توفي سنة: ٣٧٠) في المؤتلف والمختلف فقال «وله أشعار جياد حسان وديوان مفرد[١] ووصفه بأنه شاعر مشهور ومحسن مُقل[٢] وهي إشارة تؤكد شهرته وتفوُّقه وقدرته الشعرية، وإذا أضفنا هذه المقولة إلى مقولة أبي الفرج بأنه شاعر فصيح بدوي من شعراء الإسلام[٣] استطعنا أن نقف على منزلته الشعرية وطبقته التي عرف بها علماً أن المصدرين يجمعان على أنه ليس بمكثر. وربما كان ديوانه الذي أشار إليه الآمدي ديواناً صغيراً لا يرقى إلى دواوين الشعراء الآخرين من حيث كثرة القصائد. ولكن الشاعر يبقى في الحساب النقدي شاعراً مشهوراً وفصيحاً وله أشعار جياد وبعض قصائده تبقى معدودة في المختار من الشعر العربي.

إن هذا التعريف الذي حاولنا الوقوف عليه من خلال قصائده تكشف عن الصورة الفنيَّة التي عرف بها هذا الشاعر وتحدد الاتجاه الفني الذي استفرغ فيه شعره وبرع في تقديمه نماذج حسيَّة ومختارات أدبيَّة فريدة. وإن إضافته إلى مجاميع الشعراء في العصر الأموي يعطي هذا العصر وجهاً متميزاً وصورة أخرى من صور الزهو الشعري ويغنيه برافد من روافد العطاء الفني الأصيل.

(١) الآمدي: المؤتلف والمختلف ١/٢٧.
(٢) نفس المصدر ١/٢٦.
(٣) أبو الفرج. الأغاني ١٣/١٢٥.

شعر أبو عبدالله اليزيدي

ـ ١ ـ

قال أبو عبدالله اليزيدي قال: أنشدنا محمد بن حبيب للأبيرد بن المعذَّر الرياحي يرثي أخاه بُريداً:

[من الطويل]

١ ـ تطاول ليلى لم أنمه تقلُّباً
كأنَّ فراشي حال من دونه الجمرُ

٢ ـ أراقب من ليل التَّمام نجومَه
لدُنْ غاب قرنُ الشمس حتى بدا الفجرُ

٣ ـ تَذكُّر عَلقٍ بانَ منًّا بنصرهِ
ونائله يا حَبَّذا ذلك الذكر(١)

٤ ـ فإن تكن الأيام فرّقن بيننا
فقد عذرتنا في صحابته العُذُرُ

٥ ـ وكنتُ أرى هَجْراً فِراقَك ساعةً
ألا لا بَل الموتُ التفرُّق والهجرُ

(١) العلق: العزيز من كل شيء عليك، وقيل العلق: الشيء النفيس.

٦ - أحقّاً عبادَ الله أنْ لستُ لاقياً
بُرَيداً طوالَ الدهرِ ما لألأ العفرُ[1]

٧ - فتى ليس كالفِتيان إلا خيارَهم
من القوم جزلٌ لا قليلٌ ولا وعر[2]

٨ - فتى إن هو استغنى تَخَرَّقَ في الغِنى
وإن كان فَقرٌ لم يضعْ مَتنَه الفقر

٩ - وسامى جسيمات الأمور فنَالَها
على العُسر حتى يُدركَ العسرَة اليسرُ

١٠ - ترى القومَ في العزاء يَنْتظرونهُ
إذا شَكّ رأيُ القوم أو حَزَب الأمر[3]

١١ - فليتك كنتَ الحيّ في الناس باقيا
وكنتُ أنا الميتُ الذي أدرك الدهر

١٢ - فتى يشتري حسن الثناءِ بمالِهِ
إذا السنةُ الشهباءُ قل بها القطر

....

٨ - في العقد الفريد ٣/٢٧٣. لم يَؤُدْ متنه.
١٠ - في العقد الفريد ٣/٢٧٣ وروايته إذا شتَّ رأي القوم وهو أوفق للرواية.
١١ - في العقد الفريد ٣/٢٧٣ وروايته.. الذي ضَمَّه القبر.

---

(١) العربُ تقول لا آتيك ما لألأ العفر: أي ما حركت أذنابها الظباء.
(٢) الجزل من الرجال: الجيد الرأي وفي العقد ٣/٢٧٣.. لا ذليلٌ وَغُمرْ.
(٣) العزّاء: الشدة وحزَب الأمر: اشتدّ.

١٣ ـ كأنْ لم يُصاحبنا بُريدٌ بغبطةٍ
ولم تأْتِنا يوماً بأخبارِه البُشر

١٤ ـ لعمري لنعمَ المرء عالي نعيِّه
لنا ابنُ عزيز بعدما قصر العصر

١٥ ـ تَمضَّتْ به الأخبار حتى تَغلْغَلْت
ولم تُثنِها الأطباع دوني ولا الجُدر(١)

١٦ ـ فلما نعى الناعي بُريداً تَغوَّلت
بي الأرضُ فرطَ الحزن وانقطع الظهر

١٧ ـ عساكرُ تغشى النفس حتى كأنني
أخو نشوةٍ دارتْ بهامتِه الخمر

١٨ ـ إلى الله أشكو في بُريد مصيبتي
وبَثيّ وأحزاناً يَجيشُ بها الصدرُ

١٩ ـ وقد كنتُ أستعفي الإلّه إذا اشتكى
من الأجر لي فيه وإنْ سرَّني الأجرُ

٢٠ ـ وما زال في عينيّ بعدُ غشاوةً
وأُذني عَمَّا كنت أسمعه وقرُ

. . . .

١٤ ـ في العقد الفريد ٢٧٣/٣ وروايته بعدما خَخَ العصرُ.
١٥ ـ في العقد الفريد ٢٧٣/٣ ولم تَثْنِهِ الأطباع عَنّا.
٢٠ ـ في العقد وسمعيَ عما.

---

(١) الأطباع: الأنهار واحدها طِبع والجُدر جمع جدار.

٢١ ـ على أنني أقنـي الحيـاءَ وأتّقـي
شمـاتـةَ أقـوام عيـونُـهم خُـزرُ
٢٢ ـ فحيّاك منا الليـلُ والصبح إذ بـدا
وهُـوج من الأرواح غُـدوتهـا شهـرُ
٢٣ ـ سقىَ جَـدَثاً لـو أستطـيـع سقيتُـه
بـأْودَ فـروّاهُ الـروافـدُ والقـطرُ
٢٤ ـ ولا زال يُرعى من بلاد ثـوى بها
نبـاتاً إذا صـابَ الربيـع بها نضـرُ
٢٧ ـ حلفت بـربِّ الـرافـعين أكفَّـهم
وربِّ الهدايا حيثُ حَلَّ بها النحرُ
٢٦ ـ ومُجْتَمَـعَ الحُجـاج حيث تَـواقفتْ
رِفـاقٌ من الآفاقِ تكبيـرها جـأرُ[1]
٢٧ ـ يَمِينُ أمـري آلى وليسَ بكـاذبٍ
ومـا في يَمين بثّهـا صـادقٌ وِزرُ
٢٨ ـ لئن كان أمسى ابنُ المُعَذَّر قد ثوى
بُـريـدٌ لنعم المـرء غَيَّبـه القبـرُ
٢٩ ـ هو المرء للمعروف والدينَ والندى
ومِسعَر حربٍ لا كِهَـامَ ولا غُمرُ[2]

. . . .

٢٤ ـ في العقد ولا زال يُسقى من بلادٍ نباتٌ.

---

(١) الجؤار: الاسم من جأر وهو صوتٌ مع تَضرّع.

(٢) الكهام: الجبان والضعيف.

٣٠ ـ أقــام ونــادى أهـلَه فَتَــحــمَّــلوا
وصُرّمتْ الأسباب واختلف النَّجرُ[١]

٣١ ـ فـأيَّ امريء غـادرتمُ في بيـوتكم
إذا هي أمست لـونَ أفاقهـا حُمـر

٣٢ ـ إذا الشول راحت وهي حُدب ظهورها
عجافاً ولم يُسْمَعْ لفحل لهـا هَدِرُ

٣٣ ـ كثيــرُ رمـادِ القــدرُ يغشى فِنــاؤه
إذا نُـوديَ الأيسارُ واحتُضـر الجُزْر

٣٤ ـ فتىً كان يُغلي اللحم نيئاً ولحمُه
رخيصٌ بكفّيــه إذا تُنــزلُ القــدرُ

٣٥ ـ يُقسمهــا حتى تشيَــع ولـم يكُـنْ
كـآخرَ يُضحى من غبيبته ذخْـرُ[٢]

٣٦ ـ فتى الحرب والأضياف إنْ رَوَّحْتَهم
بَليلٌ وزادُ القوم إن أرمل السَفْر[٣]

....

٣٢ ـ في العقد ٣/٢٧٤ . . إذا الشول أمست.

٣٣ ـ في العقد كثير رماد النار.

٣٥ ـ في العقد يُقَسِّمه حتى يشيع.

٣٦ ـ في العقد فتى الحي والأضياف.

---

(١) النجر: الخلقة، والأصل واللون.

(٢) الغبيبة: أي ما غبَّ منه يعني اللحم وقيل الغبيبة: اللحم المتغيِّر الريح.

(٣) البليل: الريح الباردة التي معها بلل، وأرمل السفر: نفدت أزوادهم.

٣٧ ـ إذا جَهِدَ القومُ المطيُّ وأَدرجتْ
من الضُّمر حتى يبلغَ الحَقَبَ الضفر [١]

٣٨ ـ وخَفَّت بقايا زَادهم وتَواكلوا
وأكسفَ بالَ القوم مَجهولةٌ فَقْر [٢]

٣٩ ـ رأيتَ له فَضْلاً عليهم وقُوَّةً
وبالعقر لما كان زادُهُم العقر

٤٠ ـ إذا القومُ أَسَروا ليلة ثم أصبحوا
غدا وهو ما فيه سِفاط ولا فترُ

٤١ ـ وإن خشعت أبصارهم وتضاءَلتْ
من الأينَ جَلَّى مثل مَا ينظر الصقرُ [٣]

٤٢ ـ وإن جارةٌ حَلَّتْ إليه وفَى بها
فبانتْ ولم يُهتك لجارته سِتر

٤٣ ـ عفيفٌ عن السوآت ما التَبسَتْ به
صليبٌ فما يُلقى بعُودِ له كسرُ [٤]

....

٣٩ ـ في العقد ٣/٢٧٥ .. رأيت له فضلاً عليهم بقوَّته.

٤٠ ـ في العقد ٣/٢٧٥ .. إذا القوم أسروا ليلَهم.

٤٢ ـ في العقد ٣/٢٧٥ .. حَلَّت إليه وَفى لها..

---

(١) ناقة مدراجَ: التي تؤخر حملها. الضفر: الحبل المضفور يجعل في أعالي الحمل والحقب في أسفله فيقول من شدة ضمره بلغ الأعلى الأسفل.

(٢) تواكلوا: ضعفوا.

(٣) جَلّى: بيّن، وجلّى ببصره: إذا رمى به.

(٤) يُلقى: يوجد.

٤٤ ـ سلكت سبيلَ العـالمين ومـا لهم
وراءَ الذي لاقيت مَعْدِيٌّ ولا قصرُ [1]

٤٥ ـ وكـلُّ امريء يـوماً مُـلاقٍ حِمَامَـه
وإن نـأت الدعوى وطال به العمر

٤٦ ـ وأبليت خيـراً في الحيـاة وإنمـا
ثوابُك عندي اليوم أن يُنطقَ الشعر [2]

٤٧ ـ ليَفْـدِك مَـولى أو أخٌ ذو ذِمـامـةٍ
قليـل الغَنَـاء لا عَـطَاء ولا نصـرُ

٤٤ ـ في العقد ٣/٢٧٥.. العالمين فما لهم..
٤٥ ـ في العقد ٣/٢٧٥.. وإن دانت الدنيا وطال به العمر..
٤٦ ـ في العقد.. فأبليت خيراً.

* * *

تخريج القطعة

الأبيات [١ ـ ٤٧] في أمالي اليزيدي ٢٦ ـ ٣١ الأبيات في العقد الفريد ٣/٢٧٢ ـ ٢٧٥.

والأبيات [١ ـ ٤٣] عدا الأبيات ٧، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١ في الأغاني ١٣/١٣٥ ـ ١٣٨.

وقال أبو علي القالي: حدثنا أبو بكر بن الأنباري أن أباه أنشده عن أحمد بن عبيد عن ابن الكلبي لسلمة بن يزيد يرثي أخـاه لأمه قيس بن سلمة.. وذكر أبيـاتاً. وعقب البكـري في السمط ٢/٧٠٨ على الأبيات

(١) معدّي: متقدم. وقصر: متأخر.
(٢) يُنطق الشعر: يبين.

. . . .

بقوله: وأنشد محمد بن يزيد أبياتاً من أول هذا الشعر للأبيرد اليربوعي يرثي أخاه بُريداً، ويعقب على ذلك بقوله: والصحيح أنَّ أوله لسلمة. وقد خلط أبو علي فيه أبياتاً من قصيدة للأبيرد المشهورة التي يرثي بها أخاه بُريداً وهي من قوله:

فتى كان يعطي السيف في الروع حقه..

وعند رجوعي إلى القصيدة في الأمالي لم أجد أثراً لهذا البيت في قصيدة الأبيرد ويبدو أنَّ خلطاً وقع في القصيدة حتى أصبحت هذه الأسماء تتردَّد عند نسبتها.

* * *

ـ ٢ ـ

قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال: أكسُني بردين أدخل بهما على الأمير ـ يعني عبيدالله بن زياد ـ وكساه ثوبين فلم يرضهما فقال فيه:

١ ـ أحارثُ أمسك فضلَ بُرديك إنَّما
أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا

٢ ـ وكنتُ إذا استمطرتُ منكَ سحابةً
لتمطرني عادت عجاجاً وسافيا[1]

٣ ـ أحارثُ عاودْ شُرْبَكَ الخمر إنني
أرى ابن زيادٍ عنك أصبح لاهيا

٤ ـ أرى فيكَ رأياً من أبيه وعمّه
وكان زيادٌ ماقتاً لك قاليا

---

(١) السافي: الريح تحمل تراباً.

٥ - ألا ليتَ حـظِّي من غُـدانـة أنهـا
تكـونُ كفـافـاً لا عليَّ ولاليـا[١]

٦ - أبى الله أن يهـدي غُدانـة للهـدى
وأن لا تكون الدهـر إلَّا مواليـا[٢]

٧ - فلو أنَّني ألقى ابن بـدرٍ بمـوطنٍ
نَعُـدُّ بـه من أوّلينـا المسـاعيـا[٣]

٨ - تـقـاصَـر حتى يستقيـدَ وبَـذَّهُ
قُـرومٌ تسامى من ريـاح تساميـا[٤]

٩ - أيا فارطَ الحي الذي قد حشا لكم
من المجدِ أنهاءً مِـلاءَ الخوابيـا[٥]

١٠ - وعمّي الـذي فـكَّ السميدع عنوةً
فلست بنعمى يا ابنَ عقربَ جازيا

١١ - كـلانـا غنيٌّ عن أخيـه حيـاتَـهُ
ونـحن إذا مِـتنـا أشـدُّ تـغـانيـا

١٢ - ألَمْ تـرنا إذْ سقتَ قـومَك سـائلاً
ذوي عـددٍ للسـائلين مَعـاطيـا

---

(١) الكفاف: ما يكفّ عن الناس ويغني.
(٢) الموالي: العبيد.
(٣) المساعي: مآثر أهل الشرف والفضل.
(٤) استقاد: ذلَّ وخضع. القروم: السادة. ورياح: اسم قبيلة.
(٥) الفارط: السابق لإصلاح الحوض والدلاء. والأنهاء: جمع نهي وهو الغدير. والخوابي: حوض يجتمع فيه الماء.

١٣ - بني الـردفِ حَمّالينَ كُـلّ عظيمـةٍ
إذا طَلَعَت والمتـرِعين الْجَـوابيـا(١)

١٤ - وإنَّا لَنُعطي النِّصفَ من لو نضيمه
أقـرَّ ولكنَّـا نـحبُّ الـعـوافيـا(٢)

الأبيات [١ - ١٤] في الأغاني ١٣/١٢٦ - ١٢٨.
والأبيات [١ - ٦] في مختار الأغاني ١/٣٤٥.

وفي مهذب الأغاني الأبيات [١، ٢، ٣] والبيت [١١] في طبقات ابن المعتز /١٠٦ وشواهد المغني /٥٥٥ وينظر ذيل اللآلي /٧٣ والكامل /١٨٣.

* * *

- ٣ -

قال الأبيرد يمدح مُرَّة بن محكان.

١ - لله عـينـا مـن رأى مـن مُـكـبَّـلٍ
كمـرّة إذْ شُـدَّتْ عليه الأداهم(٣)

٢ - فـأبـلغْ عبيـدالله عـنّي رسـالـةً
فـإنَّـك قـاضٍ بـالحكـومـةِ عــالم

٣ - فإنْ أنتَ عاقبتَ ابن محكان في الندى
فعــاقب هـداكَ الله أعظم حاتم(٤)

---

(١) الجوابي جمع جابية، الحوض يجمع فيه الماء.
(٢) نضيمه: نظلمه والظلم علامة القوة. العوافي جمع عافية. السلامة.
(٣) الأداهم: جمع ادهم وهو القيد.
(٤) حاتم: أي جواد كحاتم.

٤ ـ تعـاقب خِـرقـاً إنْ يجـود بمـالـه
سعى في ثـأي من قـومه متفاقم[١]

٥ ـ كـأنَّ دمـاءَ القـوم إذْ علقت بـه
على مكفهرٍ من ثنـايا المخارم[٢]

الأبيات [١ ـ ٥] في الأغاني ١٣/١٣٣.

* * *

ـ ٤ ـ

قال الأبيرد لعرادة:

١ ـ شـرى مـائـةً فـأنهبهـا جميعـاً
وبتَّ تقسم الـحـذف النـقـادا[٣].

البيت في الأغاني، ١٣/١٣٢.

* * *

ـ ٥ ـ

وقال الأبيرد يرثي أخاه بريداً وذكر منها ستة أُبيات وقال: وهي قصيدة طويلة:

١ ـ إذا ذكـرت نفسي بُـريـداً تحـاملت
إليَّ ولم أمـلك لعـينـي مَـدمعـا

٢ ـ وذكَّـرنيـك النـاسُ حين تحـامَلوا
عليَّ وأضحوا جلدَ أجرب مُولعا[٤]

---

(١) الثأي: كالسعي والثري: الافساد والجرح والقتل ونحوه.
(٢) المكفهر: الضارب لونه إلى الغيرة مع غلط والمخارم جمع مخرم: الطريق في الغلظ.
(٣) النقاد: جمع نقد بالتحريك: جنس من الغنم قبيح الشكل.
(٤) المولع: ما فيه خطوط.

٣ ـ فلا يُعيدنك الله خيرَ اخي امريء
فقد كنت طلّاع النِّجادِ سميدعا[1]

٤ ـ وَصولاً لذي القُربى بعيداً عن الخنا
إذا ارتادَك الجادي من الناس أمرعا[2]

٥ ـ أخو ثقةٍ لا ينتحي القوم دونه
إذا القومُ خالوا أو رجا الناس مطمعا

٦ ـ ولا يركب الوجناء دون رفيقهِ
إذا القوم أزجَوهنَّ حَسرى وظُلّعا[3]

الأبيات [١ ـ ٦] في الأغاني ١٣/١٣٨.

* * *

ـ ٦ ـ

وقال الأبيرد وهو يهجو طلبة بن قيس بن عاصم:

[من الطويل]

١ ـ قضى الله حقاً يا ابنَ قيس بن عاصم
وكان قضاءُ الله لا يتبدَّل

٢ ـ بأنَّك يا طلبَ بن قيس بن عاصمٍ
مقِيمٌ بدار الذُّل لا تترحَّل

(١) النجاد: جمع نجد: المرتفعات، وطلاع النجاد: ضابط الأمور فيما يعجز عنه غيره والسميدع: الكريم.
(٢) الجادي: طالب العطاء.
(٣) الوجناء: الناقة السريعة والحسرى: الكليلة.

٣ ـ أبـت لـك أعـراقٌ وأمٌ لئيـمـةٌ
وخـالٌ قصيـرُ البـاعِ وَغْـدٌ مُنَكَّـلُ

الأبيات في ثمار القلوب للثعالبي /٣٤٥.
وفي طبقة أخرى من ثمار القلوب ٢٧٦ ـ ٢٧٧
رواية الثاني.. تصبح بدار الذل..

* * *

ـ ٧ ـ

وقال الأبيرد:

١ ـ أخـذنـا بـآفـاق السمـاء فلم نَـدَعْ
لسلمـانَ سلمان اليمـامة منـظرا

٢ ـ من القُـلْح فَسّـاءٌ ضـروطُ يُـهـرّهُ
إذا الطير مراتٍ على الدوح صرصرا[1]

٣ ـ وأقـلح عـجـلي كـأنَّ بـخـطـمـهِ
نـواجـذ خـنـزيـرٍ إذا مـا تكشَّـرا[2]

٤ ـ يـزلُّ النـوى عن ضِـرسـه فيـردُّه
إلى عارضٍ فيه القـوادح أبخرا[3]

(١) القلح بالضم جمع أقلح وهو: الفاسد الأسنان يهره: يجعله يهر كالكلاب لفزعه.
(٢) الخطم: مقدم الفم والأنف. وأصله للدواب.
(٣) القوادح: جمع قادح أُكال بضم أوله يوجد في الأسنان.

٥ - إذا شـربَ العجليُّ نجّس كـأسَـه
وظَلَّتْ يكفيْ جأنبٍ غير أزهـرا(١)

٦ - شـديدُ سـوادِ الوجـه تحسب وجهه
من الـدم بين الشـاربين مُقيَّـرا(٢)

٧ - إذا مـا حسـاهـا لم تـزِده سماحةً
ولكنْ أرتـه أن يَصـرَّ ويحصـرا(٣)

٨ - فـلا يشربَنْ في الحي عجـلٌ فإنَّـه
إذا شرب العجليُّ أخنى وأهجرا(٤)

٩ - يُقـاسي نـدامـاهم وتلقي أنـوفهم
من الجدع عند الكأس أمراً مذكرا(٥)

١٠ - ولم تك في الإشراك عجل تذوقها
ليـالي يسبيهـا مقـاولُ حميـرا(٦)

١١ - ويُنفق فيهـا الخنظليـون مـا لَهُمُ
إذا مـا سعى منهم سفيهٌ تجبّـرا

١٢ - ولكنهـا هـانت وحُـرِّم شـربهـا
قـالت بنو عجـلٍ لما كـان أكفـرا

---

(١) الجأنب: القميء القصير الذليل.
(٢) مقيّر: مطلي بالقار.
(٣) يصر: أصل الصر الجمع والشد: يحصر: يبخل.
(٤) أخنى: قال الخنا وهو الفحش وأهجرا: قال هجراً وقولاً منكراً.
(٥) الجدع: القطع والمذكر: الشديد.
(٦) يسبيها: يشتريها. والمقاول: جمع مِقول كمنبر. الملك من ملوك حمير.

١٣ ـ لعمـري لئن أُزنتُم أو صحـوتـم
لبئسَ النـدامى كنتمُ آل أبجـرا[1]

الأبيات [١ ـ ١٣] في الأغاني ١٣/١٣١ ـ ١٣٢.
والبيت الحادي عشر في المعاني الكبير ٢/٥٠٤ والبيتـان [١٣، ١٤] في الصحاح / ١٤٣٠.
والبيت الثالث عشر في جمهرة اللغة ٣/١٣ وديوان لبيد / ١١.

* * *

ـ ٨ ـ

قال الأبيرد يهجو حارثة بن بدر:

١ ـ زعمت غُـدانـةُ أنَّ فيهـا سيـداً
ضخمـاً يـواريـه جَنـاحُ الجُنـدبِ
٢ ـ يُـرويه مـا يُـروي الـذبـاب وينتشي
لـؤمـاً ويـشـبـعـه ذراعُ الأرنـب

٢ ـ في حيوان الجاحظ ٦/ ٣٥١.. سكراً ويشبعه كراعُ الأرنب.
وقال الجاحظ وإنما ذكر كُراعَ الأرنب من بين جميع الكراعات لأن الأرنب هي الموصوفة بقصر الذراع وقصر اليد، ولم يُرد الكراع فقط وإنما أراد اليد بأسرها، وإنما جعل ذلك لها بسببٍ نحن ذاكروه إن شاءَ الله تعالى..
البيتان في الأغاني ١٣/١٢٧ وقد اعتمدت رواية الأغاني أصلاً لأنه أوسع مصدر لشعر الشاعر. ولهذا كان له السبق في التخريج على خلاف ما

---
(١) أزنتم: أتهمتُم.

هو معروف في اعتماد المصدر القديم وترتيب المصادر الباقية على وفق قدمها التاريخي.

وهما في الحيوان ٦/٣٥١ غير منسوبين والكنايات /١٢٥.

* * *

ـ ٩ ـ

وقال الأبيرد:

١ ـ خليليّ هل يَشفي النفوسَ من الجوى
بُدُوٌّ ذوي الأوطان لا بلْ يَشُوقُها[1]

٢ ـ وتــزدادُ في قُـرْبٍ إليهـا صَبَـابَـةً
ويَبْعُـدُ من فَـرْطِ اشتيـاقٍ طـريقُهـا

٣ ـ وما ينفع الحَرّان ذا اللَّوح أن يرى
حِياضَ القِرَى مَملوءَةً لا يذوقها[2]

الأبيـات [١ ـ ٣] منسوبـة لبعض الأعـراب في أمـالي المـرتضى ٢/١٥٠.

والأول والثالث في الأشباه والنظائر ٢/٢٢٥ منسوبة إلى الأبيرد ورواية الأول:

نَشـدتُـك هـل يشفي النفـوس ذوي الهـوى
بـدوٌّ ذُرى أعـلامـكـم أم تـشـوقـهـا

والثالث:

---

(١) البُدو: الظهور من بدا يبدو إذا ظهر.

(٢) اللوح: العطش.

وهـل يـنـفـع الـعـطشـان بـالله أن يـرى
حـيـاض الـعـدى.........

* * *

ـ ١٠ ـ

وقال:

١ ـ فـألقت عصا التسيـار عنها وَخَيّمتْ
بأرجاء عَذْب الماء زرقٍ محـاضِرهُ

٢ ـ أزال القـذى عن مائـه وافِدُ الصبـا
يـروح عليـه قـاسمـاً ويبـاكـرهُ

....

البيتان في زهر الآداب /١٨٥ والأول في ديوان زهير /١٤.

* * *

ـ ١١ ـ

كان الرياحي يهوى امرأةً من قومه ويُجَنُّ بها حتى شُهِرَ ما بينهما، فحجبت عنه، وخطبها فأبَوا أن يزوجوها إيَّاه، ثم خطبها رجل من ولد حاجب بن زُرارة، فزُوّجته فقال الأبيرد في ذلك:

١ ـ إذا ما أردتَ الحسنَ فانظر إلى التي
تَـبَغـىَّ لقـيط قـومَـه وتَخـيَّـرا[١]

٢ ـ لهـا بشـرٌ لـو يـدرُجُ الـذرّ فـوقـه
لبـانَ مكـان الـذُّر فيـه فـأثَّـرا[٢]

---

(١) تبغّى لقيط قومه: طلب إليهم أن يُساعدوه ويتخيروا له ذات النسب.

(٢) البشر: الجلد. والذّر: صغار النمل.

٣ ـ لعمري لقد أمكنت مِنا عدوَّنا
وأقررتِ للعادي فأخنى وأهجرا(١)

الأبيات [١ ـ ٣] في الأغاني ١٣/١٢٥.

* * *

ـ ١٢ ـ

قال أبو حاتم في كتاب المُعمرين /٥١ وعاش الأبيرد بن المُعَذَّر الرياحي مائة وعشرين سنة، وقال بعضهم بل هو الأبيرد بن الحارث من تميم الرباب بن عبد مناة بن أد بن طابخة وقال في ذلك.

١ ـ ألا هَزِئتْ مودَوْدُةُ اليومَ أن رأتْ
شُكيرَ أعالي الرأسِ منِّي تَلَفَّعا(٢)

٢ ـ وأن شابَ أصداغي وعَمَّم مَفْرِقي
مَشيبٌ وأمسى لونُ وجهي أسْفَعا(٣)

٣ ـ فقُلتُ لها لاَ تَهْزَئي من مُجَرَّبٍ
ترامَتْ به الأيام حتى تَسَعْسَعَا(٤)

٤ ـ فإنك لو صاحبتني لم تَعَتَّبي
ولم تَجِدي فينا لكفِّيكِ مَصْنَعا

(١) أقررت: خضعت. وأخنى: قال الخنا وأهجر: قال هجراً.
(٢) الشُكير: هو الشعر الذي في أصل عرف الفرس كأنه زغب، وكذا في الناصية، أو هو ما نبت من صغير الشعر بين كبيره.
(٣) اللون الأسفع: الأسود المشرّب حمرة.
(٤) سعسع الشيخ. قارب الحظو واضطرب من الكبر.

٥ ـ لَيَالي لَوْني واضِحٌ وذُؤابتي
غرابيبُ في رأس امريءِ غير أنْزَعا[1]

. . . .

الأبيات [١ ـ ٥] في كتاب المعمرين /٥٢.

* * *

ـ ١٣ ـ

وقال الأبيرد:

[من الطويل]

١ ـ ألم تَر أنَّ ابن المعذَّر قد صحا
وودّع ما يَلحى عليه عواذلُه[2]

٢ ـ غدا ذو خلاخيل عليّ يلومُني
وما لومُ عَذّال عليه خلاخله[3]

٣ ـ فدع عنك هذا الحلي إن كنتَ لائمي
فإني امرؤ لا تزدهيني صَلاصله[4]

٤ ـ إذا خطرت عنسٌ به شدنيَّةٌ
بمطَّرد الأرواح ناءٍ مناهله[5]

---

(١) الذؤابة: الشعر في أعلى الناصية وغرابيب جمع غربيب وهو الشديد السواد الذي والذي لا يشيب شعر رأسه.

(٢) يلحى: أي يلوم.

(٣) أي لا أهتم بلوم من هو كالنساء يلبس الخلاخل.

(٤) صلاصله: رنينه وصوته.

(٥) العنس: الناقة الصلبة والشدنية من الإبل منسوبة إلى موضع باليمن.

٥ ـ تبيَّن أقوامٌ سفاهةَ رأيهم
تَرَحَّل عنهم وهو عفٌّ منازله

٦ ـ لهم سجلسٌ كالرُّدنِ يجمع مجلساً
لئاماً مساعيه كثيراً هتامله[1]

٧ ـ تبرأتُ من سَعْدٍ وخُلَّةَ بيننا
فلا هو مُعطيني ولا أنا سائله

٨ ـ متى تنتج البلقاء يا سعد أم متى
تُلقَّحُ من ذات الرباط حوائله[2]

٩ ـ يُحدِّث سعد أن زوجته زنت
ويا سعد إنَّ المرءَ تزني حلائله

١٠ ـ فإنْ تسمُ عيناها إليَّ فقد رأتْ
فتىً كحسام أخلَصتْهُ صياقله[3]

١١ ـ فتىً قُدَّ قدّ السيف لا متضائِلٌ
ولا رِهلٌ لبَّاتُهُ وأباجِلُهْ[4]

الأبيات [١ ـ ١١] في الأغاني ١٣/١٢٩.

=

(١) جعله كالردن وهو أصل الكُمْ في ضيقه وقلَّة عددهم والهتملة: الكلام الخفي.

(٢) الرباط: الخيل أو الخمس منها فما فوقها، والمرابطة: أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة وكل معد لصاحبه. والحوائل: جمع حائل وهي التي حمل عليها فلم تلقح، والتي لم تلقح سنة أو سنتين أو سنوات.

(٣) الصياقل: جمع صيقل.

(٤) الرهل: المسترخي ولباته جمع لبَّة وهي موضع النحر. والأبجل عرق غليظ في اليد أو الرجل.

....

= والبيت [١١] في الشعر والشعراء / ٣٤٠ والأشباه والنظائر / ٣٣٥.
والخصائص ١/ ٧٩ ومقاييس اللغة ٢/ ٤٠٢ والصحاح ٤/ ١٦٢٩.
ونظام الغريب / ٢٥ والمخصص ١/ ١٦٠ واللسان والتاج [بادل].
وقال صاحب الأغاني ١٣/ ١٣٠ وهذا البيت الأخير يروى للعجير السلولي. ولأخت يزيد بن الطثرية.

* * *

ـ ١٤ ـ

وقال الأبيرد يجيب سلمان العجلي..

[من الوافر]

١ ـ عَوى سَلمانُ من جَوٍّ فلاقى
أخو أهل اليمامة سهمَ رامي

٢ ـ عَوى من جبنه وشقيُّ عجلٍ
عُواءَ الذئب مُختلطَ الظَلَام[1]

٣ ـ بنو عجلٍ أذلُّ من المطايا
ومن لحمِ الجَزور على الثُّمامِ[2]

٤ ـ تحيّا المسلمون إذا تلاقَوا
وعجلٌ ما تحيّا بالسلام

٥ ـ إذا عجليّةٌ ولدت غُلاماً
إلى عجلٍ فقُبِّحَ من غلام

---

(١) يعني يشقى عجل، سلمان العجلي، مختلط الظلام، أي وقت اختلاط الظلام.
(٢) الجزور، البعير أو خاص بالناقة المجزورة والثمام: نبت خفيف ويقصد أنهم كالشريحة الصغيرة يتحملها هذا النبت الضعيف وذلك لحقارته.

٦ ـ يمصُّ بثديها فرخٌ لئيم
سُلالةُ أعبدٍ ورضيعُ آمٍ(١)

٧ ـ خبيثُ الريح ينشأ بالمخازي
لئيم بين آباءٍ لئام

٨ ـ أنا ابنُ الأكرمين بني تميمٍ
ذوي الآكالِ والهمم العظام(٢)

٩ ـ وكائن من رئيس قَطّرته
عواملنا ومن ملك هُمام(٣)

١٠ ـ وجيشٍ قد ربعناه وقومٍ
صبحناهُ بذي لجب لُهام(٤)

....

الأبيات [١ ـ ١٠] في الأغاني ١٣/١٣٠ ـ ١٣١.

* * *

ولا بدَّ من الإشارة إلى ظاهرة الاختلاط الشعري الذي رافقت شعر الأبيرد في بعض أبياته وخاصة فيما تشابهت قوافيه واتَّحدت معانيه واتَّفقت أغراضه وهي ظاهرة لم تقتصر على الأبيرد وحده وإنما غلبت على كثير من الشعراء لأسباب سبق أن أشرت إليها عند بروزها في شعر شاعر، ولعلَّ أكثر القصائد تدافعاً هي القصائد المشهورة، وتعدُّ قصيدة الأبيرد الرائية في رثاء أخيه من تلك القصائد التي تداخلت فيها الأبيات ومواضع

---

(١) الآم جمع أمة. المملوكة غير الحرة.
(٢) ذوو الآكال: سادة الأحياء الآخذون للمرباع، وآكال الملوك مآكلهم.
(٣) قطرته: صرعته. وعواملنا: رماحنا.
(٤) اللهام: الجيش العظيم.

تخريجها في شعره تؤكد هذه الحقيقة فقد نسبت الأبيات:

فتى كـان يُـدنيـه الغنى من صـديقـه
إذا مـا هو استغنى ويُبعـده الفَقْـرُ
فتىً لا يُعـدُّ المـال رَبّـاً ولا تُـرى
بـه جَفْـوَةٌ إن نـال مـالاً ولا كِبـرُ
فتىً كان يُعطي السيف في الروع حقّه
إذا ثوّبَ الداعي وتشقى به الجَزرُ
وهـوّن وجـدي أنني سـوف أغتـدي
على أثـره يومـاً وإنْ نفّسَ العمرُ

وعلّق صاحب الكامل على هذه الأبيات[1] بقوله: وبعضهم يقول: هي للأبيرد الرياحي ثم يذكر بيتاً آخر ويمكن مراجعة تخريج القصيدة للوقوف على أشكال الخلط التي اعترتها.. والأبيات هذه يستشهد بها الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في طلحة بن عُبيدالله رضي الله عنه والمعروف أن الأبيرد عاش بعد هذه الفترة ومن غير المعقول أن يستشهد الإمام علي بشعره وبينهما من الفترة الزمنية ما يبعد بينهما هذا اللقاء..

وفي القصيدة اليائية نسب لبيت:

كـلانـا غـنيٌّ عـن أخيـه حيـاتـه
ونـحن إذا مُـتنـا أشـدُّ تـغـانيـا

إلى أكثر من شاعر فنسب إلى عبدالله بن معاوية وسيَّار بن هبيرة بن ربيعة والمغيرة بن جنباء ونصيب الأصغر وينظر تخريج البيت في شعر عبدالله بن معاوية بتحقيق الأستاذ عبد الحميد الراضي بغداد ١٩٧٦ وتحقيق

(١) المبرد. الكامل / ١٨٤ ـ ١٨٥.

الدكتور عبد الجبار المطلبي ١٩٧٦ وهي تخريجات تؤكد تدافع البيت بين اليائيّات المشهورة.

ونسب بيت الأبيرد المذكور ضمن قصيدته اللامية:

فتىً قُدّ قدَّ السيف لا متضائِلٌ
ولا رهلٌ لبَّاتُه وأباجله

إلى زينب بنت الطثرية في رثاء أخيها وقيل لأم يزيد ونسب إلى العجير السلولي وينظر تخريجه في المخصص ومقاييس اللغة ونظام الغريب ونوادر أبي مسحل..

ويمكن أن يقال هذا الكلام في الأبيات الأخرى التي تدافعت فيها النسبة كما جاء ذلك في نسبة أبيات.

زعمت غدانة..

إلى زياد الأعجم كما ذكر الجرجاني في الكنايات.

ونسب البيتان:
فألقت عصا التسيار..

إلى المضرس الربعي في زهر الآداب..

إن هذه الظاهرة ليست غريبة ولكنها تؤكد اختلاط الشعر وخاصة ما تقاربت معانيه وتوحَّدت قوافيه وبسبب عدم وجود دواوين الشعراء الذين نسبت إليهم هذه الأبيات، لأن وجودَها وتوثيق روايتها يبطل النسبة، ويسقط الحجة، ويوثق الرواية الصحيحة التي تصح فيها نسبة البيت ومع أنَّ الدراسة التحليلية ومعرفة المفردات التي يتداولها الشاعر والسياق الذي يستخدم فيه اللفظة يمكن أن تكون إشارة متميِّزة في هذا المجال إلَّا أن الوقوف على صحة البيت منسوباً في رواية ديوان موثوق تبقى هي العامل الحاسم في مثل هذه الأحوال.

عَبْدُ اللهِ بْنُ الحَجَّاج



حياته وشعره

عبـدالله بن الحجـاج بن محصن بن جُنْـدُب من سعـد بن قيسٍ بن عيلان بن مضر، ويكنّى أبا الأقرع و (أبا الأقيرع)، كان شاعراً فاتكاً شجاعاً ومن الفرسان المعدودين من فرسان مضر، ذوي البأس والنجدة منهم. خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص (والي مكة سنة ستين) ثم ولي المدينة بعد عزل الوليد بن عتبة عنها[1] فأصبح عاملاً على مكة والمدينة[2].

وفي سنة إحدى وستين عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وولّاها الوليد بن عتبة[3] وخرج عمرو بن سعيد سنة اثنتين وستين للهجرة، وكان ضمن الشهود الذين ألقيت شهاداتهم[4]، لقّبه الطبري بالثعلبي[5] وكذلك سمّاه أبو الفرج في حديثه مع عبد الملك[6]، ويضيف أبو الفرج في خبر آخر فيقول: وكان صعلوكاً من صعاليك العرب، وكان متسرّعاً إلى الفتن، ولما ظفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير فكان معه حتى قُتل ثم اندسَّ إلى

(١) الطبري. تاريخ الطبري ٥/٣٤٣، ٣٩٩.

(٢) الطبري. تاريخ الطبري ٥/٣٩٩.

(٣) الطبري. تاريخ الطبري ٥/٤٧٤.

(٤) الطبري. تاريخ الطبري ٥/٢٧٠.

(٥) الطبري. تاريخ الطبري ٥/٢٧٠.

(٦) أبو الفرج. الأغاني ١٣/١٦٣.

عبد الملك فكُلِّم فيه فأمَّنه[1] وحضر مجلس عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ست وثمانين وقبله وفد إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه وكانت وفاة عبد العزيز سنة خمس وثمانين..

وصورته وهو يحظى بخصائص الفتك والشجاعة والفروسية والصعلكة تجدد لنا جانباً من حياة الفروسية التي كانت تنطوي تحتها كثير من هذه الخصائص لتتحول في بعض المفاهيم إلى صعلكة وفتك، وهي تعبّر عن الجرأة والإقدام والمجابهة التي عرف بها هذا الشاعر وهو يتّصف بهذه الصفات التي بقيت ملازمة له، ومجتمعة في شخصه وتؤكد طبيعة الحوار الذي دار بينه وبين عبد الملك بعد دخوله عليه، واحتياله في طريقة الدخول على تسرعه في اتّخاذ المواقف، وتردده في الاستجابة لما تفرضه طبيعة الأحداث ويوجبه منطق العقل، وقد أدّى به ذلك إلى أن يقع في حالة التناقض، ويتحمّل تبعات التسرُّع.

ويقف أبو الفرج مرَّة أخرى عند خروج عبدالله بن الحجَّاج مع نجدة بن عامر الحنفي الشاري (قتل سنة اثنتين وسبعين)[2]، فلما انقضى أمره هرب، وضاقت عليه الأرض من شدَّة الطلب قال أبياته المشهورة.

رأيت بلادَ الله وهي عريضةٌ
على الخائف المطرود كَفَّة حابل
تؤدي إليه أن كلَّ ثنيَّةٍ
تيمَّمها ترمي إليه بقاتل

ثم لجأ إلى أُحيح بن خالد بن عقبة بن أبي مُعيط، فسعى به إلى

---

(١) أبو الفرج. الأغاني ١٣/ ١٦٠.

(٢) الطبري. تاريخ الطبري ٦/ ١٧٤.

الوليد بن عبد الملك فبعث بالشُرُط، فأُخذ من دار أحيح، فأُتي به الوليد فحبسه[1].

وإذا كانت أبياته المشهورة بقيت موضع استشهاد لكل الذين وجدوا فيه نموذجاً للخوف والذعر فإن حياة الشاعر وما عرف عنه من تشرُّد وأصيب به من ذعر حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وانحسرت دائرتها حتى أصبحت من الصور المتكرِّرة في شعره بعد أن اشتدَّت به حالة الحرج وهو يجابه المصير المنتظر حتى كانت مثار انتباه الخليفة عبد الملك وهو يستمع إلى أبياته التي يقول بها:

منــعَ القــرارُ فجئتُ نحــوكَ هــاربــاً
جـيشٌ يـجــرٌّ ومـقَـنـبٌ يـتـلمَّــع

فقال له: وما خوفك لا أمّ لك، لولا إنك مُريب وكَابه جوابه في أبيات أخرى:

إنَّ الــبــلادَ عـليَّ وهـــي عــريــضـــةٌ
وُعِـرت مـذاهبُهــا وسُـدَّ المَــطلعُ

فبـلاد الله العريضـة التي تتكرَّر في شعـره، وصـورة الضيق التي تصاحب هذه الصورة، والخوف المستبد، والهواجس القاتلة التي تتحكَّم في كل حركة من حركاته وأوهام الموت التي تتجسَّد في كل ثنيّة من هذه الثنايا، فوُعرت الدروب، وسُدَّت المسالك، وانحسرت دائرة الموت حتى كادت تطويه في ظل الحيرة المريرة والهاجس المريب.

إنها حالة الذعر، وحالة الخوف التي دفعت بعض هؤلاء الناس إلى أن يضربوا في الأرض، وينصرفوا عن كل ما يبعدهم من الدولة ويتركهم في

---

(١) أبو الفرج. الأغاني ١٣/١٦٣ ـ ١٦٤.

منجى عن العقاب المرتقب، لما ارتكبوه من جنايات، أو اقترفوه من آثام.

والشاعر في هذه الحالة يدخل في إطار مجموعة الشعراء الصعاليك الذين ذهبوا المذهب الذي وضعهم في حالة الخوف الدائم، والذعر المستمر لخروجهم على الأعراف، وتمردهم على التقاليد، وممارستهم حياة التشرد والتصعلك.

وإنهم ظلوا يشعرون بأنَّ هيبة السلطان، وقوَّة التشريع القانوني، والالتزام بالمبادىء الإسلامية التي حدَّدت الحدود، وقنَّنت القوانين، وجرأة الحاكم في تنفيذ الحكم كانت تطاردهم أينما ذهبوا، وتمسكهم في كل أرض اعتقدوا أنها تنجيهم وتبعدهم عن نظر السلطة. فعاشوا في هَلَع، وكانت حالتهم عند المواجهة هي حالة الإنسان الذي تسلب إرادته، ويتجرَّد من كل واقية تقيه صرامة المواجهة، وتدفع عنه غائلة العقاب المنتظر، وتخفف عنه قتامة المصير والنهاية البائسة التي تنتظره، ولكنهم كانوا يجدون في استمالة الحكام وعطف الولاة وسماحة الخلفاء ما تعطيهم الفرصة ليعودوا إلى أنفسهم ثانية ويراجعوا سجل أعمالهم، ويتوبوا إلى رشدهم. وقد شهدت أسفار التاريخ وأخبار السيرة نماذج لهؤلاء الذين تحسسوا عواطف الإنسانية فرجعوا إلى الحياة المستقرة، ووجدوا في العطف النبيل رحابة متَّسعة لما اقترفوه من إثم أو ارتكبوه من معصية، أو جنوه من جناية[1].

وصلة الشاعر بخلفاء بني أميَّة صلة وثيقة، ومديحه لهم مديح خالص، لأنهم في عُرفه معاقله الذين يعوّل عليهم في كل أمر، وكانوا يحسنون صلته، ويوصلون عطاءَه وفي أبياته لعبد العزيز بن مروان[2] إشارة واضحة، وهو في مديحه لهم لا يخرج عن الصور الشعرية المألوفة، ولا

---

(١) تنظر القصيدة رقم (١٠).

(٢) تنظر القصيدة رقم (٩).

يبتعد عن المعاني والخصائص التي قيلت في كل الممدوحين فهو إنسان تجلَّت كفَّاه الندى حين يُسأل. فيَّاض المواهب، له مجد مؤثَّل، أبوه ينميه للعلى وشعره في هذا المجرى شعر يمثِّل طبيعة العصر في التناول، ويعطي الوجه الحقيقي لما كان الشعراء يسلكونه من سُبل، ولكن قلَّة شعره التي احتفظ بها صاحب الأغاني تمثل المصدر الوحيد الذي بقي من شعره. ومن الطبيعي أن تكون قصائده الكثيرة التي ضاعت أو ديوانه الذي لم نعثر عليه أو فقد أو لم يجمع. ومن الغريب أن تكون مجاميع الشعر التي اختزنت أشعار الشعراء واستشهدت لهم بما تراه مناسباً لأغراضها قد اغفلت هذا الشاعر، فلم نعرف له منها قصائد أو مقطوعات وهي ظاهرة غريبة أخرى تطالعنا في حياة هذا الشاعر.

وعبدالله بن الحجَّاج مثل بقية الشعراء يقف بين يدي عبد الملك بن مروان وينشده[1]، ويطلب عفوه بعد أن يضفي عليه من صفات الخير بما يجعله من خير الظافرين كرامهم، ومن الذين يصفحون عن المذنب الخاشي العقاب، وقد نمت به أرومة عريقة، ودين صحيح، وعرق لم يسر في الناس مثله، وشأو بعيد. والشاعر في كل هذه الأوصاف يضع نفسه في موضع التقصير، ويختار من المديح ما يضع الخليفة في موضع النموذج، والشاعر يتأرجح في هذه العواطف بين صدق يحرص على أدائه، وخوف يمتلك زمام الكلمات ويخنق صوت الامتداد الذي أوشك أن ينطلق في كل تركيب من تراكيب المديح، ويُطبِّق على كثير من الموجات الصاعدة التي أراد التعبير عنها، وهو في موقف الخوف والاعتذار، ولكنه لا يكتم أحاسيسه وهو يرى العفو والصفح ويتلمس الأمان الذي أعاد إليه اطمئنانه وراحته، وخفَّف عنه أعباء الموت الذي كان يحوِّم عليه.

وتنحدر راحلة عبدالله بن الحجَّاج إلى القريتين (بحمص) ويُمتحن في

---

(١) تنظر القصيدة رقم (٤).

جرأته وشجاعته ولكنّه يجتاز الامتحان بجدارة، وتنتهي حراجة الموقف الذي وضع فيه بقتل الكلبي بعد أن اعتنقه وهوى به إلى قعر البركة. وكانت أبياته التي سجل فيها وقائع هذه الحادثة تؤكد امتحانه الصعب بعد أن نجّاه الله الذي لا شريك له ونفسه الصُلبة. إن وصول عبدالله إلى هذه القرية وانفراد رجل من كلب بهذه البركة بحيث لا يدخل البركة أحدٌ إلا غطّه حتى يغلبه، وتمكنه من اختناق الكلبي، وإنزاله إلى قعرها ثلاث مرات حتى مات.. فالقريتان من حمص كانت من الأماكن التي يتردّد عليها ويعرف بين أهلها لأن ابن هبيرة الذي كان جالساً على حافة البركة كان يدعو الله أن يصبب عليه (أبا الأقيرع) عبدالله بن الحجّاج[1].

لقد كانت حياة الغربة لوناً بائساً من ألوان حياة هذا الشاعر، لما كان يُحسُّه من ضيق، ويعانيه من حسرة، ويواجهه من اختناق، وكثيراً ما كانت أشواق الحنين تمتزج بزفرات الحزن وهو يطوي خوافقه، ويثير في دواخله كوامن القلب الصابر وأباء الفتى الكريم، وسماحة الرجل المحارب، ولا ينسى وهو في صورة هذه الحيرة فتوته وجرأته وهو يقف وجهاً لوجه أمام خصومه موقف القدح في كف المفيض، وهنا تتجلّى صورتان متلازمتان، صورة الفتوة والجرأة وهما تقترنان بحالة ضرب القداح التي عرف بها الشباب من المياسير، والفتيان الذين يجدون في الميسر مجالاً للتباهي بالكرم والفخر بإطعام الجائعين، وتوزيع ما يجود به هؤلاء الشباب وهم يضربون بقداح الميسر[2].

وتتجلّى شخصية الشاعر وجرأته في مواقعه التي أكّد فيها هذه الجرأة، ولعلّ قصّتَه مع كثير بن شهاب تمثل المرتكز الذي تجمّعت حوله كثير من الأخبار والأحاديث واستغرقت من ترجمته في كتاب الأغاني مساحة

---

(١) تنظر القطعة رقم (٦) والأغاني ١٣/١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) تنظر القطعة رقم (٧).

كبيرة[1] فعندما ضرب عبدالله بن الحجاج كثيراً بالعمـود قال لـه: أنا عبدالله بن الحجَّاج صاحبك بالري. وقد قابلتك بما فعلت بـي ولم أكن لأكتمك نفسي. وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقَود لأقتلنَّك. وهي صورة جريئة وقادرة ومتحدِّية، تجابه الحدث دون تردد، وتكشف عن دواخلها دون مراوغة، وتحدد موقفها من الآخرين حتى في حالة الثأر بلا وجل. وهي طبيعة جَرَّت على صاحبها ما أثقل حياته بالمصاعب، وروَّغ استقراره. وضيَّق عليه حركته ووضعته موضع الرَّصَد والخوف. ومن المظاهر الغريبة في حياة هذا الشاعر أن أكثر أخباره مـع عبد الملك بن مـروان كانت تـأتي من باب الاعتذار أو الشفاعة أو الترجِّي، وربما كانت هذه الحالة قد حملته أن يقول كثيراً من قصائده في تبرير مواقفه أمام الخليفة، وهو بالتالي مضطرٌ إلى أن يقف موقف المادح ليقوِّي موقفه ويجد الطريق لتحقيق غرضه، ولكن هذا الاضطرار كان يعبِّر في بعض الأحيان عن نزوع صادق بعد أن يستجيب الخليفة لهذا الرجاء، ويتحمَّل ما يترتب على مطلبه من غُرم أو عقل أو أمان أو عفو.

والشاعر هنا يشعر بحالة القلق المستمر الذي لا يجد مجالاً من الفرار منه أو الابتعاد عن أسبابه أو الإعراض عن الواقع المتمكِّن في نفسه، وهي حالة مزاجية مفروضة، وطبيعة سلوكية تتحكَّم في طبعه، وتوجه سلوكه، وتدفعه لاتِّخاذ المواقف المتسرِّعة التي طبعت حياته.

فالثأر يبقى في نفس الشاعر حياً للانتقام من كثير بن شهاب، وتدفعه عصبتيه إلى ترك (الري) ما دام والياً عليه، وإضمار الثأر حفظاً لكرامته، وصوناً لقيمه التي لا تبيح له تناسي الإهانة، والسكوت على مظلمة، وعندما أدرك ثأره، وأخذ حقَّه، ارتفع صوته ليبلِّغ أبناء قيس وخندف بأنه أدرك مظلمته من خصمه، وهنا كان صوته واضحاً، وجرأته عزيزة، وهي صورة كان الشعراء يباشرونها عندما يدركون بثأرهم ويستخدمون لها الصيغ

---

(١) ينظر كتاب الأغاني ١٣/ ١٦٦ ـ ١٧٠.

نفسها على هيئة إبلاغ، أو إعلان أو نداء فيباشرون به[1]، ولعلَّ أبيات دريد بن الصمة التي افتخر بها بعد تشفيه من قاتلي أخيه. وظفره بثأره ليست بعيدة حيث يقول:

أيـا راكبـاً إمَّـا عـرضتَ فَبَلّغنْ
أبـا غـالبٍ أنْ قـد ثـأرنـا بغـالب

ويظل هذا الصوت متميِّزاً في مقطوعتين من مقطوعات الشاعر وهو يُظهر اعتزازه بما حقَّقه ويؤكد وفاءه لقبيلته التي كان يرى في إبلاغها بهذه الصيحة استجابة لبقاء عزِّها مرفوعاً ولاستمرار أبائها شامخاً وعزيزاً[2].

ولا بدَّ لنا ونحن نتحدَّث عن عبدالله بن الحجاج وهو يعيش حالة القلق من الوقوف عند صوت الطفولة التي توهَّجت فيها دفقات الإحساس، وزهت روعة التعبير الإنساني وهو يفوح بعبق الأبوَّة، وحنان الأمومة، وعواطف الأخوَّة، وسماحة العواطف المعبِّرة فالحنان والتعبير والحب صورٌ لها تاريخها الممتد في أعماق الإنسان، ولها صوتها الحي في همسات البراءة، ولها طعمها الزاهي في مَذاق اللحظات البهجة، وقد اقترنت خوافقها منذ الأزل بحروف المجد الرائع، وانسابت معانيها في ألحان الوداعة مهدهدة إغفاءَة حالمة، ومردَّدة تمتمه طفولية بريئة، ومنشدة أهزوجة مرقصة تهتز لها أعطاف الأطفال بما يوافق تقاطيعها، وموحية بالمعاني الجليلة التي تتمازج في رحابها صلوات الدعاء، ونفحات الإيمان بحب الحياة، وإشراقة المستقبل الحالم، وسعادة البشرية التي تجد في كل أغنية وجهاً من وجوه سعادتها، وفي كل لون من ألوان الصفاء ملاحة زاهية تستعيد بها روعة الهدوء، وسلامة البشر، وقناعة السعادة.

---

(١) تنظر القصيدة رقم (٢).

(٢) تنظر القصيدة رقم (١٣) ورقم (١٠).

وإذا كانت مواكب البشرية الممتدة عبرَ مسيـرة الحياة قـد قطعت أشواطاً بعيدة في عالم العواطف الدافقة، وإذا كانت قوافل الإنسانية قد عبَّرت عن حسِّها الذاتي، وهي تعيش في إطار المواجهة العاطفية الحادة. فإن أصوات التعاطف واستدرار العطف الإنساني ظلَّ نسمة متميزة، يستمد منها الإنسان طاقاته النفسية عند احتدام الأزمات، والإخفاق في التعبير عن الدوافع الأصيلة التي تمتلك أسباب المواجهـة. والضعف الذاتي الـذي يسيطر على الإنسان وهو يجابه حجَّةً لا يقوى على ردِّها، ويقف أمام ظاهرة لا يجد نفسه قادراً على تجاوزها، وتضيق في نفسه قدرة الاستجابة للحالة الراهنة ولم يجد إلا اللجوء إلى المـواضع التي يمكن أن تخفف عنـه الحالة، وتدخل إلى قلب مخاطبيه موجات الإحساس المتدفِّق، وخفقات الحزن البريء الذي يرتسم على محيّا طفلة بريئة، ويتجسَّد في تساؤل مرير، تعبِّر عنه ألفاظ تخنقها التمتمة، وتسكب فيها قدرة التعبير سذاجـة وديعة. وعبدالله بن الحجاج في صورته التي جرَّدها من تساؤل ابنته سلمى وهي تستوقف أصحاب أبيها، وقد ارتعشت شفاهها، وارتجفت أوصالها، وبهتت الابتسامة على وجهها الشاحب، لقد توسَّل الشاعر بهذه الصورة ليعبِّر عن الحالة الممتدة التي عاشت في وجدان الشعر العربي عمقاً، وفي ذات الشاعر العربي إحساساً ووجوداً حتى وجدنا الاستعانة بصورة الطفولة أسلوباً من أساليب استدرار العاطفة، واستنطاق الحدث واستشفاف البواطن والكوامن لتكون الصورة أكثر إيحاءً وأشد إثارة.

لقد استغرقت ظاهرة الإحساس بمشاعر الأبوَّة مساحة عـريضة من مساحات الشعر العربي بعد أن وجد فيها الشعراء تعبيراً عن الذات، ولجوءً إلى الأسلوب الذي يضع الشاعر في موضع الشفقة والرحمة، ليستدرّ عطف من يجد نفسه ضعيفاً أمامه، وهنا تبدو عبارات (ابنتي) (وتسائل سلمى عن أبيها) هي الأكثر التهاباً في هذه المواضع وأشد تأثيراً، لتكون جسراً للانتقال إلى ظاهرة الفقد الحقيقي، أو الانقطاع الـذي لا ترجى بعـده عودة أو

الاغتراب الذي لا يحمل أملاً للاستئناس. هذا الجسر كان حديثاً آخر من أحاديث الارتكاز على حديث البنت المضيعة أو المتعلِّقة بأذيال الأمل أو المستغرقة في أحلام العودة المنتظرة أو الاستهلال المؤدي إلى استثارة عاطفة الأبوَّة (١). وهنا يقطع الشاعر على ابنته هذا التساؤل الذي يتركه صيداً في حبائل الرجل الذي حرمه من التمتع بالغفول، ومنعه من الاستئناس بهذا اللقاء. يقطع عليها أن تستفسر عنه من الرفاق العائدين بعد أن انقطعت به السبل في [أبهر] فلم يكن مع الغازين الذين كتب عليهم الجهاد، ولم يكن من العائدين الذي نعموا بسلامة النصر والفوز بالحمد، ولكنَّه يوحي بجرأته في الحرب، وضربه الديلمي وصرعه بعد أن مزَّقه بصدر رمحه.

إنها حالة الإحساس التي بقيت تعيش في نفوس الشعراء، وقد استبدَّت بهم الغربة، واستغرقتهم حالات الذهول بعد أن ابتعدوا عن الأرض بدافع الإيمان بالجهاد، والقدرة على تحرير الإنسان الذي طوته قساوة الاستعباد، وأذلَّته عبودية الاستلاب والاستغلال.

وإذا كانت كثير من المصادر قد أهملت الاستشهاد بشعر عبدالله بن الحجاج فإن صاحب اللسان قد استشهد له في سبعة مواضع، ويرد اسم الشاعر مع اختلاف فهو في بعض الشواهد عبدالله بن حجاج مجرداً وفي بعضها الآخر عبدالله بن الحجاج التغلبي وفي قسم عبدالله بن حجاج الزبيدي التغلبي وفي القسم الآخر عبدالله بن الحجاج الثعلبي من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، ويبدو أنَّ (الثعلبي) هو الصحيح وأنَّ التغلبي تصحيف لأن عبدالله ينتهي نسبه بثعلبة بن سعد كما جاء في الأغاني. ووهم صاحب معجم شعراء اللسان فعدَّ هذه الأسماء أكثر من شاعر ووزَّع الأبيات على عدد الشعراء الذين اختلفوا في النسب وهي في حقيقتها لشاعرنا وقد أشرت إليها في مواضع التخريج.

---

(١) تنظر القصيدة رقم (١١).

ونفس الشاعر يبدو في بعض القصائد نفس طويل وإن كانت قصائد الشاعر التي وصلت إلينا قليلة فأبو الفرج يذكر تسعة أبيات من قصيدة، وهي تمثل مقدمة تقليدية لغرض لم يظهر في القصيدة وبعد الأبيات التسعة يقول أبو الفرج وهي قصيدة طويلة. . والمقدمة التقليدية يفتتحها بحديث الفراق والنوى وذكر الظاعنين الذين تحملوا والحيرة التي تعتري الإنسان وهو يقع في دائرة الضياع.

وحديثه عن الذكرى التي تثيرها (جنوب) وهو الصوت الداخلي الذي استخدمه الشاعر رمزاً لدواعي الاستشارة، ووجهاً من وجوه التعبير عن الحس الداخلي المُعَبَّر عنه (بجنوب) عند الشاعر وبأسماء أخرى عند غيره من الشعراء، إن ذكرى جنوب عزيزة، ولها في نفسه وقع مثير، ولكنه يعلم أن نصيبه من هذه الذكرى قليل، وإن وصالها بعيد بعد أن شط بها النوى. . إن تداخل هذه الموضوعات في المقدمة التقليدية التي سفح فيها الذكريات وتحدَّث عن الألم المحض والحسِّ المرهف وانسابت أحزانه حسرات، بعد أن دبَّت حُميّا الكأس في عظامه.

إنها الصور المألوفة التي عودنا الشعراء عليها. ويبقى الغرض الذي لم يذكر في القصيدة هو الحلقة المفقودة من هذه المقدمة العاطفية التي اكتفى بها أبو الفرج وترك لنا مجال التصور عندما قال وهي قصيدة طويلة.



شعر عبدالله بن حجّاج

ـ ١ ـ

وقال :

١ ـ نـأتـك ولـم تَخشَ الفـراقَ جَنـوبُ
وشِـطّت نـوىً بـالـظاعنين شَعُـوب

٢ ـ طـربتَ إلى الحيّ الـذين تَحمَّلوا
بـبـرقَـةِ أحـوازٍ وأنـت طـروبُ

٣ ـ فـظلتُ كـأني سـاورتني مُـدامـةٌ
تمنَّى بهـا شكسُ الـطّبـاع أديبُ

٤ ـ تَمـرُّ وتستحلي على ذاك شَـربُهـا
لـوجـه أخيهـا في الإنـاءِ قُـطوبُ

٥ ـ كُميتٌ إذا صُبَّتْ وفي الكـأس وردةٌ
لهـا في عـظام الشـاربين دبيبُ

٦ ـ تـذكرتُ ذكـرى من جنوبَ مصيبـة
ومـالك من ذكـرى جنـوب نصيبُ

٧ ـ وأنّى ترجّى الوصلَ منها وقد نأتْ
وتبخلُ بالموجودِ وهي قريبُ
٨ ـ فما فوق وجدي إذْ نأتْ وجد واجدٍ
من الناس لو كانت بذاك تثيبُ
٩ ـ برهرهةٌ خَودٌ كأنَّ ثيابَها
على الشمس تبدو تارةً وتغيب

وقال صاحب الأغاني.. وهي قصيدة طويلة..

....

الأبيات [١ ـ ٨] في الأغاني ١٣/١٧٢ ـ ١٧٣.

* * *

وأنشد لعبدالله بن الحجاج التغلبي:

١ ـ إيَّاكِ لا تستبدلي قَردَ القَفَا
جَزَابيّةً وَهبَسَاناً جباجبا(١)
٢ ـ ألفَّ كأن الغازلات مَنَحْنَه
من الصُّوفِ نكثاً أو لئيماً دبادبا
٣ ـ جَبَهْلاً تَرى من الجبين يسؤوها
إذا نَظَرَتْ منه الجمالَ وحاجبا(٢)

....

الأبيات في اللسان [جبهل] والأول والثاني في اللسان [جبب].

* * *

(١) الجباجب والدَّبادب: الكثير الشر والجلبة.
(٢) رجل جبهل: إذا كان جافياً.

ـ ٢ ـ

وقال بعد أن اشتفى من كثير:

١ ـ من مبلغٌ قيساً وخندف أنني
أدركت مظلمتي من ابن شهاب

٢ ـ أدركته أجرى على محبوكةٍ
سرحُ الجِراء طويلة الأقراب(١)

٣ ـ جرداء سُرحوبٍ كأنَّ هُويّها
تعلو بجؤجئها هُويَّ عقاب(٢)

٤ ـ خضتُ الظلام وقد بدت لي عورة
منه فأضربه على الأنياب

٥ ـ فتركتهُ يكبو لفيه وأنفه
ذهلَ الجنان مُضرّج الأثواب

٦ ـ هَلاَّ خشيتَ وأنت عادٍ ظالمٌ
بقصورِ أبهر نصرتي وعقابي

٧ ـ إذْ تستحلُّ وكان ذاك محرَّماً
جَلدي وتنزع ظالماً أثوابي

---

(١) المحبوكة: الفرس القوية. والسرح: المنسرحة في سيرها السريعة. والجراء: الجري. والأقراب: جمع قُرُب بالضم أو بضمتين: الخاصرة.

(٢) الجرداء: قصيرة الشعر السرحوب: الفرس الطويلة. توصف به الإناث دون الذكور. هُويها: يعني به سرعتها.

٨ ـ ما ضرّه والحرُّ يطلبُ وترهُ
بأشمَّ لا رعَشٍ ولا قبقابِ[١]

٩ ـ باءَت عرار بكحلَ فيما بيننا
والحقُّ يعرفه ذوو الألباب[٢]

....

الأبيات [١ ـ ٨] في الأغاني ١٣/١٦٧ ـ ١٦٨.
الأبيات [١، ٦، ٧، ٩] في بلدان ياقوت [أبهر].
ورواية السادس
هَلاَّ خشيت بقصور أبهر ثورتي . .

ورواية السابع : :
إذ تستحلّ وكلُّ ذاك محرَّمٌ.
البيت التاسع في اللسان [كحل] ونسب إلى عبدالله بن الحجاج الثعلبي.

* * *

ـ ٣ ـ

كان لعبدالله بن الحجاج إبنان يُقال لأحدهما: عُوين والثاني جُندَب، فمات جندب وعبدالله حيّ فدفنه بظهر الكوفة، فمرَّ أخوه عُوين بحرَّاث إلى جانب قبر جندب، فنهاه أن يقربه بفدَّانه، وحذَّره ذلك، فلما كان الغد وجده قد حرث جانبه، وقد نبشه وأضرَّ به فشدَّ عليه فضربه بالسيف وعقر فدَّانه وقال:

---

(١) الرعش: المضطرب. والقبقاب: الكذاب أو المهذار.
(٢) من أمثال العرب القديمة قولهم في التساوي باءَت عرار بكحل وقيل كَحلْ: اسم لِقَرة بمنزلة دعد يصرف ولا يصرف واستشهد ببيت عبدالله للتدليل على ترك الصرف.

أقــول لـحــرّاثـي حــريـمـي جَــنَّـبــا
فـدانيكمـا لا تحـرثـا قبـرَ جنـدبِ
فــإنــكـــمـــا إن تــحـــرثـــاهُ تــشـــرّدا
ويذهبْ فَدانٌ منكما كُلّ مذهب[1]

فأخذ عوين فاعتقله السجّان، فضربه حتى شغله بنفسه، ثم هرب، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه، وأمرَ بالاَّ يُتَعقَّب، فقال عبدالله بن الحجاج يذكر ما كان من ابنه عوين:

لـمثـلك يـا عــوينُ فــدتــك نـفسـي
نجـا من كُـربــةٍ إن كـان نــاجي
عــرفتُــك من مُصــاص السـنخ لمــا
تركت ابن العُكامِس في العجاج[2]

* * *

— ٤ —

وقال عبدالله. لعبد الملك بن مروان:

١ ـ لأنت وخيــرُ الــظافــرين كــرامُهم
عن المذنب الخاشي العقاب صفُوح
٢ ـ ولــو زَلِقتْ من قبـلِ عفــوك نعله
تـرامَى بـه دَحض المقـام بـريــحُ

(١) الفدان: الثور أو الثوران يقرن بينهما للحرث.
(٢) مُصاص السنخ: يقال فلان مصاص قومه. إذ كان أخلصهم نسباً والسنخ: الأصل والعكامس: القطيع الضخم من الإبل، وقيل هو كل شيء تراكب وتراكم وكثر حتى يظلم من كثرته.

٣ ـ نمى بك إنْ خانت رجالاً عُرُوقُهم
أرومٌ ودينٌ لم يَخنْكَ صحيحُ

٤ ـ وعَرْف سَرى لم يسرِ في الناس مثله
وشأوٌ على شأوِ الرجال مَتوحُ

٥ ـ تداركني عفوُ ابن مروان بعدما
جرى لي من بعد الحياةِ سنيحُ

٦ ـ رفعتُ مُريحاً ناظريَّ ولم أكد
من الهمِّ والكرب الشديد أريحُ

....

الأبيات [١ ـ ٦] في الأغاني ١٣/١٧٣ ـ ١٧٤ .

* * *

ـ ٥ ـ

كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يُعرّفه آثار عبدالله بن الحجاج وبلاءَه من محاربته وأنه بلغه أنَّه أمَّنه، ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولى قتله. وبلغ ذلك عبدالله بن الحجاج، فجاءَ حتى وقف بين يدي عبد الملك ثم أنشده . .

١ ـ أعوذُ بثوبَيك اللذين ارتداهما
كريمُ الثَّنا من جَيبه المسك ينفحُ

٢ ـ فإنْ كنتُ مأكولاً فكُنْ أنت آكلي
وإنْ كنتُ مذبوحاً فكن أنت تذبح

....

البيتان في الأغاني ١٣/١٧٣ .

* * *

ـ ٦ ـ

وقال:

١ ـ نجّانيَ الله فرداً لا شريك له
بالقريتين ونفسٌ صُلْبةُ العُودِ
٢ ـ وذمَّةٌ من يزيدٍ حالَ جانبها
ذوي فأنجبتُ عفواً غيرَ مجهودِ
٣ ـ لولا الإله وصبري في مغاطستي
كان السليمُ وكنت الهالك المودي

الأبيات [١ ـ ٣] في الأغاني ١٣/١٧٥.

* * *

ـ ٧ ـ

قال عبدالله بن الحجاج وهو في الحبس:

١ ـ أقول وذاك فرط الشوق منِّي
لعيني إذْ نأتْ ظمياءُ فيضي[١]
٢ ـ فما للقلب صبرٌ يوم بانت
وما للدمع يُسفحُ من مَغيضِ
٣ ـ كأنَّ مُعتَّقاً من أذرِعاتٍ
بماءِ سحابةٍ خَصِرٍ فضيضِ[٢]

(١) ظمياء: اسم امرأة، والظمياء من الشفاه: الذابلة في سمرة ومن العيون: الرقيقة الجفن.

(٢) المعتق: الشراب عُتّق زماناً. اذرعات: بلدة بالشام مشهورة بالخمر، والخصر: البارد والفضيض: المنتشر.

٤ ـ بفيها إذْ تخافتني حياءً
بسرٍّ لا تنوحُ به خفيضِ

يقول فيها:

٥ ـ فإن يُعرض أبو العباس عَنِّي
ويركب بي عروضاً عن عروضِ

٦ ـ ويجعل عُرفه يوماً لغيري
ويُبغضني فإني من بَغيض

٧ ـ [فنصرُ الله يأسُو كلَّ جُرحٍ
ويَجبر كسرَ ذي العَظمِ المهيضِ]

٨ ـ فإني ذو غنىً وكريمُ قومٍ
وفي الأكفاء ذو وَجهٍ عريض

٩ ـ غلبتَ بني أبي العاصي سماحاً
وفي الحرب المذكَّرة العضوضِ (١)

١٠ ـ خرجتَ عليهم في كُلِّ يومٍ
خروجَ القدحِ من كفِّ المُفيض(٢)

١١ ـ فدىً لكَ من إذا ما جئتُ يوماً
تَلقَّاني بجامعةِ رَبُوضِ (٣)

٦ ـ في الحيوان ٢/٣٠٢. . ويجعل ودَّه.
البيت بين المعقوفتين زيادة من الحيوان ٢/٣٠٢.

(١) المذكرة العضوض: الشديدة.
(٢) المفيض: الذي يضرب بقداح الميسر ليظهر الفائز وغير الفائز.
(٣) الجامعة: الغُلّ. الربوض: الضخمة الثقيلة.

١٢ ـ علـى جـنـب الـخُـوان وذاك لؤمٌ
وبئست تحفةُ الشيـخِ المـريض[1]

١٣ ـ كـأنّـي إذْ فـزعتُ إلـى أُحيـحٍ
فـزعتُ إلى مُقَـوقيـةٍ بَيُـوض[2]

١٤ ـ إوزةَ غَـيضـةٍ لـقحـت كـشـافـاً
لقحـقحـهـا إذا درَجت نـقيض[3]

. . . .

١٢ ـ في الحيوان ٢/٣٠٢.. لدى جنب الخِوان وذاك فحشٌ.. وبئست خبرةُ.

١٣ ـ في الحيوان ٢/٣٠٣ لفقتحنَّها إذا بركت..

الأبيات [١ ـ ١٣] في الأغاني ١٣/١٦٤ ـ ١٦٥.

والبيتان [٧، ٨] في اللسان [عض].

ورواية السابع.

وإني ذُو غنىً.

ورواية الثامن وفي الحرب المنكّرة.

والبيتان [١١ ـ ١٢] في الحيوان ٢/٣٠٢ ـ ٣٠٣.

* * *

ـ ٨ ـ

قال حين انتصف له قومه من عمر بن هبيرة الذي ظلمه..

---

(١) التحفة: ما اتحفت به الرجل من طعام ونحوه.

(٢) المقوقية: المصوتة.

(٣) الكشاف: أن تلقّح حين تبيض، والقُحقُح بضم القافين: العظم المطيف بالدبر. والنقيض. الصوت.

١ ـ ألا أبلغ بني سعدٍ رسولاً
ودونَهُم بُسيطة فالمُعاطُ

٢ ـ أميطوا عنكُمُ ضرط ابن ضرط
فإنَّ الخُبثَ مثلهم يُماطُ

٣ ـ وليَ حقٌّ فراطة أوَّلينا
قديماً والحقوقُ لها افتراط

٤ ـ فما زالتْ مباسطتي ومجدي
وما زال التهايط والمياط[1]

٥ ـ وجَدّي بالسياط عليك حتى
تُركتَ وفي ذنابك انبساط

٦ ـ متى ما تعترِضْ يوماً لحقي
تلاقِك دونه سُعرٌ سباطُ[2]

٧ ـ من الحيَّين ثعلبة بن سعدٍ
ومُرَّةَ آخذٌ جمعهم اعتباط

٨ ـ تراهم في البيوت وهم كُسالى
وفي الهيجا إذا هيجوا نشاط

الأبيات [١ ـ ٨] في الأغاني ١٧٢/١٣ .

* * *

(١) التهايط والمياط: ضدّان وهما الدنّور والتباعد.
(٢) السعر جمع أسعر. القليل اللحم. الظاهر العصب. السباط: الطوال.

ـ ٩ ـ

قال عبدالله بن الحجَّاج وهو يقف في حضرة عبد الملك بن مروان.

١ ـ أبلغ أميـر المؤمنين فإنني
مما لقيت من الحوادث موجَعُ

٢ ـ مُنِعَ القرار فجئت نحوك هارباً
جيش يجـرُّ ومِقنبٌ يتلمع[١]

٣ ـ إنَّ البلادَ عليَّ وهي عَريضة
وُعِرت مذاهبُها وسُدَّ المطلع

٤ ـ كُنَّا تنحلَّنا البصائر مَرَّةً
وإليك إذْ عميَ البصائرُ نرجعُ[٢]

٥ ـ إنَّ الذي يَعصيك منا بعدها
من دينه وحياته متودَّع

٦ ـ آتي رِضاكَ ولا أعود لمثلها
وأطيعُ أمرك ما أمرت و أسمعُ

٧ ـ أعطي نصيحتيَ الخليفةَ نافعاً
وخِزامة الأنف المقود فاتبعُ[٣]

٨ ـ ولقد وطئتَ بني سعيد وطأةً
وابنَ الزبير فعرشُهُ مُتضعضعُ

---

(١) المقنب: الخيل زهاء الثلاثين أو ما بين الثلاثين إلى الأربعين تجتمع للغارة.
يتلمع: يبرق ويضيء بما فيه لمعان السيوف والسلاح.

(٢) تنحله وانتحله: ادَّعاه لنفسه وهو لغيره.

(٣) الخزامة: حلقة في أنف البعير أو في لحمة أنفه.

٩ ـ ما زلتَ تضرُب منكباً عن منكبٍ
تعلو ويسفلُ غيركم ما يُرفعُ

١٠ ـ ووطِئتم في الحرب حتى أصبحوا
حدثاً يكوسُ وغابراً يتجعجعُ(١)

١١ ـ فحوى خلافتهم ولم يظلم بها
القرمُ قرم بني قُصيّ الأنزعُ(٢)

١٢ ـ لا يستوي خاوي نجوم أُفّلٍ
والبدر مُنبلجاً إذا ما يطلعُ(٣)

١٣ ـ وُضِعتْ أُمَيَّةُ واسطين لقومهم
ووُضِعتَ وسطَهم فنِعمَ الموضعُ(٤)

١٤ ـ بيتُ أبو العاصي بناه بربوةٍ
عالي المشارفِ عزُّه ما يُدفع(٥)

١٥ ـ حَرَبتْ أُصيبيتي يدٌ أرسلتها
وإليك بعدَ مَعادِها ما ترجعُ(٦)

١٦ ـ وأرى الذي يرجُو تُراثَ محمدٍ
أفَلتْ نجومهمُ ونجمُك يسطع

---

(١) يتجعجع: يضرب بنفسه الأرض من وجع.

(٢) الأنزع: من ينحسر عنه الشعر من أعلى الجبين حتى يصعد في الرأس.

(٣) الحادي من النجوم: الماحل الذي لا يمطر.

(٤) الواسطون: الخيار.

(٥) المشارف. الأعالي.

(٦) حربت: سلبت المال ولم تترك شيئاً، أصيبيتي: تصغير أصبية جمع صبي.

١٧ ـ فـانعش أُصيبيتي الألاء كـأنَّـهم
حَجَـلٌ تدرَّجَ بـالشـرَّبـة جُـوّعُ(١)

١٨ ـ مـالٌ لهم ممـا يُضَـنُّ جمـعتـه
يـوم القليب فحيزَ عنهم أجمـعُ(٢)

١٩ ـ أدنـو لتـرحَمني وتجبـر فـاقـتي
فـأراك تـدفعني فـأين المـدفـع(٣)

٢٠ ـ ضـاقت ثيـابُ المُلبسين وفضلهم
عنّي فـالبسني فـثـوبُـك أوسـعُ

١٧ ـ في اللسان [حجل]

فارحم أصيبيتي الذين كأنَّهم حِجْلَى تَدَرَّجُ بالشـريَّة وُقَّـعُ

١٩ ـ في اللسان [حجل] أدنُو لترحمني وتقبل توبتي وأراك .

الأبيات من [١ ـ ٢٠] في الأغاني ١٣/١٦٠ ـ ١٦٣ .

والبيتان [١٧، ١٩] في اللسان [حجل] وقال صاحب اللسان: يخاطب عبد الملك بن مروان عبدالله بن الزبير وتعذر إليه لأنه كان مع البيت [١٧] في اللسان [صبا] وروايته

أرحـم أصـيـبـيـتـي الـذيـن كـأنـهـم
حـجـلى تـدرَجُ فـي الـشَـرّبـة وُقّـعُ

ونسب إلى عبدالله بن الحجاج التغلبي .

* * *

---

(١) الحجل: ضرب من الطير: الشربة: الأرض المعشبة لا شجر فيها وموضع بنجد.

(٢) حيز عنهم: أبعد.

(٣) أين المدفع: أين الجهة التي تدفعني إليها لأنال منها.

ـ ١٠ ـ

قال يمدح عبد العزيز بن مروان:

١ ـ تــركت ابن ليلى ضَلَّةً وحــريمــه
وعنــد ابن ليلى معقــل ومُـعــوَّل

٢ ـ ألم يَهــدِني أنَّ المُــراغَـم واســعٌ
وأنَّ الــديــارَ بــالـمُقـيم تـنـقّــلُ

٣ ـ سـأحكم أمري إن بـدا لي رشـدُهُ
وأختارُ أهلَ الخيـرِ إن كنتُ أعقل

٤ ـ وأتــركُ أوطـاري وألحقُ بــأمــرىء
تَحلّبُ كَفّــاه النـدى حين يُســألُ

٥ ـ أبتْ لـك يـا عبـد العـزيـز مـآثـرٌ
وجَـريٌ شأى جَـرْيَ الجيـاد وأوَّلُ

٦ ـ أبى لـك إذ أكـدَوا وقـلّ عـطاؤهم
مــواهبُ فَيَّــاضٍ ومجــدٌ مؤثّــل

٧ ـ أبـوك الـذي يُنميـك مـروان للعُلى
وسعد الفتى بالخالِ لا من يخوَّل

الأبيات [١ ـ ٧] في الأغاني ١٣/١٧١.

* * *

ـ ١١ ـ

وقال وهو محبوس:

تسـائلُ سلمى عن أبيهـا صحـابَـه
وقـد علِقَتُـه من كثيـرٍ حبـائـلُ[١]

٢ ـ فـلا تسـألي عني الـرفـاقَ فـإنَّـه
بـأبهَـرَ لا غَـازٍ ولا هـو قـافِـل[٢]

٣ ـ ألستُ ضـربت الـدَّيلميَّ أمـاتهم
فجـدَّلتـه فيـه سنـانٌ وعـامِـلُ[٣]

....

الأبيات [١ ـ ٣] في الأغاني ١٣/١٦٦.

* * *

ـ ١٢ ـ

قال عبدالله بن الحجاج:

١ ـ رأيـت بـلاد الله وهيَ عـريـضـةٌ
على الخائف المطرود كِفَّةُ حابل[٤]

---

(١) الحبائل: جمع حبالة: المصيدة.
وكثير الذي ذكره الشاعر هو كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصَّة بن يزيد بن شدَّاد على ثغر الريّ، ولَّاه إيَّاه المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة. وكان عبدالله بن الحجَّاج معه فأغار الناس على الديلم فأصاب عبدالله بن الحجَّاج رجلًا منهم، فأخذ سلبه، فانتزعه منه كثير، وأمر بضربه، فضرب مائة سوط وحبس فقال هذه الأبيات.

(٢) أبهر: مدينة بين قزوين وزنجان.

(٣) جدلته: صرعته والعامل من الرمح: صدره.

(٤) الكفة للصائد: حبالته، وهي المِصيدة بكسر الميم وسكون الصاد.

٢ ـ تــؤدِّي إلــيــه أنَّ كُــلَّ ثــنــيَّــةٍ
تيَّممهــا تــرمي إليــه بقــاتــل[١]

....

البيتان في الأغاني ١٣/١٦٤.
والأول غير منسوب في الحيوان ٦/٤٣٢.

* * *

ـ ١٣ ـ

وقال بعد أن أخليَ سبيله من السجن:

١ ـ سـأتركُ ثغـرَ الـريّ مـا كنتَ واليـاً
عليــه لأمـر غــالني وشجــاني[٢]

٢ ـ فــإن أنـا لم أدرك بثــأري وأتّثِــرْ
فلا تدعني للصيـد من غطفـان[٣]

٣ ـ تمنيتني يــا ابنَ الحصين سفـاهــةً
ومالك بي يا ابنَ الحصين يدانِ[٤]

٤ ـ فــإنـي زعيـمٌ أن أُجِـلَّل عــاجــلاً
بسيفي كفـاحاً هـامـة ابن قنـان[٥]

---

(١) تؤدي إليه. تخيل إليه. والثنية: الطريق الصعبة.
(٢) الوالي هو كثير بن شهاب كان على ثغر الري.
(٣) اتثر: أدرك ثاري.
(٤) ابن الحصين: هو كثير.
(٥) ابن قنان: هو كثير كذلك.

فلما عُزِل كثيرٌ وقدم الكوفة كمنَ له عبدالله بن الحجاج في سوق التمّارين. وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة ـ وكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يحدِّث المغيرة، فخرج يوماً من داره إلى المغيرة يحدِّثه فأطال، وخرج من عنده مُمسياً يريد داره، فضربه عبدالله بعمود حديد على وجهه فهتّم مقاديم أسنانه كلها، وقال في ذلك:

٥ ـ من مبلغ قيساً وخندفَ أنني
ضربتُ كثيراً مَضرِبَ الظَّربانِ(١)

٦ ـ فأقسمُ لا تنفكُّ ضربةُ وجهه
تُذِلُّ وتُخزي الدهرَ كلَّ يمانِ

٧ ـ فإنْ تلقني تلقَ أمراً قد لقيته
سريعاً إلى الهجاء غير جبان

٨ ـ وتلقَ أمراً لم تلقَ أُمُّك برّه
على سابح غَوْج اللّبانِ حِصانِ(٢)

٩ ـ وحَولِيَ بن قيسٍ وخندِفَ عصيتهُ
كرامٌ على البأساء والحدثانِ

. . . .

٥ ـ في اللسان [ظرب] ألا أبلغا قيساً.

٦ ـ في اللسان [ظرب] فيا ليت لا يَنفك مخطمَ أنفه يُسَبُّ ويُخزي.

---

(١) الظربان: دويبة نتنة الرائحة وقوله مضرب الظربان أي ضربته في وجهه وذلك أن للظِربان خَطّاً في وجهه فشبه ضربته في وجهه بالخط الذي في وجه الظربان.

(٢) غوج اللبان: واسع جلد الصدر. والحصان: الفرس الذكر أو الكريم المضنون مائه.

١٠ ـ وإنْ تكُ للسَّنخِ الذي غَصَّ بالحصى
فإني لقَومٍ يا كثيرُ هِجانُ(١)
١١ ـ أنا ابن بني قيس عليّ تعطَّفت
بغيضُ بن ريثٍ بعد آل دجانِ

. . . .

الأبيات [١ ـ ١١] والخبر في الأغاني ١٣/١٦٦ ـ ١٦٧.
البيتان [٥، ٦] في اللسان [ظرب]
وقال صاحب اللسان: يعني كثير بن شهاب المذحجي وكان معاوية ولَّاه خُراسان فاحتاز مالاً واستتر عند هانيء بن عُروة المُرادي فأخذه من عنده وقتله.

* * *

ـ ١٤ ـ

لما وفد عبدالله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عُوين مَثُل بين يديه فأنشده:

١ ـ يا ابنَ أبي العاصي ويا خيرَ فتى
أنتِ النجيبُ والخيارُ المُصطفى
٢ ـ أنت الذي لم تدَعِ الأمر سُدىً
حينَ كشفت الظلمات بالهُدى

. . . .

١ ـ في الطبري ٦/٤٢١ . . . أنت سِدادُ الدِّين إنْ دينُ وَهَى
٢ ـ في الطبري ٦/٤٢١
أنت الذي لا يَجعلُ الأمر سدى　　جيبت قريش عنكمُ جَوْبَ الرّحى

(١) السنخ: الأصل. القرم: السيد الشجاع. والهجان: الرجل الحسيب.

٣ ـ إن أبـا العـاصي وفي ذاك اعتصى
أوصى بنيـه فَـوَعَـوْا عنـه الـوَصَى
٤ ـ إنْ يسعـروا الحرب ويـأبوا مـا أبى
الـطاعنيـن في الـنَّحـور والـكُلَى
٥ ـ شـزراً ووصْـلاً للسيـوف بـالخُـطا
إلى القتـال فَحوَوْا مـا قـد حـوى
٦ ـ مـا زلتَ إن نازٍ على الأمـر انتزى
قضيتـه إنَّ القـضـاء قـد مضـى
٧ ـ كمـا أذقتَ ابن سعيـدٍ إذ عصـى
وابن الـزبيـر إذْ تـسمَّـى وطغـى
٨ ـ وأنـتَ إن عُـدَّ قـديـم وبـنـى
من عبد شمسٍ في الشماريخ العُلى
٩ ـ جيبت قـريشٌ عنكمُ جَوْبَ الـرَّحى
هل أنت عافٍ عن طريدٍ قد غوى
١٠ ـ أهـوى على مَهـواة بئـرٍ فهـوى
رمى به جُولٌ إلى جُـول الرجـا[١]
١١ ـ فتُجبـرَ اليـوم بـه شيخـاً ذوى
يعوي من الذئب إذا الذئب عوى
١٢ ـ وإنْ أراد النـومَ لم يَقض الكـرى
من هَـوْل ما لاقى وأهـوال الردى

(١) الجول: جدار البئر. والرجا: ناحية البئر.

١٣ ـ يشكــر ذاك ما نفت عينٌ قــذى

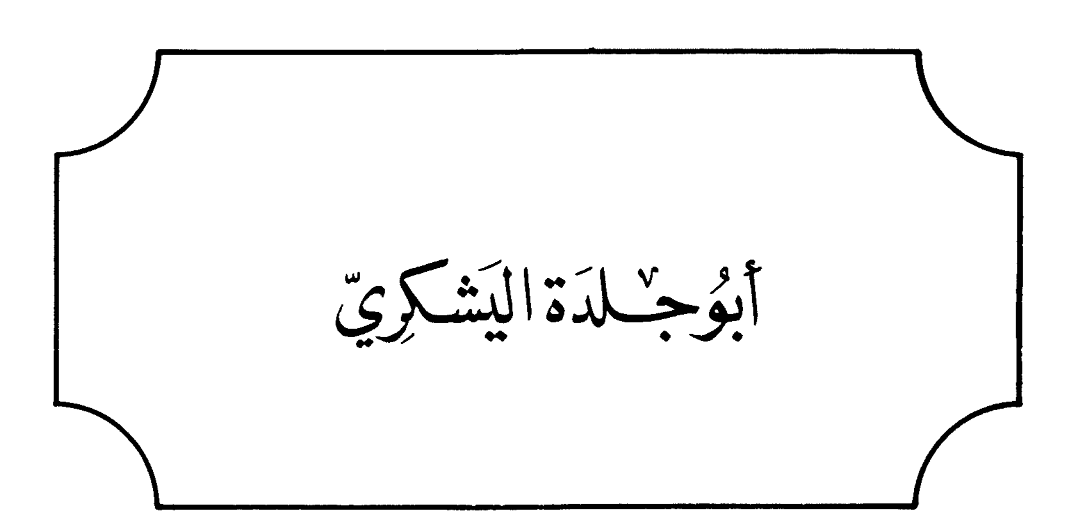
نفسي وآبــائي لـك اليــومَ الفـدا

الأبيات من [١ ـ ١٣] عدا الثالث والرابع والخامس في الأغـاني ١٣/١٧٠.

والأبيات من [١ ـ ٥] في تاريخ الطبري ٦/٤٢١.

* * *





أبو جلدة اليشكري



حياته وشعره

من الشعراء الإسلاميين المنحدرين من بكر بن وائل، ومن شعراء الدولة الأموية الذين احتضنتهم الكوفة كان شاعرنا أبو جلدة بن عبيد بن منقذ بن حجر بن عبيدالله بن مسلمة بن حبيب، وقد عرف بصلته الوثيقة بالحجاج حتى كان ـ كما تقول الروايـات ـ من أخص الناس بـه[1] وبعثه وبعث معه عبدالله بن شدَّاد بن الهادي الليثي إلى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام فخطب الحجاج منه ابنته أم كلثوم[2].

ومن الغريب أن تتحول هذه العلاقة عند الشاعر إلى عداء سافـر فيخرج مع ابن الأشعث، ويكون من أشدِّ الناس تحريضاً على الحجاج حتى أنَّ الحجاج قال ـ عندما وضع بين يديه رأس الشاعر وبعد أن مكث ينظر إليه طويلاً ـ كم من سر أودعته في هذا الرأس فلم يخرج حتى أتيت به مقطوعاً. . وحالة الشاعر هذه توحي بأسباب كثيرة، وتدل على أمور لم يقف عندها المؤرخون ولم تكشف عنها الجوانب التي عرضت لحياة الشاعر، أو وقفت عند شعره، ولا بدَّ أن تكون هذه الأسباب لصيقة بالطبيعة النفسية والتكوين البيتي للشاعر، والاتجاه الذي حاول أن يسلكه وهو يرى ابن الأشعث قد شقَّ عصا الطاعة، وتنكَّر للدولة وتحول من قتال المشركين إلى

---

(١) أبو الفرج. الأغاني ١١/٢٩١.

(٢) نفس المصدر ١١/٢٩١.

قتال المسلمين وهي حالة كان كثير من الناس يؤمنون بها فعندما اجتمع القـراء الذين في عسكـر ابن الأشعث إلى الحسن بن يسـار البصـري، والحسن يومئذٍ (بالمفتح) فقالوا له: يا أبا سعيد هات ما عندك وتكلَّم بما ترى فقال الحسن: إني أرى أنها فتنة صمَّاء، وذلـك إنكم لم تختلفوا في رب ولا نبي ولا كتاب ولا قبلة، فرحم الله عبداً اتَّقى ربه، ونظر ليوم معاده[1]، ولكن الحسن البصري اتُّهم بالمراءة والمداهمة من قبل أولئك الذين كانوا يجدون في الحرب وسيلة لتمزيق وحدة الأمة، وفي اقتتـال المؤمنين غاية من الغايات التي يرمون إليها.

ويذهب الطبري في تحديد أسباب الخلاف إلى أنَّ الحجاج كتب إلى عبد الرحمن جواب كتاب ذكر فيه أنَّ عبد الرحمن يحب الهدنة، ويستريح إلى الموادعة بعد أن صانع عدواً ذليلاً وقليلاً، وقد أصاب من المسلمين جنداً كان بلاؤهم حسناً، وغناؤهم في الإسلام عظيماً، ويبـدو أنَّ عبد الرحمن بن الأشعث قد بعث برسالة إلى الحجاج عرض فيها رأيه بشأن الحرب، ـ وكان رد الحجاج على رسالته صريحاً فاتهمه بالضعف والتردد. وأمره بالمضي والوغـول في أرض فارس ثم طلب منه التخلِّي إذا رفض هذا الرأي... وقد وجد عبد الرحمن بن الأشعث في هذه الرسالة إنهاء لولايته فدعا الناس إليه ونقل إليهما رسالة الحجاج بعد أن قال لهم، بأن الحجاج أمره بتعجيل الوغول بهم في أرض العدو وهي البلاد التي هلك إخوانكم بها بالأمس، ثم قال: وإنما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتم وآبى إذا أبيتم فثار إليه الناس[2].. وقد استطاع وفق هذه الصيغة من التخاطب أن يحوِّل اتِّجاه المسلمين في هذه الأصقاع إلى الوجهة التي أرادها، كما استطاع أن يحول جمعهم بعد أن أدرك ما يعتمل في أعماقه إلى الرأي الذي أرتآه، وفي التصور الذي قدَّمه إلى الحجَّاج في رسالته وهي محاولة كانت تستمد

---

(١) ابن أعثم الكوفي. الفتوح ٧/ ١٤٦.

(٢) الطبري. تاريخ الطبري ٦/ ٣٣٥.

أصولها من الإحساس العام الذي مهَّد له عبد الرحمن بن الأشعث وساعدت على ترسيخه في نفوس المقاتلين عناصره الموزعة في صفوف المسلمين. . . ولا يمكن أن ننسى ونحن في هذا المجال. . الجذور العميقة لهذا التوجه الذي وجد في رسالة الحجاج سبباً مباشراً لاتِّخاذ الموقف وتعبئة أعداد كبيرة من المقاتلين تعبئة مغايرة لخطط الفتح، بعد أن تمكن من استثارة كوامن، وبعث دفائن أوشكت أن تتبدَّد في زحمة الشعور الديني الواحد، والسير تحت راية التوحيد، والإحساس بوحدة المصير، وربما وجد عبد الرحمن بن الأشعث في بيئة الشام والعراق موجدة جادة لإلهاب الضغائن وشق وحدة الأمَّة، وتأريث الأحقاد، وكان الناس يعتقدون أنَّ الفتنة لم تكن موجَّهة إلى الحجاج وإنما المقصود بها الخلافة والدولة والنظام، وهذا ما كان يدور في أذهانهم ويروي الطبري جزءاً من الحوار الذي كان يدور بين الناس عندما دخلوا فارس وقالوا: إنَّا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلصنا عبد الملك[1]. ويبقى هذا الصوت عالياً في الرسائل الأولى التي أرسلها الحجاج إلى عبد الرحمن وهو بسجستان فقد جاء في بعضها.

أما بعد، فإنك وضعت رجلك يا بن محمد في غرز طويل الغَيّ على أمَّة محمد ﷺ، الله الله فانظر لنفسك لا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تغرقها، والبيعة فلا تنكثها، فإن قلت أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه عليها من الناس، فلا تعرضها لله في سفك دم، ولا استحلال محرم والسلام عليك[2]. ولكن التصميم على تنفيذ الخطة، والوقوف بوجه الدولة، والإصرار على تمزيق وحدة الأمَّة والخروج على الجماعة، واستحلال سفك الدماء وتجاوز المحرمات كان يختفي وراء هذه الحركة التي عاش المسلمون محنتها، وهم يتحولون بسيوفهم من

---

(١) الطبري. تاريخ الطبري ٣٣٨/٦.

(٢) الطبري. تاريخ الطبري ٣٣٨/٦.

مواجهة الشرك إلى محاربة المسلمين، ومن تحرير الإنسان، إلى الأحكام الشرعية وتتَّضح نوايا ابن الأشعث عندما وقف خطيباً في أصحابه في البصرة حيث قال: أمَّا الحجَّاج فليس بشيء ولكنَّا نريد غزو عبد الملك[١]، وتتَّضح وجوه الحقد الشخصي على الحجاج في إشارة الطبري بعد أن اجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح فيقول: إن الذي جمعهم عليه بغضهم والكراهية له..[٢] وهو جانب شخصي بحت لا تنطوي تحته أيَّة مصلحة للمسلمين، ولا تحركه أيَّة دوافع تتعلَّق بدواعي التحرير الذي حملته قوافل المجاهدين، واضطلعت بمسؤوليتها قلوب المؤمنين والمقاتلين.

وأبو جلدة الشاعر الكوفي يقع ضمن الدائرة التي دفع منها ابن الأشعث وأعشى همدان وكل الذين دفعتهم أسباب شخصية إلى اتخاذ هذه المواقف المناهضة.

ومن الطبيعي أن تكون نهايته هي النهاية المعروفة التي انتهى إليها كل الذين حشروا في الزاوية المعتَّمة من التاريخ وأرادوا أن يمزقوا وحدة الأمَّة، وتظل أصداء تراجعهم وحميتهم ماثلة أمامهم عند كل محاولة وفي كل تجربة، وسلوكه الفردي يوحي بهذا القلق الذي لازم الشاعر وهو يتعامل مع أقرب المقرَّبين إليه فهو على صلة بالقعقاع بن سويد المنقري ولكنه يختلف معه[٣]، وعندما ولِّي مسمع بن مالك سجستان تلقاه ومدحه بقصيدة[٤]، ويلتقي أبو جلدة بالقعقاع بن سويد فيستعمله حين تولى سجستان على بُست والرُّخج... ولكن عدم استقراره وقلقه وسلوكه

---

(١) الطبري. تاريخ الطبري ٦/٣٤١.
(٢) الطبري. تاريخ الطبري ٦/٣٤٧.
(٣) أبو الفرج. الأغاني ١١/٢٩٣.
(٤) أبو الفرج. الأغاني ١١/٢٩٤.

الخارجي أثار عليه حفيظة القعقاع فكتب إليه يهدده، فكتب إليه أبو جلدة قصيدة يسخر فيها منه، ويدعي لنفسه ادعاءات عريضة وفق طريقة الفخر التي تقضي بالشاعر إلى استلاب كل الخصال الحميدة من خصمه وتنزع عنه أسباب الحياة الكريمة فوجود قومه كمصابيح الدجى أو لامعة كالدنانير الهرقلية، والسعود تجري كما تجري السانحات له، والتحسن يجري مع الطير البوارج لخصومه، وتنقلب صورة القعقاع في قصيدته إلى صورة الفناء والموت والنهاية والضعف والاستهانة ويصبح عمال قبيلته أدنى بقية ويتحوَّل عمال قبيلة القعقاع إلى أهل خيانة ولبس، ومع كل هذا السباب والشتم، تجد القعقاع يوجه رسولاً إلى الشاعر ليستطلع الوقت الذي كتب فيه الرسالة لأنه يعلم بأن الشاعر صاحب شراب، وربما سوَّلت له نفسه أن يقول هذا القول في حالة انتشاء ويصدق حدس القعقاع ورسوله يستمع إلى قسم الشاعر وهو يحلف على كتابه بالعشي، ويسأله البيِّنة على ذلك فيقدم أقواماً يشهدون له بما قال فيتركه وشأنه[1].

ويبدو أن نزعة التمرد كانت صفة من صفات الشاعر وحالة من حالاته التي لازمته وهو يتنقل عبر حياة غير هادئة، ويقف مواقف غير مستديمة فهو في خصومة مستمرة مع الولاة، ومجابهة صارمة، ومع قدرته الفردية على مثل هذه المواقف فإنه كان يجد في قومه عوناً له لمدٍّ بعض ما ينثال عليه، وعندما يجد قومه عاجزين عن تلبية ندائه، وغير قادرين على معونته رهينة من السلطان يتجاوز في ندائه، ويرفع صوته إلى من هو أعلى لإيقاف ما يعتقده ظلماً، ورد ما أصابه من تجاوز. . . (تنظر القصيدة رقم ٢٣).

ولــمـا أن رَأيــتُ سَــراةَ قــومــي
سُكــوتــاً لا يثــوب لهم زعيم

---

(١) أبو الفرج. الأغاني ٢٩٨/١١ ـ ٢٩٩ وتنظر القصيدة (السينية).

هتفتُ بمسمع وصدى أمير
وقبر معمَّر تلك القروم

وهو في ندائه يستجير بمسمع بن مالك (أمير مسا) وأمير بن أحمر من بني يشكر وكان سيداً جواداً ومعمر بن شمير بن عامر وكان أمير سجستان وكان سيداً شريفاً، وهو في كل استغاثة من هذه الاستغاثات يوثب الأمير، ويثير في نفسه نوازع النخوة، وتحمل الناس على معاونته لتحقيق ما يريد وإسعاف طلبه بما يعيد إليه حقه، وقد علمنا أنَّ أبا جلدّة قد أحسن في التوثيب وأجاد اختيار المعاني التي يستطيع بواسطتها أن يدفع الناس إلى الاتفاق عليه والعطف على مطاليبه والدفاع عن قضاياه ومثلما كانت حياته الفردية حياة تمرد واهتزاز فقد كانت حياته العائلية حياة تمزُّق وبعثرة، بسبب تصعلكه وإنفاقه أمواله في الخمر، وفقدانه مسؤوليته الاجتماعية، ومن الطبيعي أن يترك هذا السلوك الاجتماعي بصماته على طبيعة علاقته بالناس ونفورهم منه ولعلَّ هذا السلوك هو الذي دفع (خليعة قينة دهقان) إلى رفضه لما عرف عنه من تهتُّك، وشهر به من تصعلك، ولكن هذا النفور الاجتماعي كان يعلِّله الشاعر بأسباب مختلفة، فإنفاقه بالتكرم وتحمل الأثقال وسمعته تشهد له بها المواقف يجلل الأبطال ويكره نزاله الكماة (القصيدة اللامية) وله مع زياد الأعجم مهاجاة معروفة، ومن الغريب أن يشتبك زياد الأعجم مع أعداد غفيرة من الشعراء في مهاجاة قد تكون أسبابها سياسية، محاولاً من خلالها أن يأخذ موقعه أو يرد اعتباره، أو يثبِّت أقدامه في مجتمع احتدم فيه الصراع بين العرب وغيرهم من الأقوام التي ارادت أن تنال منهم، لتعيد مجدها الزائل، واعتبارها الذاهب، وكذلك كانت له مهاجاة مع الحصين بن المنذر (٣٠٤)، وله مناقضات مع قتادة بن معرَّب إلتزم بها صور المناقضات التي عرفها الشعراء في عصره وهي لا تخرج عن إطارها من حيث المساجلة وتفنيد الحجج وردِّ الاتهامات وتسفيه الأدلَّة، والاستدلال المنطقي، أمَّا الشكل الفني فهو التزام بالصورة التي

يلتزم بها الشاعر من حيث الوزن والقافية وهو في هذين الإطارين يتداخل مع بقيَّة الشعراء في هذا الباب وإن لم يكن من هذا الضرب الشعري، وربما كانت مهاجاته المتنوعة، وكثرة الشعراء، أو الناس الذين هجاهم توحي باهتزاز العلاقة القائمة بينه وبين الناس، وبانفراده بخصائص سلوكية معيَّنة تبعده عن الطريق الطبيعي لحياة الآخرين، وهي من الدلائل التي دفعته إلى سلوك مسالك مهلكة أودت به إلى النهاية المفجعة التي انتهى إليها والشاعر يعبِّر في بعض مواقفه وهو في حالات الاهتزاز والتردُّد عن خيبة أمله وقد تراءى له ضعف قومه فينحى عليهم باللائمة لتركهم الدين والدنيا وبعدهم عن الالتزام بما يجب الحفاظ عليه، وهي حالة توحي بالإحباط الذي كان يعانيه هذا الشاعر والقلق النفسي الذي يتحكَّم بذاته، وهي إشارة تدل على الحالة التي كان عليها وهو يواجه المصير المحتوم، وينتظر اللحظات الحاسمة، ويعاني الضيق المستحكم بجوارحه وإحساساته.

إن طموحه غير المشروع في الزعامة، وتعلُّقه بأهداب القيادة التي لم يكن مؤهلاً لها قد حمله على الاندفاع، وراء كل حركة معارضة أو اتجاه مضاد لعلَّه يجد فيه متنفساً لهذه التطلعات. وكانت صور الزعامة التي ينشدها تتجاوب في نفسه أصداء متلاحقة، وأحوال القيادة التي كان يتصور أنها غير قائمة ممهَّدة لتصوره أن يحقق هذا الوجود الواهي الضائع. وقد عكست بعض أبياته هذه الحالة ففي رثائه لمسمع بن مالك قال:

يا مسمعا العراق لا زعيم لها

بمن ترى يؤمن المستشرف النطف

وهي إحساس بأنَّ العراق بحاجة إلى زعيم وأنَّ الأوضاع مهيَّأة لمثل انتفاضة التي وجد في حركة ابن الأشعث بداية لها أو صورة من صورها.

وبقيت هتافاته الذاتية تتوهَّج وهي تحاول التعبير عن الجانب النفسي

الذي ظلَّ غير قادر عن التعبير إلَّا من خلال الآخرين أو في استثارة من يعتقد بأنَّه قادر على تحريك هذه العواطف، عند من يتطلَّع لمثل تطلُّعه ويفكر في محور تفكيره، وكانت هذه الصيحات الخافتة تخفت في حدود المواقع التي لا تستطيع رد الصدى. . وهنا كانت الصرخة هتافاً، والصيحة يأساً لا يملك لنفسه انتظاراً فقال:

ولــمــا أن رأيــت ســراة قــومــي
سكــوتــاً لا يثــوب لهم زعيم
هـتفـت بمـسـمـع وصـدى أمـيـر
وقـبـر معـمَّـر تـلك الـقــروم

وفي هذين النصَّين تبرز (لفظة) «زعيم» وهي توحي بكل الهواجس الصامتة من جهة والملتهبة من جهة أخرى في دواخله المتأججة لتكون واضحة التعبير والتفسير عن تصرفه الذي حمله على وضع نفسه في حركة ابن الأشعث التي كانت تصب في المجرى نفسه وتقع في الزاوية غير المنظورة من الأحداث الملتهبة في عصره.

وللتوثيب في الشعر دواع، وللاستثارة عناصر، توجهها حالات المواجهة وتستدعيها ظروف الاحتدام، ويتحكَّم فيها الاحساس النفسي ويتحوَّل إلى طاقة متحرِّكة، وتستجيب لها مشاعر النواصل فتوجه الوجهة المطلوبة بعد أن تتحفز نوازع الاستجابة وتتهيَّأ فرص الاستثارة، وتنشط أسباب الإحساس بأهمية الحدث وبقدر ما تكون الاستثارة متوافقة من حيث اختيار الجوانب العاطفية أو التوجه إلى مخاطبة الدواعي المثيرة عند الإنسان، تكون الاستجابة الحاصلة أقوى وأشد، ويكون رد الفعل أمضى وأمد، لأن أسلوب المخاطبة وانتقاء الألفاظ ودراسة الوضع النفسي وقدرة التحكُّم في طريقة المعالجة فتؤدِّي دورها المثير في التحكُّم بقدرة التوجيه، وانتزاع الإحساس المناسب، وتحشيد القوى الكامنة في النفوس ووضعها

في المسار المطلوب، وتوظيفها في مجال الحدث المقرَّر، والإنسان الذي عرف أساليب الحياة، وخبر وطأة الظروف، واستجاب لنوازع المفاضلة في كثير من المجالات، ووقف على القيم الأساسية التي تحدد موقعه في كل المجتمعات كان على بصيرة تامة بهذا المسار الطويل الذي قدَّم له حصيلة غنية من التجارب، وأغناه بأسباب كثيرة من أسباب التحرك. والعرب الذين ساهموا مثل بقيَّة الأمم في التكوين الحضاري وقدَّموا عبر مراحلهم التاريخية الطويلة ثمرات ناضجة لرحلة الإنسان وشاركوا في بناء أقدم الحضارات عراقة وأصولاً، استوعبوا دورهم التاريخي والإنساني، ولمسوا وهم يخوضون غمار الحياة ألواناً من المواجهة وأشكالاً من التحدِّي، وقد أهَّلتهم هذه التجربة الطويلة إلى أن يعرفوا نوازع الإنسان الحية، ويدركوا مقدار الاستجابة لكل قيمة من قيمه، ويستنبطوا دواخله التي لا يمكن أن تنفصل عن أي تكوين من تكويناته وإذا كان احتدام الصراع ظاهرة شهدها هذا الإنسان فإن الأسباب التي تكمن في داخله كانت خاضعة وبأي شكل من الأشكال لصور هذا الاحتدام، بعد أن تمكنت موضوعاتها في نفسه وتحرَّكت دواعيها في سلوكه، ولما كان الشعر وجهاً من وجوه التعبير، وحالة من حالات الاستجابة فقد استطاع هذا الإنسان أن يوفق في استخدامه لما يراه مناسباً، ولما يتحقَّق في ذاته من احتدامات.

والتوثيب في الشعر العربي حالة حيَّة، أحسن استخدامها الشعراء العرب، واستطاعوا الوصول إلى تهيئة الأجواء المناسبة عندما يجدون أنفسهم بحاجة إلى توحد، ويشعرون بالخطر يهددهم وبالاعتداء يقع عليهم وكانت الموثبات من القصائد مصاحبة لكثير من الأحداث، ومواكبة لاهتزاز المشاعر القومية وقد وجدت فيها النساء وسيلة لإلهاب حماسة الرجال واستثارة واعية لعزائمهم وخاصة في حالات المواجهة وعند احتدام المعارك.

حتى أخذت مساحتها الواسعة في ميدان الشعر، بعد أن وجدت

الحماسة طريقها إلى كل نفس، وتحقَّقت في كل ذات، واستقطبت أغراضاً لها صلتها في الأحجام الوجدانية الواعية، وأبـو جلدة واحد من أولئـك الشعراء الذين راصلوا حالة التوثيب وشاركوا في مجالات المناهضة حتى وصف بأشد المحرضين لأساليبه التي استخدمها وطرائقه التي استثار بها. وكانت أبياته مثاراً لاستنهاض الهمم، وإيذاناً بأوان الشدّ، وإنذاراً لبداية الحملة لما تحدثه في النفوس من أنفـة، وتبعث من إباء، وتـوقظه من أحاسيس الاعتزاز (الحائية).

وبقدر ما كان التوثيب حالة للاستثارة. ومدعاة للتحفز فإنه كان ينطلق من إيمان الموثبين بتفاهة الحياة بعد أن يذل الإنسان، وبضآلة التعايش في حالة التراجع والتخاذل والانكسار، وعندها تفقد الحياة طعمها، وتموت في دواخل الإنسان أسباب التطلُّع وتتيه في حشرجات اليأس بوارق المواجهة والتحدِّي وفي كل لون من ألوان التوثيب ترتفـع صيحات الاستهجـان، وتتوالى صور التعبير التي كانت النساء تجد فيها مساحة كبيرة لأنهنَّ النقطة المتحرِّكة في إطار الحماية والبداية المطلوبة في استثمار الرعايـة وعلى ألسنتهنَّ تتوارد دلالات الألفاظ التي تشدُّ المقاتلين إلى الثبات وفي الصور التي يقدمنها تتحكَّم إرادة المخاطبة والتهكُّم.

وبقي صوت الشاعر في التوثيب، واستثارته في التحـريض متميِّزاً وصوتاً مرتفعاً دفع الحجاج إلى أن يقول يوماً لجلسائه، ما حرض علي أحد كما حرض أبو جلدة[1].

فنون شعره

وأبو جلدة يسير في الدروب المسلوكة التي عمق الشعراء آثارها، ففي مديحه يذهب مذهبهم في (حبل سعاد المنقطع) وتمنَّى وصلها بعد أن شطت بها غربة بعيـدة، ولوم العـاذلة، ليتَّخـذ من هذه المعـاني جسراً

---

(١) أبو الفرج. الأغاني ١١/٢٩٢ (دار الثقافة).

للحديث عن تليد فخره، وكرمه الذي لم يزده الدهر إلَّا بغضاً، وصلابته التي لم تزدد إلَّا شدَّة وقوَّة، وهو مديح للنفس قبل أن يكون مديحاً للآخرين، وهو حالة من حالات التعبير عن النوازع، وصورة من صور التفاخر الذاتي في شواهد الغير، ويبرز هذا الجانب في تخصص مديحه بذوي الإحساب الذين لم يجعل الله في أقوالهم فحشاً من الكلام ولا قبحاً من الأفعال، الطيبين على العلاَّت، فمسمع بن مالك نال من مديحه جانباً كما حظى برثائه الذي وقف فيه عند معاني الرثاء المعروفة وصياغاته التأبينية والمحصورة بالتشبيهات المألوفة، وما كان يوصف به المرثي، وإذا كان الشاعر قد استفرغ أماديحه في مسمع بن مالك فإن أسباب التواصل ودوام الإلفة وتيسير سبل الحياة بما يقدِّمه الممدوح للشاعر كانت عوامل دافعة ومحفزات أساسية في هذه الأماديح التي دفعت الشاعر إلى القول

كل الخلال التي يسعى الكرام لها
أن يمدحوك بها يوماً فقد صدقوا

لكن هذا المديح يتحوَّل إلى هجاء ولده مقاتل الذي ظنَّ الشاعر به خيراً، وتوقع حسناً ولكن الإبن لم يحفظ أحدوثة الوالد، ولم يبق ذكراً للفضائل التي عرف بها فكان موضع هجاء مرًّ من الشاعر وموطن استهجان، ولم يكن هجاؤه منصبًّاً على شخصه ولكن كان موجًّهاً لاستلاب الخصائص الكريمة، ونزع الخصال الحميدة التي تضع الإنسان في موضع التكريم والتعظيم (الإيمان / ٣١١).

وأبو جلدة يجد في مطلع مديحه لسليمان بن عمرو بن مرثد البكري نافذة للدخول من خلالها إلى الحديث عن هذا الممدوح الذي عرف بفروسيته وشجاعته وصولاً إلى الحديث عن الخمرة التي يشربها صهباء طيبة النشر. ثمَّ يستمر في أوصافها ونعوتها فهي معتقة كالمسك، تترك حاسي الكأس مرنَّحاً. وفي هذه اللوحة تظهر براعة الشاعر في أوصافه التي يمكن

اعتبارها امتداداً لاتجاه الأعشى وجسراً لإيصال الأوصاف إلى أبي نوًاس، والصور التي يقدمها الشاعر تتّجه في أغلبها إلى الوجهة التقليديـة التي لمسناها بوضوح في خمريات الأعشى ولكن الجدة في بعض ملامحهـا توحي باستحضار صور جديدة استمدهاالشاعر من المعاصرين الذين أحسنوا هذه الصنعة وقدموا محاولة جديدة. في بعض مفرداتها ولكن الذي يبدو من روح القصيدة أن الشاعر حاول. من خلال هذه اللوحة أن يتحدَّث عن كرم الممدوح ووجد في حديث الخمرة مجالاً له لأنه يذكر في البيت الثالث.

كـــريمـاً على عــلاَّتــه يبــذل النـــدى
ويشـــربهـا صهبـاء طيبــة النشـــر

وفي البيت السابع يقول:

فـتـلك إذا نــادمـت مـن آل مــرشـــد
عليهـا نديمـاً ظل يهـرف بـالشعـر

وهما إشارتان من الإشارات التي حدَّدها الشاعر لأسباب هذا الحديث عن الخمرة ولما حمله على أن يقدم هذه الصور التي تظهر افتقارها إلى معانٍ أخرى يمكن أن تدخل في إطار الخمريات المعروفة، فهي مقدمة أو توطئة استعار لها ما أحسن قوله من شعر في باب المنادمة لينحدر منه إلى حديث الكرم المقترن بمثل هذا الحديث في القصيدة التقليدية.

أما خمرياته فهي قصائد متميِّزة وقف فيها الشاعر عند المعاني التي عرفها أصحاب مجالس الشرب، وتداولها الشعراء، في قصائدهم ابتداء من الأعشى، وقد أباح له وجوده في بست وتستر والرخـج وسجستان الحرية في الخروج عن الحياة المألوفة، كما أباح له انغماسه في حياة المجون في تلك البلاد مجال التعبير عن نوازعه الشهوانية الحادَّة. وأوشكت أن تكون قصائده وجهاً من وجوه العبث والتهتُّـك بعد أن اختلطت حيـاته بحيـاة

الدهقانات التي كان يختلف الهين ويقضي عندهن الأوقات الطويلة، وقد نعت الخمرة في أوصافه لها بما وصفت به من أوصاف وعرفت به من ألوان صافية كعين الدين، معتقة كالمسك تترك حاسيها طريحاً لفرط نشـوته. حبابها ينزو إذا مزجت بالماء مثل لظى الخمر، صهباء طيِّبة النشر، ومثل ما كانت وقفته طويلة عند الخمرة فقد كانت وقفته طويلة عند الدهقانات التي أضفى عليها من الصفات التقليدية ما جعلها موضع اهتمام الآخرين، كما كانت له آدابه الخاصة في مجالس الشرب، وكان حريصاً على الالتزام بها والوفاء بأصولها والحرص على الأخذ بها.

وتتعالى في أعماقه حالات العزوف عن الدنيا عندما تشتد عليه نوازع العودة إلى الحياة الإنسانية، والإقلاع عن المباذل، والانصراف عن حياة التهتك، وصحوة القلب هذه بعد الغي وجه من وجوه شعر الزهد، وتبرير من مبررات الناس الذين تضيق بهم سبل الحيـاة، وتقفل في وجـوههم مسالك التفكير الجدِّي فيجدون في الصحوة ملاذاً، وفي الابتعاد عن الغي درباً عريضاً من دروب المغفرة والتوبة والصلاح، وقد عودنا الشعراء على مثل هذه الحالات عندما تحيق بهم أستار الخطيئة، ويضيق عليهم جبل النجاة، وتتجلَّى لهم صور الموت والعذاب، وهنا كان الإقلاع عن الصبوة، والعودة إلى المغفرة والتزهد ودعوة الله للعفو هي الأصـوات البارزة في جوانب الحياة الضائعة وأبو جلدة يضع لنا صورة لهذا الطريق المعقول الذي اهتدى إليه بعد غي طويل وبعد أن تمادى في المباذل وانغمس في المجون.

وفي حياته مجموعة من الرجال الذين ذكرهم في شعره مدحاً أو رثاءً فسليمان بن عمرو بن مرثد كان صديقاً له وهو من الفرسان الشجعان / الأغاني / وكان الشاعر يحسن مديحهم ويبدو أن مصاحبته لهم كانت مصاحبة مجالس ومنادمة معهم في بعض قصائدهم يشربونها صهباءً طيبـة النشر، معتقـة كالمسك، تدعو المرء للجود بالوفر.

ومن الغريب أن يمدح الشاعر أصحابه بأماديح الندامى وإن لم يكونوا من معتادي شرب الخمر وكأنه كان يجد في الخمرة باباً من أبواب المديح فشربُ الصهباء وإيثارها كانت من صفاته هو، وليست من صفات بعض ممدوحيه الذين نعتهم بها حتى عدَّها هذا البعض هجاء ولكن معرفتهم بالشاعر كانت عذراً له وسبباً من أسباب صفحهم عنه.

والشاعر لا تنتهي حدود قصائده عند معاني الأغراض التي يتناولها أو الفنون التي يعرض إليها، وإنما هو شاعر حضري يتعامل وفق المعطيات الجديدة التي يقع عليها نظره. وفي ظل الصور الجديدة التي بدأت تأخذ حجماً في صوره وألفاظه وتشبيهاته، فوجوه المقاتلين وقد علاهم السعود (هرقلية ملس) والهرقلية ضرب من نقود الروم، والفتاة التي أطلَّت عليه من أحد قصور بست مولعة بالخلوق وهو يفوج بالزند وقد ارتدت الخز والمطارف والقز والعصب اليماني القشيب.

إن نفس الشاعر يتحدَّد في ظاهرة المقطوعات الشعرية التي غلبت على قصائده وهي ظاهرة بدأ العصر يشهد لها حضوراً عند مجموعة كبيرة من الشعراء، وربما تدخل هذه الظاهرة في طبيعة حياة الشاعر التي كانت تفرض عليه التناول السريع والتخلُّص السريع والتعبير الموجز الذي يحقِّق له الغرض المقبول وهو إسماع الآخرين ما يريد أن يقول أو جعل شعره سائراً على ألسنة الناس ليحفظوه وهو في الحالين قد حقَّق الغاية، وربما كانت الأغراض التي عالجها حاجزاً بينه وبين الإطالة فدفعته إلى الاختزال والاختصار لأنه في موقف لا يوجب عليه الخروج عن دائرة الغرض وإن المقطوعات القصيرة أدخل في المسامع وأجول في المحافل وبقدر ما كانت وافية فإنها أكثر استساغة.

وإن حياة الشاعر وهو يطرق هذه الأبواب، ويقدم هذه النماذج الشعرية يمثل توجهاً سائداً من توجهات الشعر في عصره، وعلى الرغم من أنه شارك مع عبد الرحمن الأشعث إلَّا أننا لم نجد له شعراً يفصل أحداثها

أو يروي أخبارها أو يصور مبادئها وأفكارها كما صنع أعشى همدان أو غيره ممن وضعوا أنفسهم في خدمة هذا التمرد، وانزلقوا تحت وطأة الوعود الزائفة والمصالح الضيِّقة وإذا كانت الأغراض الشعرية التي طرقها الشاعر أغراضاً معروفة فإن طبيعة حياة الشاعر قد لوَّنتها بالألوان الخاصة التي حاول أن يعكسها على مفرداته... وأبو جلدة الذي حمل نفسه مع مواكب الفاتحين وخبر حياة الديار الجديدة التي وطأتها أقدام المسلمين انصرف إلى حياة اللهو والعبث، واستطاب حياة الترف والمجون، فاضطربت حياته، وضاعت حقيقته وقد غمرته لذَّات الدنيا، ووقفت به أسباب الانقطاع إلى حانات الخمارين عن الأهداف التي تحقَّقت بإيمان المجاهدين وصدق المؤمنين، ووفاء الرجال الذين عاهدوا الله عليه.

وأبو جلدة الذي امتدَّت به الحياة فشارك في الخروج مع ابن الأشعث سنة ٨١ للهجرة واتَّصل قبل ذلك بمسمع بن مالك الذي عيِّن على (فسا) و(درابجرد) سنة اثنتين وسبعين[١] وفي سنة ثلاث وثمانين وبعد هزيمة ابن الأشعث كان مسمع حاضراً[٢]، وفي سنة خمس وثمانين قتل عبد الرحمن بن الأشعث وقبل سنة أربع وثمانين[٣] كانت نهاية الشاعر الذي كانت أوليات حياته غير معروفة... وطويت صفحته بعد أن ترك تراثاً شعرياً احتفظ به كتاب الأغاني وذكر بعض قصائده ابن الشجري في حماسته، والطبري في تاريخه، ولم تحفل بأخباره أو أشعاره كتب الأدب الأخرى.

---

(١) الطبري. تاريخ الملوك والرسل ٦/١٦٩.
(٢) الطبري. تاريخ الملوك والرسل ٦/٣٨٣.
(٣) الطبري. تاريخ الملوك والرسل ٦/٣٩٣.



شعر أبو جلدة اليشكري

ـ ١ ـ

قال ابن حبيبَ:

ومرَّ أبو جلدة بقصرٍ من قصور بُست ينزله رجلٌ من الدَّهاقين، فرأى ابنته تُشرف من أعلى القصر فأنشأ يقول:

[من الخفيف]

١ ـ إنَّ في القصـر ذي الخِبـا بـدرَ تَمٍّ
حسنَ الـدَّلِ لـلفـؤاد مـصـيـبـا

٢ ـ وَلـعـاً بـالـخـلوقِ يـأرَجُ مـنـه
ريـحُ رَنْـدٍ إذا استقـلَّ منيـبـا

٣ ـ يـلبُس الخَـزَّ والمطـارفَ والـقـزَّ
وعَـصَبـاً مـن اليـمـاني قـشيـبـا

٤ ـ ورأيـتُ الـحـبيـبَ يُـبـرز كفَّاً
مـا رآه المحـبُّ إلا خَـضـيـبـا

....

الأبيات [١ ـ ٤] في الأغاني ١١/٢٩٩.

* * *

ـ ٢ ـ

قال أبو جلدة:

[من الطويل]

١ ـ أبـا خـالـدٍ رُكني ومن أنـا عبـدُه
لقـد غالني الأعـداءُ عمداً لتغضبـا

٢ ـ فإن كنتُ قلت اللَّذْ أتاك بـه العدا
فشلّت يدي اليمنى وأصبحت أعْضَبا

٣ ـ ولا زِلـتُ مـحـمـولاً عـليَّ بَـليّـةٌ
وأمـسلتُ شِـلواً للسِّـبـاع مُتَـرَّبـا

٤ ـ فـلا تَسْمَعْن قـولَ العِـدا وتبيَّنَـنْ
أبـا خالـدٍ عُذراً وإنْ كنتَ مُغْضَبـا

الأبيات [١ ـ ٤] في الأغاني ٣٠٧/١١.

* * *

ـ ٣ ـ

قال أبو جلدة في يوم الزاوية[1] حين خرج بين الصَّفين:

[من الطويل]

١ ـ لَعَمـري لأهلُ الشـام أطعنُ بـالقَنَـا
وأحْمَى لما تُخْشَى عليه الفَضَـائحُ

(١) الـزاوية: مـوضع قـرب البصرة كـانت به الـوقعة المشهـورة بين الحجاج وعبـد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة ثلاث وثمانين.

٢ ـ هم المُقْدِمونَ الخيلَ تَدْمى نُحُورها
إذا ابيضَّ من هَوْلِ اللقاء المسائح[١]
٣ ـ فَـرَرنَـا عِجـالاً عن بنينا وأهْلِنـا
وأزواجنـا إذْ عـارضتنـا الصفـائـح
٤ ـ جَبُنّـا وما مِنْ مـورِدِ الموت مَهْـرَبٌ
ألا قَبُحَتْ تلك النفوس الشحائـح
٥ ـ تـركنـاهُمُ صُحْنَ العـراقِ ونـاقلت
نبأ الأعوجيّاتُ الطِّوالُ الشـرامِحُ[٢]
٦ ـ فقـل للحَـواريَّـات يبكينَ غيـرنـا
ولا تبكنـا إلاَّ الكِلاَب النـوابـحُ[٣]
٧ ـ بكينَ إلينـا خَشيـةً أنْ تُبـيحَـهـا
رماحُ النصارى والسيـوفُ الجوارحُ
٨ ـ بكيـن لكـيمـا يـمنعـوهُنَّ مـنهـمُ
وتـأبى قُلُوبٌ أضمـرَتهـا الجـوانـحُ
٩ ـ ونـادينـنـا: أيـن الفـرارُ وكـنـتُـمُ
تغارون أن تبدو البُرى والوشائح[٤]
١٠ ـ أأسلمتمـونـا للعَـدوّ على القَنـا
إذا انتُـزعت منها القـرونُ النواطح

(١) المسائح: جمع مسيحة وهي الشعر المدلَّى خلف الظهر.
(٢) الشرامح: جمع شرمحي: القوي الشديد.
(٣) الحواريات من النساء: النقيات الألوان والجلود لبياضهنَّ.
(٤) البُرى: جمع بُرة وهي الخلخال والوشاح: ما تشد به المرأة بين عاتقها وكشحها.

١١ ـ فما غار منكم غائرٌ لحليلةٍ
ولا غَرَبٌ عَزّت عليه المناكح

الأبيات [١ ـ ٦] في حماسة ابن الشجري ٢٤٢ والأبيات [٦ ـ ١١] في الأغاني ١١/٢٦٢.

والأبيات [١، ٥، ٦] في الوحشيات /٢٩ وفي روايتها اختلاف .

والأبيات ١، ٥، ٦ وبيت آخر هو.

نفينا عُتَاةَ الشام عن عقر دارنا
فلا خيرَنا مضرٌ ولا البيع رابح

في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٧/١٤٣ ـ ١٤٤ منسوبة إلى بكير بن هارون. وفي رواية الأبيات اختلاف.

والبيتان السادس والسابع في اللسان [حور] ورواية السابع. . خيفةً أن تُبيحها.

* * *

ـ ٤ ـ

وقال أبو جلدة في حضين:

[من الطويل]

١ ـ لعُمرك إني يوم أُسندُ حاجتي
إليك أبا ساسان غيرُ مُسَدَّد

٢ ـ فلا عالمٌ بالغيب من أينَ ضَرُّهُ
ولا خائفٌ بثَّ الأحاديث في غَدِ

٣ ـ فليت المنايا حَلَّقتْ بي صُروفُها
فلم أطلبِ المعروف عِندَ المُصَرَّدِ

٤ ـ فلو كنتَ حُـرًّاً يـا حُضينُ بنُ مُنـذرٍ
لـقُمـتَ بحـاجـاتـي ولـم تـتـبـلَّدِ
٥ ـ تجهمتني خـوفَ القِـرى واطَّـرحتني
وكنتَ قصيـرَ البـاعِ غيـرَ المُقَلَّد
٦ ـ ولم تَعـدُ ما قـد كنتَ أهـلاً لمثلِهِ
من اللؤم يـا بنَ المُستـذَلَ المُعَبَّـد

....

الأبيات [١ ـ ٦] في الأغاني ١١/٣٠٤.

* * *

ـ ٥ ـ

قال ابن حبيب: كان سليمان بن عَمرو بن مرثَد البكري صديقاً لأبي جلدة، وكان فارساً شجاعاً، وقتله ابن خازم لشيء بلغه فأنكره وفيه يقول أبو جلدة:

[من الطويل]

١ ـ إذا كنتَ مُـرْتـاداً نـديمـاً مُكـرَّراً
نمـاهُ سَـراةُ من سـراة بني بكـر
٢ ـ فـلا تَعُد ذا العليـا سليمان عـامـداً
تجد ماجداً بالجود منشرح الصـدرِ
٣ ـ كـريمـاً على عـلاَّتـه يبـذل النَّـدى
ويشـربُهـا صهبـاءَ طيبـةَ النشـرِ
٤ ـ مُعَتَّقـةً كـالمسـكِ يُـذهب ريحهـا
الزُّكام وتدعو المرءَ للجود بـالوَفـرِ

٥ ـ وتتـركُ حاسي الكـأس منها مُـرنَّحاً
يميـد كمـا مـادَ الأثيمُ من السّكـر
٦ ـ تلوح كعينِ الـديـك ينـزو حَبـابُهـا
إذا مُزِجتْ بالماءِ مثلَ لظى الجمر
٧ ـ فتلكَ إذا نـادمتُ من آل مَـرثـدٍ
عليهـا نديمـاً ظَلَّ يهـرف بـالشعـر
٨ ـ يُغنِّيـكَ تـاراتٍ وطـوراً يكُـرُّهـا
عليـك بحيّـاك الإلَـهُ ولا يـدري
٩ ـ تَعـوَّدَ ألَّا يجهـلُ الـدهـرَ عنـدهـا
وأن يبذُل المعروفَ في العُسر واليُسر
١٠ ـ وإنَّ سليمـانَ بنَ عمـرو بن مَـرثَـدٍ
تـألَّى يمينـاً أن يَـريش ولا يَبـري
١١ ـ فهمَّتُـهُ بـذلُ النـدى وابتنـا العُـلا
وضربُ طُلَى الأبطال في الحرب بالبُتْر
١٢ ـ وفي الأمن لا ينفكُّ يحسو مُدامةً
إذا ما دجا ليلٌ إلى وَضَح الفجـر

....

الأبيات [١ ـ ١٢] في الأغاني ١١/٣٠٣.

* * *

ـ ٦ ـ

قال ابن حبيب: كان أبو جلدة يشرب مع ابنَ عمٍ له من بكر بن وائل، فسكر نديمه فعربد عليه وشتمه، فاحتمله أبو جلدة وسقاه حتى نام، وقال في ذلك:

[من الطويل]

١ ـ أبى لي أن ألحى نديمي إذا انتشى
وقـال كلاماً سَيِّئاً لي على السّكـر

٢ ـ وقـاري وعلمي بـالشـراب وأهلِه
وما نادَمَ القوم الكرامَ كذي الحجر

٣ ـ فلستُ بـلاحٍ لي نـديمـاً بِـزَلَّـةٍ
ولا هفوةٍ كانت ونحن على الخمر

٤ ـ عركتُ بجنبي قول خذني وصاحبي
ونحن على صهبـاءَ طيّبـةِ النشـرِ

٥ ـ فلمـا تمـادى قُلتُ خـذهـا عـريقـةً
فـإنك من قـومٍ جحـاجحـةٍ زُهـرِ

٦ ـ فمـا زلتُ أَسقيـه وأشـربُ مثلمَـا
سقيتُ أخي حتى بدا وَضحُ الفجرِ

٧ ـ وأيـقنـتُ أن السـكـر طـارَ بُـلبّـه
فأغرق في شتمي وقال وما يدري

٨ ـ ولاكَ لسـانـاً كـان إذ كـانَ صـاحيـاً
يُقلِّبُـهُ في كُـلِّ فنٍّ من الشـعـر

....

الأبيات [١ ـ ٨] في الأغاني ١١/٣٠٩.

* * *

ـ ٧ ـ

كان أبو جلدة اليشكري قد خرج إلى تُستَر في بعثٍ، فشرب بها في

حانةٍ مع رجل من قومه كان ساكناً بها. ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بُست والرُّخج وكان مكتبُه هناك، فأقام بها مدَّة، ثم لقي بها ذلك الرجل الذي نادمه بتُستر ذات يوم، فسلَّم عليه ودعاه إلى منزله. فأكلا ثم دعا بالشراب ليشربا، فامتنع الرجل وقال: إني قد تركتُها لله. فقال أبو جلدة وهو يشرب:

[من الطويل]

١ ـ ألا رُبَّ يوم لي ببُسْتَ وليلةٍ
ولا مثل أيامي المواضي بتُستَرِ

٢ ـ غنيتُ بها أسقي سُلاَفَ مُدامةٍ
كريم المُحيّا من عرانين يشكر

٣ ـ نُبادر شُربَ الراح حتى نهرّها
وتتركنا مثلَ الصَريع المُعفَّر

٤ ـ فذلك دهرٌ قد تولَّى نعيمه
فأصبحتُ قد بُدِّلتُ طول التوقُّرِ

٥ ـ فراجعني حلمي وأصبحتُ منهج
الشرابِ وقدماً كنتُ كالمتحيِّر

٦ ـ وكلُّ أوانِ الحقِّ أبصرتُ قصدَه
فلستُ وإنْ نُبِّهتُ عنه بمقصر

٧ ـ سأركضُ في التقوى وفي العِلم بعدما
ركضتُ إلى أمر الغويّ المُشهّر

٨ ـ وبالله حولي واحتيالي وقُوَّتي
ومَنْ عنده عرفي الكثير ومُنكري

الأبيات [١ ـ ٨] في الأغاني ١١/ ٣١٠.

* * *

ـ ٨ ـ

قال ابن حبيب: وكان أبو جلدة قد استعمله القعقاع بن سويد حين تولّى سجستان على بُست والرَّخج، فأرجفَ الناسُ بالقعقاع، وأرجف به أبو جلدة معهم، وكتب القعقاع إليه يتهدَّده فكتب إليه أبو جِلدة.

[من الطويل]

١ ـ يُهدِّدني القعقاعُ غيرَ كُنهِه
فقلتُ له بكرٌ إذا رُمتني تُرسي

٢ ـ لعمري لئن أوعدتني ما ذعرتني
فدونك فاغضبْ إنْ غضبتَ على الشمسِ

٣ ـ كأنا وإيَّاكم إذا الحرْبُ بيننَا
أُسودٌ عليها الزَّعفرانُ مع الورْسِ

٤ ـ تُرى كمصابيح الدَّياجي وُجُوهُنا
إذا ما لَقينا والهُرقليَّةِ المُلسِ[1]

٥ ـ هناك السُّعُود السانحاتُ جَرَت لنا
وتجري لكم طيرُ البوارح بالنَّحس

٦ ـ وما أنت يا قعقاعُ إلا كمن مضى
كأنَّك يوماً قد نُقِلْتَ إلى الرَّمسِ

---

(١) الهرقلية: الدنانير نسبة إلى هرقل ملك الروم.

٧ ـ أظنُّ بِغالَ البُردِ تسري إليكُم
به غَطفانياً وإلَّا فمنْ عبسِ

٨ ـ وإلَّا فبالبسَّال يا لك إن سَرَت
به غير مغموز القناة ولا نكس

٩ ـ فعُمالُنا أوفى وخيرٌ بقيَّةً
وعُمَّالُكم أهلُ الخيانة واللِّبس

١٠ ـ وما لبني عمروٍ عليَّ هوادةٌ
ولا للرِّباب غيرُ تَعسٍ من التَّعسِ

الأبيات [١ ـ ١٠] عدا الثاني في الأغاني ١١/٢٩٨.
والأول والثاني في حماسة ابن الشجري / ١٧٠ ـ ١٧١ ورواية الأول: تُهدِّد.

* * *

ـ ٩ ـ

مرَّ مِسمع بن مالك بأبي جِلدة فوثب إليه وأنشأ يقول:

[من الرجز]

١ ـ يا مسمعُ بْنَ مالكِ يا مسمع
٢ ـ أنت الجوادُ والخطيبُ المِصْقَعُ
٣ ـ فاصنعْ كما كان أبوك يصنع

الرجز في الأغاني ١١/٣١٠.

* * *

ولي مسمع بن مالك سجستان، وكان مُكثُ أبي جلدة بها، فخرج فتلقَّاه ومدحه بقصيدته التي أولها:

[من البسيط]

١ ـ بـانت سُعادُ وأمسى حبلُهـا انقطعـا
وليت وصـلاً لها من حَبْلِهـا رجعا

٢ ـ شَـطَّت ـ بهـا غُـرَبـةٌ زوراء نـازحـةٌ
فطارتْ النفسُ من وَجْدٍ بها قطعا(١)

٣ ـ مـا قـرَّت العينُ إذْ زالت فينفعَهـا
طعمُ الـرُقادِ إذا مـا هاجـعٌ هجعـا

٤ ـ مَنعتُ نفسي من روحٍ تعـيش بـه
وقد أكون صحيحَ الصدرِ فانصدعا

٥ ـ غَـدَتْ تلوم على ما فـات عـاذلتي
وقبـل لومـك مـا أغنيت مَنْ مَنعَـا

٦ ـ مهـلاً ذريني فـإني غـالني خُلُقي
وقـد أرى في بلاد الله مُتَّسعَـا(٢)

٧ ـ فخـري تليـدٌ ومـا أنفقتُ أخلفـه
سيُب الإلّـه وخيرُ المـالِ ما نفعـا

٨ ـ مـا عَضَّني الدهـرُ إلَّا زادني كرمـاً
ولا استكنتُ له إن خانَ أو خَدَعا

---

(١) غربة زوراء: بعيدة.

(٢) غـالني: حبسني.

٩ ـ ولا تلينُ على العِـلَّات مَعْجَـمتـي
في النائبات إذا ما مَسَّني طبَعا (١)

١٠ ـ ولا تُـلِّينُ مـن عُـودي غمـائـزهُ
إذا المُغَمَّـز منهـا لانَ أو خَضَعَـا

١١ ـ مـا يَسّـر الله من خيـرٍ قنعتُ بـه
ولا أمـوت على ما فـاتني جَـزَعـا

١٢ ـ ولا أُخَـاتِـلُ ربَّ البيتِ غفـلَتَـهُ
ولا أقـولُ لشيء فـاتَ مـا صَنَعـا

١٣ ـ إني لأمـدحُ أقواماً ذوي حَسبٍ
لم يجعـلِ الله في أَقوالهـم قَـذَعَا

١٤ ـ الـطيِّبين على العِـلَّات معَجَّمـةً
لو يُعصرُ المسكُ من أطرافهم نَبَعا

١٥ ـ بنى شـهـابٍ بهـا أعـني وإنـهم
لأكـرمُ الناسِ أخـلاقـاً ومُصـطنعـا

. . . .

الأبيـات [١ ـ ١٥] عـدا البيت الحـادي عشـر فـي الأغـاني ١١/٢٩٤ ـ ٢٩٥.

والبيتان [١١ ـ ١٢] في الحماسة البصرية ٢/٨٣ ورواية البيت الثاني عشر ولا أُخاتل جار البيت.

* * *

---

(١) المعجمة: القوة والصلابة.

- ١١ -

وقال ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال:

كان لأبي جِلدة بسجستان جارٌ يقال له سيفٌ من بني سعد، وكان يشرب الخمر، ويُعربد على أبي جِلدة فقال يهجوه:

[من الطويل]

١ ـ قُـل لـذوي سيفٍ وسيفٍ أَلـسْتُـمُ
أقـلَّ بني سَعـدٍ حصـاداً ومـزرعـا

٢ ـ كـأنـكـم جِـعـلانُ دارِ مُـقـامـةٍ
على عـذِرات الحيِّ أصبحنَ وُقَّعا

٣ ـ لقـد نالَ سيفٌ في سجستـان نُهزةً
تـطاول منها فـوق ما كـان إصبعـا

٤ ـ أصابَ الزِّنا والخمرُ حتى لقد نَمَتْ
له سُرَّةٌ تُسقَى الشـرابَ المُشَعشَعا

٥ ـ فلو لا هوانُ الخمر ما ذُقتَ طعمَها
ولا سُقْتَ إبـريقـاً بكفِّـك مُتـرعـا

٦ ـ كمـا لم يَـذقْهـا أن تكـون عـزيـزةً
أبـوك ولم يُعرَض عليهـا فيـطمعـا

٧ ـ وكـان مكـان الكلب أو من ورائـه
إذا مـا الـمُغَـنّي لـلذّاذةِ أسمـعـا

. . . .

الأبيات [١ ـ ٧] في الأغاني ١١/٢٩٧ ـ ٢٩٨.

* * *

ـ ١٢ ـ

قال ابن حبيب قال أبو عبيدة:

كان يزيد بن المُهَلَّبُ يتَّهمُ بالنساء فقال فيه أبو جلدة:

[من الطويل]

١ ـ إذا اعتكرتْ ظلماءُ ليلٍ ونَوَّمتْ
عيُون رجالٍ واستلذُّوا المضاجِعا

٢ ـ سما نحوَ جار البيتِ يَستامُ عِرسَهُ
يزيد دبيباً للمعاناةِ قابعا

٣ ـ وإن أمكنتهُ جارةُ البيتِ أورنتْ
إليه أتاها بعد ذلك طائعا

الأبيات [١ ـ ٣] في الأغاني ١١/٣٠٧.

* * *

ـ ١٣ ـ

قال أبو جلدة يرثي مسمع بن مالك.

[من البسيط]

١ ـ أقولُ للنفس تأساءً وتعزيةً
قد كان مِن مِسمعٍ في مالكٍ خَلفُ

٢ ـ يا مسمعَ الخير من ندعو إذا نزلت
إحدى النَّوائب بالأقوام واختلفوا

٣ ـ يـا مِسْمعاً لعـراقٍ لا زعيمَ لهـا
بمنْ تُرى يُؤمنُ المُستشرفُ النَّطفُ(١)

٤ ـ تلك العيـون بحيث المصر سـادمةً
تَبكيك إذْ غالك الأكفانُ والجُرُفُ

٥ ـ قد وسدوك يميناً غير مـوسدةٍ
وبـذل جودٍ لمـا أودى بك التَلَفُ

٦ ـ كُنتَ الشِّهابَ الذي يُرمى العدوّ به
والبحـر مِنه سِجـالُ الجُود تغتـرف

الأبيات [١ ـ ٦] في الأغاني ١١/ ٢٩٥.

* * *

ـ ١٤ ـ

قال أبو عمرو الشيباني: كان مِسمع بن مالك يُعطي أبا جلدة فقال فيه:

[من البسيط]

١ ـ يَسعى أنـاسٌ لكيمـا يُـدركـوك ولـو
خاضوا بِحارَك أو ضحضاحها غرقوا

٢ ـ وأنت في الحرب لارثُّ القُوى بَرِمٌ
عنـد اللِّقـاءِ ولا رِعـديـدةٌ فَـرِقُ

٣ ـ كُلُّ الخِلال التي يسعى الكرامُ لها
إن يمدحوك بها يوماً فقد صَـدقوا

(١) المستشرف: الظالم. يقال: استشرفه حقه إذا ظلمه. والنطف: المريب.

٤ ـ سادَ العراقَ فحالُ الناس صالحةٌ
وسادَهم وزمانُ الناس مُنخرقُ
٥ ـ لا خارجيٌّ ولا مُستحدثٌ شرفاً
بل مجدُ آل شِهابٍ كان مُذْ خُلِقوا

الأبيات [١ ـ ٥] في الأغاني ١١/٣١١.

* * *

ـ ١٥ ـ

قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي:

وفرَّق مِسمع بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثعلبة عطايا كثيرة وقرَّبهم وجفا سائر بطون بكر بن وائل فقال أبو جلدة:

[من الطويل]

١ ـ إذا نِلتَ مالاً قُلتَ قيسٌ عشيرتي
تجورَ علينا عامداً في قضائكا
٢ ـ وإن كانت الأخرى فبكرُ بن وائلٍ
بزعمكَ يُخشى داؤها بدوائكا
٣ ـ هنالك لا يمشي الضَّراءَ إليكمُ
بني مِسمع إنَّا هناك أولئكا
٤ ـ عسى دولةُ الذُّهلينِ يوماً ويشكرٍ
تكُرُّ علينا سَبْغَةٍ من عطائكا

الأبيات [١ ـ ٤] في الأغاني ١١/٢٩٦.

* * *

قال أبو عمرو الشيباني: مدح أبو جلدة مُقاتل بن مسمع طمعاً في مثل ما كان مِسمع يعطيه، فلم يلتفت إليه، وأمر أن يُحجب عنه، فقيل له: تعرَّضتَ للسان أبي جلدة وخُبثه، فقال: ومَنْ هو الكلبُ، وما عسى أن يقول قبَّحه الله وقبَّح من كان منه، فليجهد جهده فبلغ ذلك من قوله أبا جلدة فقال يهجوه:

[من الطويل]

١ ـ قَرى ضيفَه الماء القرَّاح ابنُ مسمع
وكـان لئيمـاً جـارُه يَـتـذلَّـلُ

٢ ـ فلما رأى الضيفُ القِرى غير راهنٍ
لـديـه تَـولَّى هـاربـاً يَتَعلَّل(١)

٣ ـ يُنادي بأعلى الصوت بكر بن وائلٍ
ألا كُـلُّ مَنْ يرجـو قِـراكم مُضلَّل

٤ ـ عَميـدُكُمُ هَـرَّ الضيـوف فمـا لكم
ربيعـةُ أمـسى ضـيفـكم يـتحـوّل

٥ ـ وخِفتُم بـأنْ تقـرُّوا الضيفَ وكنتم
زماناً بكم يحيا الضَّريكُ المَعَيَّل(٢)

٦ ـ فـمـا بـالكـم بـالله أنتـم بَخلتُم
وقَصَّـرتُمُ والضيفُ يُقـرى ويُنْـزَلُ

٧ ـ ويُكَـرمُ حتى يُقتـرى حين يُقتـرى
يقـول إذا ولَّى جميـلاً فيُجمِـل(٣)

---

(١) غير راهن: غير حاضر.

(٢) الضريك: الفقير السيء الحال.

(٣) اقترى: أضاف والأولى: تتبع.

٨ ـ فمهلاً بني بكرٍ دَعُوا آل مسمع
ورأيهُمُ لا يَسبُق الخيلَ مُحْثَلُ(١)

٩ ـ ودونكُمُ أضيافَكم فتحَدَّبوا
عليهم وواسوهم فذلك أجمل

١٠ ـ ولا تصبحوا أُحدوثةً مثلَ قائلٍ
به يضربُ الأمثالَ مَنْ يتمثل

١١ ـ إذا ما التقى الرُّكبانُ يوماً تذاكروا
بني مسمع حتى يَحمُّوا ويثقُلوا

١٢ ـ فلا تَقَربوا أبياتَهم إنَّ جارَهم
وضيفهمُ سِيَّانِ أنِّي توسلوا

١٣ ـ هُمُ القومُ غَرَّ الضيف منهم رُواؤهم
وما فيهمُ إلَّا لئيمُ مُبَخَّل

١٤ ـ فلو ببني شيبان حَلَّتْ ركائبي
لكانَ قِراهم راهناً حين أنزل

١٥ ـ أولئك أولى بالمكارم كُلِّها
وأجدرُ يوماً أن يُواسوا ويُفضلوا

١٦ ـ بني مسمعٍ لا قَرَّبَ الله داركم
ولا زال واديكم من الماءِ يُمحلُ

١٧ ـ فلم تَردَعوا الأبطال بالبيض والقنا
إذا جعلتْ نارُ الحروبِ تأكّلُ

---

(١) المحثل: الضاوي، والدقيق السيء الغذاء.

الأبيات [١ ـ ١٧] في الأغاني ١١/٣١١ ـ ٣١٢.

* * *

ـ ١٧ ـ

كان أبو جلدة يُنادم شقيقَ بن سَليط بن بُديل السَّدوسي أخا بسطامِ بن سليط وكان لهما أخ يقال له ثعلبة بن سليط، وكان ثقيلاً بخيلاً مُبَغَّضاً، وكان يُطفِّل عليهم ويُؤذيهم، فقال فيه أبو جلدة.

[من الوافر]

١ ـ أُحِبُّ على لذاذتنا شقيقَا
وأُبغضُ مثلَ ثعلبة الثقيلُ

٢ ـ له غمٌّ على الجُلساءِ مُؤذٍ
نوافِلُهُ إذا شربوا قليل

البيتان في الأغاني ١١/٢٩٦.

* * *

ـ ١٨ ـ

وكان أبو جلدة مع القعقاع بن سُويد المِنقري بسجستان فذمّ منه بعض ما عامله به فقال فيه:

[من الوافر]

١ ـ ستعلم أن رأيَك رأي سَوءٍ
إذا ظِلُّ الإمارة عنك زالا

٢ ـ وراحَ بنو أبيك ولستَ فيهم
بذي ذكرٍ يزيدهم جَمالا

٣ ـ هنـاكَ تـذكـرُ الأسـلافَ منهـم
إذا الليـلُ القصيرُ عليـك حـالا

....

الأبيات [١ ـ ٣] في الأغاني ١١/٢٩٤.

* * *

ـ ١٩ ـ

قال يناقض قتادة بن معرب.

[من السريع]

١ ـ قُبحْتَ لـو كنت امـرءاً صـالِحـاً
تَعـرِف مـا الحقُّ من البـاطـلِ
٢ ـ كَففتَ عن شـتمـي بـلا إحـنـةٍ
ولـم تَـورَّطْ كِـفَّـةَ الـحـابـل
٣ ـ لكن أبتْ نفسـك فعـلَ النُّهـى
والـحـزم والـنـجـدةِ والـنـائـل
٤ ـ فتحتَ لي بـالـشّتم حتـى بَـدا
مكنـون غِشٍ في الحشـا داخـلِ
٥ ـ فـاجهـد وقُـل لا تَتّركْ جـاهـداً
شَتْمَ امـرىء ذي نجدةٍ عـاقـلِ
٦ ـ تـعـذلـنـي فـي قـهـوةٍ مُـزَّةٍ
درْيـاقـةٍ تُـجْـلَبُ مـن بـابِـل
٧ ـ ولـو رآهـا خَـرَّ مـن حُـبِّـهـا
يـسجُـدُ لـلشيـطان بـالـبـاطـل

٨ ـ يـا شـرَّ بكـرٍ كُـلِّهـا مَـحـتـدِاً
ونُـهـزَةَ الـمـخـتـلِسِ الآكـل

٩ ـ عِـرْضَـك وفّـره ودعـنـي ومـا
أهـواه يـا أحـمق مـن بـاقِـل

الأبيات [١ ـ ٩] في الأغاني ١١/٣٠٨.

* * *

ـ ٢٠ ـ

بلغ أبا جلدة أن بني رَقاش تهدَّدوه بالقتل لهجائه الحُضين بن مُنذرٍ فقال:

١ ـ تُهـدِّدني جـهـلاً رَقـاش وليـتـنـي
وكُلّ رقاشيٍّ على الأرض في الحبل

٢ ـ فبا ستِ حُضينٍ واست أمٍّ رمت به
فبئسَ محلُّ الضيفِ في الزمن المحل

٣ ـ وإن أنـا لم أتـركْ رقـاش وجَمْعَهُمْ
أذلَّ على وطء الهـوان من النعـل

٤ ـ فَشَلَّتْ يداي واتبعت سوى الهُـدى
سبيـلاً ولا وُفِّقتُ للخيرِ والفضـلِ

٥ ـ عِظامُ الخُصى ثُطُّ اللِحى مَعدنُ الخنا
مَباخيل بالأزوادِ في الخصب والأزلِ [١]

(١) ثطٌّ: جمع أثط وهو القليل شعر اللحية.

٦ ـ إذا أمنـوا ضـرَّاءَ دهـرٍ تعـاظـلوا
عِظَالَ الكلابِ في الدُّجنّةِ والوَبلِ
٧ ـ وإنْ عَضَّهم دهـرٌ بنكبـةِ حـادثٍ
فأخورُ عيداناً من المَرْخِ والأثلِ[1]
٨ ـ أسـودُ شـرىً وسطَ النـديّ ثعـالبٌ
إذا خـطرتْ حربٌ مَـراجلها تغلي

الأبيات [١ ـ ٨] في الأغاني ١١/٣٠٥.

* * *

ـ ٢١ ـ

قال أبو سعيد وحدَّثني أبو صالح قال:

بلغ أبا جلدة أنَّ زياداً الأعجم هجا بني يَشكُر فقال فيه:

[من الكامل]

١ ـ لا تَهجُ يشكـر يـا زيـاد ولا تكُنْ
غَرَضاً وأنتَ عن الأذى في مَعْزلِ
٢ ـ واعـلمْ بـأنَّهـمُ إذا مـا حُـصِّـلوا
خيـرٌ وأكـرمُ من أبيـك الأعـزل
٣ ـ لـو لا زعيمُ بني المُعلَّى لم نَبِتْ
حتى نُصَبِّحكم بجيشٍ جحفـلِ
٤ ـ تمشي الضَّـراءَ رجـالهم وكـأنَّهم
أسـدُ العرين بِكُـلّ عَضْب مُنصُـل

(١) المرخ والإثل: ضربان من الشجر.

٥ ـ فـاحـذرْ زيـادُ ولا تكُنْ ذا تُـدراءٍ
عنـد الـرجـالِ ونُهْـزَةً للخُتَّـل

الأبيات [١ ـ ٥] في الأغاني ١١/٣٠٢.

* * *

ـ ٢٢ ـ

عشق أو جلدةٍ اليشكري دِهقافةً ببُست وكان يختلف إليها ويكون عندها دائماً وقال فيها:

[من الطويل]

١ ـ وكأسٍ كأنَّ المسكَ فيها حَسوتُها
ونـازعنيهـا صـاحبٌ لـي مُكـوَّمُ

٢ ـ أغـرُّ كـأنَّ البـدرَ سُنَّـةٌ وَجهَـه
لـه كَفَـلٌ وافٍ وفـرعٌ ومَبسِـم

٣ ـ يُضيء دُجى الظلماءِ رونَق خَـدِّهِ
وينجابُ عنه الليـل والليلِ مـظلمُ

٤ ـ وثَـديـانِ كـالحقَّينِ والمتنُ مـدَمَـجٌ
وجيـدٌ عليـه نَسْـقٌ دُرٍّ مـنـظَّمُ

٥ ـ وبـطنٌ طـواه الله طيًّاً ومـنـطقٌ
رخيمٌ وردفٌ نِيطَ بالحِقو مُفـأمُ(١)

٦ ـ بـه تَبَلْتْني واستبتني وغـادرتْ
لـظىً في فؤاديَ نـارُهـا تتضـرَّمُ

---

(١) نيط بالحقو: علِّق به. والحقو (بالفتح والكسر): اللشح. وردف مُنامَ سمين.

٧ ـ أبيتُ بهـا أهـذي إذا الليـلُ جَنَّني
وأصبـح مبهـوتـاً فمـا أتـكلّمُ

٨ ـ فمن مُبْلغٌ قـومي الدُّنـا أن مُهجتي
تَـبيـنُ، لئـن بـانـت ألا تَـتـلوَّم

٩ ـ وعهـدي بهـا ـ والله يُصلحُ بـالهـا
تجـودُ على مَنْ يشتهيهـا وتُـنعـم

١٠ ـ فمـا بـالهـا ضَنَّتْ عليَّ بُـودّهـا
وقلبي لهـا يـا قـومُ سـالٍ متيّم

الأبيات [١ ـ ١٠] في الأغاني ١١/٣٠٦.

* * *

ـ ٢٣ ـ

قال ابن حبيب:

ولحق أبا جلدة ضيمٌ من بعض الولاة فهتف بقومه فلم يقدروا على منعه منه ولا معونته رهبةً للسلطان فهتف بأعلى صوته: يا مسمَع بن مالك، يا أمير بن أحمرَ ثم أنشأ يقول:

[من الوافر]

١ ـ ولـمـا إنْ رأيـتُ سَـراةَ قـومـي
سـكـوتـاً لا يثـوبُ لـهم زعـيمُ

٢ ـ هـتفـت بمـسمـع وصـدى أمـيـرٍ
وقـبـرِ مُـعـمّـرٍ تـلك الـقـروم

البيتان في الأغاني ١١/٢٩٩.

ـ ٢٤ ـ

وقال:

[من الطويل]

١ ـ أمن ضـرطـةٍ بـالخيـزران ضـرطتُهـا
تَـشــدّد مــنّــي دارةً وتــلـيــنُ

٢ ـ فما هو إلَّا السيفُ أو ضـرطةٌ لهـا
يـثــور دُخــانُ ســاطــعٌ وطـنـيـن

البيتان في الأغاني ١١/٣٠١.

* * *

ـ ٢٥ ـ

وقال أبو جلدة يوئب قومه:

[من الوافر]

١ ـ أيــا لهفي ويــا حُــزني جـمـيـعــاً
ويــا غـمَّ الـفـؤاد لِـمــا لـقـيـنــا

٢ ـ تــركـنـا الــدين والــدنيـا جميعــاً
وخـلَّيـنــا الـحــلائــل والـبـنـيـنــا

٣ ـ فـمــا كُـنَّــا أنــاســاً أهــل ديــنٍ
فــنـصــيــر لـلـبــلاء إذا بُــلـيـنــا

٤ ـ ولا كُــنّــا أنــاســاً أهــل دنــيـا
فنمنعَهــا وإنْ لــم نــرجُ ديـنــا

٥ ـ تــركــنــا دُورنــا لــطغــام عــكٍّ
وأنــبــاط الــقــرى والأشــعــريــنــا

الأبيات [١ ـ ٥] في الأغاني ٢٩٣/١١.
وهي في الطبري ٣٦٨/٦ وقدَّم لها بقوله: دخل بعض أهل الشام قصراً في المفازة فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة اليشكري وهي قصيدة طويلة: وفي رواية بعض أبياتها اختلاف.

* * *

ـ ٢٦ ـ

قال أبو سعيد السكري وعمر بن سعيد صاحب الواقدي:

ولعمرو بن صوحان يقول أبو جِلدة اليشكري وطالت صحبته إياه فلم يظفر منه بشيء:

[من البسيط]

١ ـ صـاحبتُ عمراً زمـانـاً ثم قلتُ لـه
إلحقْ بقومك يا عمرو بن صُوحانـا
٢ ـ فـإن صبـرتُ فـإنّ الصبـرَ مَكـرُمـةٌ
وإنْ جَزعتَ فقدْ كـان الذي كـانا

البيتان في الأغاني ٣٠١/١١.

* * *

ـ ٢٧ ـ

قال في دهقانة لما يئس منها:

[من الوافر]

١ ـ صحا قلبي وأقصر بعد غيٍّ
طويل كان فيه من الغواني

٢ ـ بأن قَصدَ السبيل فباع جهلاً
برُشدٍ وارتجى عُقبى الزمانِ

٣ ـ وخاف الموت واعتصم ابن حُجرٍ
من الحُبِّ المُبرِّح بالجَنانِ

٤ ـ وقِدماً كانَ معترماً جموحاً
إلى لذَّاته سَلِسَ العنانِ

٥ ـ وأقلع بعد صبوته وأضحى
طويلَ الليل يَهرِف بالقُرآنِ

٦ ـ ويدعو الله مُجتهداً لكيما
ينالَ الفوزَ من غُرفِ الجنان

....

الأبيات [١ ـ ٦] في الأغاني ١١/٣٠٦.

* * *

ـ ٢٨ ـ

قال ابن حبيب: سأل أبو جلدة الحُضين بن المُنذر الرِّقاشي شيئاً فلم يُعطه إيَّاه وقال: لا أُعطيه ما يشرب به الخمر. فقال أبو جَلدة يهجوه:

[من السريع]

١ ـ يا يومَ بُؤسٍ طَلَعتْ شمسُه
بالنَّحس لا فارقتَ رأسَ الحُضينِ

٢ ـ إن حُـضـيـنـاً لـم يـزل بـاخـلاً
مُـذْ كان بـالمعروفِ كـزَّ اليدين[١]

. . . .

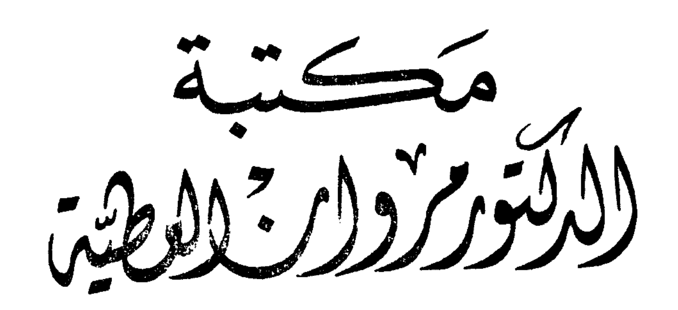
البيتان في الأغاني ٣٠٣/١١

* * *



(١) كزّ اليدين: بخيل.

الفهـــرَس


مكتبة
الدكتور مروان العطية

